الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الطقوس الجنائزية الوثنية في سورية خلال الحكم الروماني

(64 ق.م - 325 م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب:
رمزي محمد النعمات

إشـراف:
أ. د. محمـد الزيـن

العام الدراسي
1438 هـ - 2017 م

نوقشت رسالة الطالب

رمزي محمد النعمات

بعنـــوان:

الطقوس الجنائزية الوثنية في سورية خلال الحكم الروماني

(64 ق.م – 325م)

وأجيزت يوم الأحد الواقع في 2017/5/28 م من قبل السادة

أعضاء لجنة الحكم التالية أسماؤهم:

الاسم	الصفة	التوقيع
الأستاذ محمد الزين	مشرفاً ورئيساً	
الأستاذ الدكتور خليل ساره	عضـواً	
الأستاذ الدكتور عبد المجيد حمدان	عضـواً	

تم إجراء التعديلات المطلوبة وأصبحت الرسالة صالحة لمنح درجة الماجستير في الآداب – قسم التاريخ (شرق قديم)

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	**1**
التمهيد:	**4**
أولاً– الإطار الجغرافي والتاريخي	**4**
1 – الإطار المكاني :	4
2 – الإطار التاريخي :	6
أ– الأوضاع العامة في سورية قبيل الاحتلال الروماني	**6**
ب – لمحة عن تاريخ سورية خلال العصر الروماني	**7**
الفصل الأول	
الحياة الاجتماعية في سورية خلال الحكم الروماني	
أولاً – السكان والمجتمع:	**15**
1 – عناصر السكان:	**15**
أ – السكان الوطنيون (السوريون).	**15**
ب – الفئات الوافدة:	**19**
– اليونـان.	19
– الرومـان.	21
– اليهـود.	22
2 – طبقات المجتمع:	**23**
أ – الحكام والاداريون	**23**
– الحاكم الروماني.	23
– مساعد الوالي (Procurator).	23
– موظفو الولاية:	23
– الستراتيجوس Strategos.	24
– قائد المائة Centurion.	24

الموضوع | **رقم الصفحة**

– هيئة القضاة. 24
– موظفو البلدية. 25
– محصلو الضرائب Dikaproti. 25
– موظفو الشرطة والأمن Peculator. 25
ب – الطبقة الارستقراطية. 26
ج – طبقة المحاربين القدماء. 27
د – طبقة الكهنة. 28
هـ – الطبقة العامة. 29
و – طبقة العبيد. 29
ثانياً – سكان الريف والمدن: 31
1 – الريف. 31
2 – المدن. 34
ثالثاً – المرأة والأسرة. 38
1 – الزواج 41
2 – الطلاق 45
3 – التبني 46
4 – ملكية الأسرة 48
رابعاً – اللغة والتقويم. 49
1– التقويم الروماني 49

الفصل الثاني
الديانة والمعتقدات الدينية في سورية خلال الحكم الروماني

أولاً– الديانة في سورية خلال الحكم الروماني: 52
1– معتقدات حول الموت والروح: 54
أ – عقائد عن الروح والموت لدى السكان الوطنيين (السوريين). 55
ب – عقيدة الروح والموت لدى الفئات الوافدة. 57

الموضوع	رقم الصفحة
2 – عبادة الموتى:	**61**
أ – عبادة الموتى وتقديس الأسلاف عند السكان الوطنيين (السوريين).	61
ب – عبادة الموتى لدى الفئات الوافدة.	62
3– معتقدات عن العالم السفلي:	**64**
أ – العالم الآخر صفاته وآلهته لدى السوريين.	64
ب – معتقدات عن العالم الآخر لدى الإغريق.	68
ج – معتقدات عن العالم الآخر لدى الرومان.	71
ثانياً – عبادة الآلهة في سورية خلال الحكم الروماني:	**73**
1 – الآلهة المحلية السورية.	74
2 – الآلهة الوافدة.	83
3– العبادة الإمبراطورية في سورية.	91
الفصل الثالث	
الطقوس والممارسات الجنائزية في سورية خلال الحكم الروماني	
أولاً – الممارسات والشعائر الجنائزية لدى السكان الوطنيين (السوريين):	**95**
1 – تحضير المدافن وملكيتها.	96
2 – عادات الدفن:	99
أ – الدفن العادي.	99
ب – حرق الجثث.	99
3 – القرابين الجنائزية.	101
4 – الولائم الجنائزية.	103
5 – الحداد والمراثي.	105
6 – المرفقات الجنائزية.	107
7 – الشواهد الجنائزية.	109

الموضوع	رقم الصفحة
ثانياً – الممارسات والشعائر الجنائزية لدى الفئات الوافدة:	**110**
1 – الإغـريق :	**110**
أ – الموت وما بعد الموت.	110
ب – التلوث الذي يحدثه الموت.	112
ج – الطقوس والشعائر الجنائزية:	112
– تحضير الجثة.	113
– الموكب الجنائزي.	113
– عادات الدفن.	114
– الاحتفال الجنائزي والقرابين الجنائزية .	115
– الحداد والمراثي.	117
– المرفقات الجنائزية.	118
2 – الرومـان:	**120**
أ – الطقوس والشعائر الجنائزية:	120
– التحضيرات للدفن.	120
– موكب الجنازة الرومانية.	121
– عادات الدفن.	123
– التجهيز الجنائزي.	124
– المائدة الجنائزية.	125
– أقنعة شمع الأجداد.	127
– الحزن والحداد.	129
– الاحتفال الجنائزي.	130
– شواهد القبور الرومانية وأهميتها التاريخية والحضارية	130
3 – اليهـود:	**132**
أ – معتقداتهم حول الموت.	132
ب – المراسم والشعائر الجنائزية:	133
– الإطار الزمني من أجل الدفن.	133
– تحضير الجثة.	133
– الموكب الجنائزي.	134

الموضوع	رقم الصفحة
– عادات الدفن:	134
– الدفن العادي.	134
– الحرق.	135
– الوليمة الجنائزية	136
– الحزن والحداد لدى اليهود.	137
– شواهد القبور عند اليهود.	138
الفصل الرابع	
مجالات الدفن والعمارة الجنائزية خلال العصر الروماني في سورية	
أولاً – مجالات الدفن:	**144**
1 – المقابر والقبور الفردية.	**144**
2 – المدافن الأرضية:	**147**
آ – المدافن الأرضية في تدمر	148
ب – المدافن الأرضية في دورا أوروبوس.	150
ج – مدافن عازار.	151
د. – المدافن الأرضية في الكتلة الكلسية شمال سورية.	153
هـ – المدافن الأرضية في الجنوب السوري.	154
3 – المدافن الصرحية (Mausoleum):	**156**
أ – المدافن البرجية.	156
ب – المدافن المعبدية.	163
ج – المدافن الهرمية.	167
4 – المدافن الكهفية:	**169**
أ– المدفن الملكي.	169
ثانياً – طرق الدفن:	**171**
1 – الدفن فوق المصاطب.	**171**
2 – التابوت الجنائزي (sarcophagus):	**171**
آ – تابوت الرستن.	173

الموضوع	رقم الصفحة
ب – تابوت ميلياجر.	174
ج – تابوت اللاذقية.	174
3 – الدفن من خلال المعازب الجدارية.	**176**
4 – نظام القبور الحجرية المعقودة (Arcosolium).	**178**
ثالثاً – الزخارف والتأثيرات:	**179**
1 – الزخارف الهندسية.	**179**
2 – الزخارف النباتية:	**180**
آ – نبات الأكانتوس (Acanthus).	180
ب – نبات الكرمة وعناقيد العنب.	180
ج – الزهور والورود.	181
د – غصن النخيل.	181
3 – الصور الجدارية (الفريسك).	**182**
4 – الزخارف الإنسانية.	**184**
5 – الزخارف الحيوانية	**185**
رابعاً – دلالات المدافن:	**186**
1 – الدلالة الاجتماعية.	186
2 – الدلالة الاقتصادية.	188
3 – الدلالة الدينية.	190
– الخـاتمـة	**191**
– الملاحق:	**194**
1 – الملحق الأول: جدول لأهم المصطلحات الجنائزية	**195**
2 – الملحق الثاني: جدول بأسماء المدن السورية أثناء الحكم الروماني	**196**
3 – الملحق الثالث: فهارس الأشكال المعتمدة في البحث	**197**
– المصادر والمراجع	**210**
– ملخص البحث باللغة الإنكليزية	

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة موضوع الطقوس الجنائزية الوثنية في سورية خلال الحكم الروماني (64 ق.م – 325م).

هدفت الدراسة إلى رصد المتغيرات والمستجدات التي طرأت على الممارسات الجنائزية, والكشف عن الأثر الذي تركه الرومان في الطقوس الجنائزية

واشتملت الدراسة بعد المقدمة على أربعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول الحياة الاجتماعية في سورية ،وفيه عرض للفئات السكانية والطبقات الاجتماعية في المجتمع السوري خلال الحكم الروماني ، ولوضع الآسرة والمرأة والأحوال الشخصية في المجتمع السوري، ولحالة الريف والمدينة في سورية خلال تلك الفترة، بالإضافة للغة والتقويم .

الفصل الثاني تناول الحياة الدينية في سورية خلال الحكم الروماني ، وعرض فيه المعتقدات الخاصة بالموت وعالم ما بعد الموت وعقائد عن الروح وعبادة الموتى لدى فئات السكان ، إذ كان لتلك المعتقدات أهميتها في عملية الدفن والممارسات الطقوسية ذات العلاقة ، كما تم التطرق ضمن هذا الفصل إلى عبادة الآلهة المحلية والوافدة خلال الفترة الرومانية ، بالإضافة لعبادة الامبراطور .

الفصل الثالث لدراسة الطقوس الجنائزية لدى فئات المجتمع السوري خلال الحكم الروماني ، وهي الفئات المحلية الوطنية السورية ، والفئات الوافدة إلى سورية وهي فئة اليونان والرومان واليهود .

الفصل الرابع لدراسة مجالات الدفن وطرق الدفن في المدافن ، وأنواع المدافن والخصوصية التي افردها السوريون من خلال تشيدهم لتلك المدافن وما حوته من نفائس الاثار والتي كانت انعكاساً لفترة الازدهار والرخاء والقوة التي تمتعت بها سورية خلال الحكم الروماني، بالإضافة لدراسة الزخارف والتأثيرات .

وذيلت وانتهت الأطروحة بخاتمة اشتملت على نتائج الدراسة والتغيرات التي طرأت على الطقوس الجنائزية ومجالات الدفن وطرق الدفن في سورية الرومانية.

المقدمة :

تناولت هذه الدراسة موضوع الطقوس الجنائزية الوثنية في سورية خلال الحكم الروماني (64 ق.م – 325 م) حيث يعد موضوع الطقوس الجنائزية من الموضوعات المهمة والحيوية وذلك لأنه يلقي ضوءً على جانب مهم من أفكار وممارسات السوريين القدماء الدينية إذ لم يسبق أن درس الموضوع بشكل مفصل في دراسة أكاديمية.

كان الإنسان من أقدم العصور ولم يزال حتى اليوم في تفكير عميق عن الموت والدفن. بحيث طغى على شؤون حياته وكيفية ملاقاته الحتمية لهذا المصير الفاني والنهاية التي لا مناص منها إلى غير رجعة.

يبدو أنّ نظرة الإنسان للموت لم تختلف كثيراً من أقدم العصور حتى أحدثها ولكن طريقة تعامله مع جثة الميت من حيث طقوس وطرق الدفن وأنواع المدافن وإن اختلفت شكلياً لكّنها تشابهت من حيث المضمون.

إنّ اهتمام السوريون بالطقوس والممارسات الجنائزية نابعٌ من أنه على كلّ إنسان أو مجتمع أن يواجه الحالة التي يفرضها الموت، وقد أثر ذلك على تعاملهم مع موتاهم. فيما إذا كان الموت هو نهاية الوجود أو هو الممر الموصل للحقيقة الأزلية الوحيدة. وركز السوريون على هذه القضية التي كثيراً ما ألهمت التعبير الثقافي والديني والمعماري والفني الذي تجلى في الأفكار والممارسات الجنائزية الخاصة بالموت.

كان الرومان يؤمنون بأن الموت ينقلهم إلى عالم آخر تكون حياتهم فيه امتداداً سحرياً لحياتهم الدنيوية، كما آمنوا بوجود العالم السفلي الذي تستقر فيه أرواح الموتى.

وقد تميز العصر الروماني في سورية بالغنى والتنوع في تجهيز المدافن، إذ كشفت أعمال التنقيب خلال عشرات السنين الماضية عن المئات من المدافن في العديد من المواقع ولاسيما في المنطقة الجنوبية وشمال سورية (الهضبة الكلسية).

حيث قدمت لنا المدافن كماً كبيرا من المعلومات عن الطقوس الجنائزية، وتعتبر دراسة الطقوس والممارسات الجنائزية هي الوسيلة الأفضل لفهم الحضارة السورية في العصر الروماني بمختلف جوانبها، لأن القبور والمدافن وما تحويه مؤشرٌ صادق على التطور التاريخي.

لقد أكدت الدراسات والأبحاث عن تاريخ سورية في الفترة الكلاسيكية، ومنها على سبيل المثال (Mommsen,1906 , p 132) و(Jones ,1971, p. 250) إن الدور الروماني في سورية كان ضعيفاً ولكنّ المكتشفاتِ الأثرية التي تمت في القرن العشرين تستوجب إعادة النظر في هذه المقولة.

وجاء هذا البحث لإبراز التأثير الروماني في سورية من خلال الممارسات الجنائزية.

أما عن أهمية هذه الدراسة فهي محاولة لتقديم صورة مفصلة عن عادات الدفن التي كانت موجودة في سورية خلال الحكم الروماني، ورصد المتغيرات التي طرأت على الممارسات الجنائزية، وتأتي أهميتها أيضاً في الكشف عن الأثر الذي تركه الرومان في ممارسات الطقوس الجنائزية في سورية.

ولا بد من الاشارة إلى أنّ هذه الدراسة تغطي حقبة زمنية تمتد من 64 ق. م حتى 325 م أي من بداية الحكم الروماني لسورية حتى مجمع نيقية الكنسي الذي رسخ أسس العقيدة المسيحية. وقد حاولت الإفادة مما هو متوافر من المعلومات لإعطاء صورة واضحة عن الموضوع لذا جاءت الإشارة لبعض المدافن في كثير من الأحيان ضمن الخطوط العامة، لتشابه مخططات المدافن، كما أنّ الأعداد الكبيرة من المدافن التي ضمتها المواقع الأثرية في سورية أوجبت أنّ نركز على دراسة أهم المدافن والتطورات التي طرأت عليها.

ويركز هذا البحث على سورية بحدودها السياسية الحالية لا سورية الطبيعية لكن هذا لم يمنع من التطرق أحياناً لبعض المدن والمناطق الواقعة خارج حدودها وذلك بسبب الترابط بين هذه المناطق التي لا يمكن تجاهلها أبداً, ولأنها كانت تشكل جزءاً من سورية في العصور القديمة.

وتتمثل منهجية البحث في الاطلاع على مختلف مصادر الدراسة ومراجعها وجمع المعلومات التي تتعلق بالطقوس الجنائزية وتحليلها ونقدها, التي تم بواسطتها تتبع ورصد المتغيرات التي طرأت على الممارسات الجنائزية في سورية خلال الحكم الروماني

واعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع والدوريات العربية والاجنبية وتقارير التنقيبات الأثرية للإفادة منها في أشكال ومخططات المدافن ومحتوياتها.

من بين المراجع الهامة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة:

1. Kurtz and Boardman, Greek burial Customs, London, 1971.
2. Gawlikowski. M: Monuments Funeraire de Palmyre, Warszawa, 1970.
3. Sartre and Fauriat, A: Des Tombeaux et des Morts, Beyrouth, 2001.
4. Toynbee. J. M. C: Death and burial in The Roman world, London, 1971.

فضلاً عن مجموعة من البحوث والدراسات الأخرى ذات العلاقة.

هذا وأنا أضع اللمسات الأخيرة من الدراسة أقول : إن الفضل في إعدادها يعود أولاً إلى الله عزّ وجلّ الذي اعانني ويسر لي امر إنجازها، ثم إلى ذوي العلم الذين لم يدخروا جهداً ولم يبخلوا علي بأية إشارة أو ملاحظة وأخص بالذكر استاذي المشرف الدكتور محمد الزين أولا لقبوله الإشراف عليّ وثانياً لما بذله من جهد في متابعتي وإرشادي وما قدمه من توجيهات وآراء قيمة انارت لي طريق البحث، وتركت بصمات واضحة على صفحات الرسالة فجزاه الله عني خيراً في الدنيا والآخرة

كما أن الأمانة العلمية وواجب الوفاء يدعوني إلى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور محمود حمود لمساندته لي بملاحظاته العلمية الدقيقة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجميع اساتذتي في قسم التاريخ وإلى كل من أعانني بنصح وإرشاد.

وأتقدم بالشكر الجزيل لموظفي مكتبة الأسد الوطنية ومكتبة المتحف الوطني بدمشق.

وقبل الختام أتقدم بشكري وامتناني لأهلي وأسرتي الذين تحملوا عبء الدراسة. فجزاهم الله خير الثواب.

أرجو أن أكون قد وفقت في إعداد هذه الرسالة بالشكل العلمي المطلوب الذي يلبي حاجة الدارسين إلى هذا النوع من الدراسات، والله ولي التوفيق.

التمهيد

أولاً- الإطار الجغرافي والتاريخي:

1 - الإطار المكاني:

يركز هذا البحث على سورية بحدودها السياسية الحالية لا سورية الطبيعية، لكن هذا لم يمنع من التطرق أحياناً لبعض المدن والمناطق الواقعة خارج حدود سورية، وذلك بسبب الترابط بين هذه المناطق التي لا يمكن تجاهلها ابداً، ولأنها كانت تشكل جزءاً من سورية في العصور القديمة.

ويقدم سترابون(*) في كتابه الجغرافية وصفاً لسورية حيث تحدث عن أقسامها وسكانها والنشاطات الاقتصادية التي كانوا يمارسونها، وقد وردت بعض الأخطاء في وصفه كان من بينها أنّه جعل بلاد العرب السعيدة (اليمن) حداً جنوبياً لسورية، كما أن وصفه عن السكان ونشاطهم الاقتصادي لم يكن وصفاً دقيقاً وواضحاً:

يحد سورية من الشمال كيليكيا وجبال أمانوس، وتمتد أراضيها من البحر في الغرب وحتى نهر الفرات من جهة الشرق، كما يحدها من الجنوب بلاد العرب السعيدة.

وأقسامها بالترتيب هي من كيليكيا وجبال أمانوس كوماجينة(**) والأرض المسماة سلوقية السورية ثم حوض سورية، وأخيراً تكون فينيقيا على الشاطئ ويهودا في الأراضي الداخلية[1].

وهذا التقسيم لسورية يقترب إلى حد كبير من الوصف الذي أورده المؤرخ أميانوس مرسلينوس(***) لولاية سورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي إلا أن أميانوس مرسلينوس لم يتحدث

(*) سترابون (Strabon) : جغرافي ومؤرخ يوناني من آسية الصغرى، عاش في الفترة الممتدة بين عامي(64ق.م – 19م) وأكثر ما أشتهر به سترابو هو مؤلفه الجغرافية الذي لم يبقى منه سوى القليل جداً (انظر: العبادي , مصطفى, الإمبراطورية الرومانية، دار النهضة، بيروت، ب. ت، ص 25)

(**) كوماجينة (Commagene): منطقة قديمة في شمال سورية، كانت مملكة مستقلة في القرن الثاني ق.م وعاصمتها ساموساط – وتمتد كوماجيني ما بين كليكية والفرات – تمكنت روما من اخضاعها عام 64 ق.م (انظر : عبودي, هنري, معجم الحضارات السامية, طرابلس, 1991, ص 728).

(1) سترابون، الجغرافية، تعريب محمد المبروك الدويب، ج16، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2006، (2: 1-2)، ص39.

(***) اميانوس مرسلينوس(330 – 401م) قائد عسكري وسياسي ومؤرخ بارز، ولد في مدينة أنطاكية، ويصف المؤرخون المعاصرون أميانوس بصفات المؤرخين العظماء، وقد ساعده تمكنه من اللغة اللاتينية على قراءة عدد كبير من أعمال المؤرخين والأدباء الرومان وبالتالي الكتابة بلغتهم والإفادة من استعارتهم وزخرفهم في صياغة لغته في بناء الأحداث التاريخية (انظر: الميداني, محمد: 2015, ص 8)

عن السكان، كما أن وصفه كان أقرب للدقة فلم يجعل من بلاد العرب السعيدة (اليمن) الحد الجنوبي لسورية بل جعله الولاية العربية (انظر الشكل رقم 1)

تمتد أراضي ولاية سورية على أرض سهلية تتمتع بوجود مدن مثل مدينة انطاكية المعروفة في العالم كله والتي لا يمكن أن تنافسها أي مدينة في العالم بجمال طبيعتها وغناها وأهميتها، وكذلك بوجود مدينة لاوديكية وأفاميا وأيضاً مدينة سلوقية، هذه المدن المزدهرة منذ الأيام الأولى لتأسيسها.

تلي هذه المدن فينيقيا الواقعة عند سفح جبل لبنان المعروفة بالجمال والسحر، والتي توجد فيها مدن كبيرة كمدينة صور التي تفوق البقية بجمال موقعها وشهرتها، ثم تليها صيدا وبيروت Berytus، وفي الداخل مدينة حمص إيميسا Emissa ودمشق، كلها مدن تأسست منذ العصور القديمة.

ويجري في سهول سورية نهر العاص الذي يمر بالقرب من جبل كاسيوس الشامخ، والذي يصب بالقرب من خليج إيسوس Issus.

أخر قسم من ولاية سورية هو أراضي فلسطين الجميلة التي تضم عدة مدن قديمة رائعة، كقيصرية Caesarea ونابلس Neapolis وعسقلان Ascalon وغزة Gaza لا يوجد أي نهر في هذه المدن، ولكن بالمقابل فإن مياهها حارة تندفع من الأرض، ويتم استعمالها للشفاء من عدة أمراض.

وبجوار فلسطين المنطقة العربية المليئة بالبضائع المتنوعة، والتي تستمد قوتها من حصونها وقلاعها ومن مدنها بصرى Bostra وجرش Gerasa وفيلادلفيا – عمان Philadelphia وجميعها محصنة بأسوار قوية[1]

(1) AMMIANUS MARCELLINUS: The Roman History – (book XIV- ch XIII: 8-13).

2 - الإطار التاريخي:

أ- الأوضاع العامة في سورية قبيل الاحتلال الروماني:

كانت سورية قبيل الاحتلال الروماني تعاني من حالة الفوضى التي كان من أبرز أسبابها الانقسام والاقتتال في البيت السلوقي الحاكم، مما دفع بسكان سورية لطلب العون من أشخاص قادرين على حماية البلاد، فاستنجد سكان أنطاكية بملك أرمينية تيغرانس(*) لحمايتهم، في حين أن سكان دمشق فضلوا طلب العون من الحارث الثالث ملك الأنبط ليتقوا شر الايتوريين(**)(1).

وكان ذلك مترافقاً مع تدهور الأحوال الاجتماعية العامة نتيجة لانتشار عصابات اللصوص والقراصنة في البر والبحر على حد السواء، وكان من نتيجة عدم وجود الحكم القوي في سورية أن سادت الفوضى وانتشر الخوف على طريق القوافل(2).

فما كان من الرومان إلا أن أرسلوا حملات للقضاء على القراصنة وتطهير البحر منها بقيادة بومبيوس(***) الذي قام في عام 67 ق.م بمحاربة القراصنة في معاقلهم في كيليكية والجزء الشمالي الغربي من سورية المحيط بأنطاكية.

إنَّ موقع سورية الاستراتيجي وغناها بالموارد البشرية والاقتصادية، والخشية من خطر البارثيين(****) كانت الأسباب التي دعت روما للتدخل في سورية ممثلة ببومبيوس الذي أرسل في عام

(*) تيغرانس الأرميني، هو تيغرانس الكبير الذي اعتلى العرش عام 95 ق.م ومؤسس الإمبراطورية الأرمينية التي امتدت من البحر الأسود إلى بحر قزوين والبحر المتوسط.(انظر: Downey, P138)

(**) الايتوريون: هم العرب الذين سكنوا لبنان ولبنان الشرقي إلى الجنوب حول الحوض الأعلى من نهر الأردن حصل أميرهم سنة 115 ق.م على اعتراف من السلوقيين، كان لأمرائهم سلطات دينية وعسكرية لهم عاصمتان دينية هليوبوليس (Heliopolis) بعلبك حالياً وكالسيس (Chalcis) عنجر شملت منطقتهم لبنان الشرقي وحوران والجولان.

انظر: JONES. A.M : Cities Of The Eastern Roman Province, Oxford, 1971, pp. 254-255.

(1) REY COQUAIS. J.P: "Syrie Roman De Pompee A Diocletien" Journal Of Studies. 68, London, 1978, p44-45.

(2) الحلو، عبد الله، سورية القديمة، الكتاب الأول، دمشق، ص 916.

(***) بومبيوس (106 – 48 ق.م): من قادة الرومان وأحد حكام روما الثلاثة مع قيصر وكراسوس ،احتل سورية وحولها إلى إقليم روماني.

(****) البارثيون Parthes: قامت دولة البارثيين في بلاد فارس نحو عام 250 ق.م، وعرفت سلالتهم بالسلالة الاشكانية أو الارشاقيَّة Arsacids، نسبة إلى ارشاق الأول (248 – 246 ق.م) مؤسس الدولة البارثية. وقاموا بمحاربة الرومان الذين كانوا يعتقدون أنهم ورثة الاسكندر. وكانت الدولة البارثية على صلات لا تتقطع مع تدمر (انظر: أبو خليل , شوقي، الحضارة العربية الإسلامية, دار الفكر, دمشق,2002,ص 67).

66 ق.م قائديه سكاوروس Scaurus وكابيتوس Capitus لإخضاع سورية قبل أن يأتي هو بنفسه سنة 64 ق.م، ويقوم بضم ما تبقى من سورية السلوقية، وإيجاد ولاية سورية Provincia Syria محل مملكة سورية والتي بقيت عاصمتها أنطاكية[1].

وعمل بومبيوس على تقسيم سورية إلى ثلاثة أجزاء: سورية الشمالية وتشمل الأراضي الآرامية (أنطاكية– اللاذقية – أفامية) وسورية الفينيقية التي كانت تشمل الساحل الفينيقي وممتلكات الايتوريين، وسورية الجنوبية التي تشمل فلسطين ومملكة الأنباط، و ما يسمى بالمدن العشرة[*] التي كونت وحدة قائمة بذاتها[2].

ب – لمحة عن تاريخ سورية خلال العصر الروماني:

نظراً للأهمية الكبيرة التي تمتعت بها سورية فقد وضعت تحت إشراف الإمبراطور الروماني أوغسطس (27 ق.م – 14 م) مباشرة[3]، وتولى إدارتها والٍ يحمل لقب مندوب أوغسطس Legatus Augusti.

كما عمل أوغسطس على زيادة عدد الفرق العسكرية فيها من ثلاث إلى أربع فرق وذلك بسبب تهديدات البارثيين الدائمة لسورية، فرابطت إحداها عند مدينة اللاذقية – لاوديكية، وأخرى في وادي نهر العاصي، ورابطت فرقة بالقرب من مملكة كوماجينة، ورابطت فرقة بالضمير شرقي دمشق, ووضعت كتائب عسكرية عند المواقع الهامة أيضاً كتدمر Palmyra وبصرى Bostra ودورا أوروبوس Dura–Europos, كما عمل أوغسطس على الاعتراف بسلطة الأسر المحلية الحاكمة في سورية كما كان الوضع سائداً في العصر الجمهوري[4].

تولى الحكم بعده تبيريوس (14–37م) خلال فترة حكمه قام بزيارة إلى سورية، وتابع سياسة الضم التي بدأها أوغسطس، فبدأ بضم كوماجينة بعد موت ملكها أنطيوخس الثالث (Antiochus III)

---

(1) REY COQUAIS, p. 45.

(*) مجموعة المدن العشرة هي مجموعة من المدن الهلنستية التي تقع حول بحيرة طبرية وعلى ضفاف نهر الأردن وهي سكيتوبوليس(بيت رأس حالياً) , وهيبوس(قلعة الحصن) , وجدارا(أم قيس) , وقنوات في محافظة السويداء, وجيرازا(جرش) , وديوم(الحصن) , وفيلادلفيا(عمان) , وبلا(طبقة فحل) , ودمشق.(انظر : سارة, خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية, جامعة دمشق, 2008, ص 370)

(2) رستوفتزف، ميخائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، ترجمة زكي علي – محمد سليم، ج1، القاهرة، 1957، ص346–347.

(3) المرجع نفسه, ج 1، ص 80.

(4) MILLAR.F : The Roman Near East. 31. B.c. 337 ad 2d Ed Harvard, 1994,p33-34.

سنة 17م، ويذكر يوسيفوس أن ذلك الضم تمّ بطلبٍ من أشراف المملكة فأصبحت كوماجينة تابعة لولاية سورية، وعين سرفوس Servaeus والياً عليها[1].

وكذلك ضُمت تدمر للولاية السورية سنة 19م، وكانت السيطرة عليها إدارية لا عسكرية، وبهذا كان تبيريوس أول من أخضع تدمر للحكم الروماني[2].

ومن الأحداث الهامة في عهده كانت زيارة ابن أخيه جرمانيكوس Germnicus إلى سورية، وقد توفى بشكل مفاجئ بعد مقابلة والي سورية (بيزو) في أنطاكية حيث وجه البعض الاتهام إلى والي سورية في ذلك الوقت بدس السم له لأنهما كانا على خلاف، في حين رأى البعض الأخر أن عمه الامبراطور تبيريوس من دبر مقتله[3].وفي عهد تبيريوس أيضاً تم إنزال العقوبة بالسيد المسيح(بعام 32 م) بحسب رغبة اليهود وكان ذلك في ولاية يودايا Judaea على يد الوالي الروماني بيلاطيوس البنطي Pilatus Pontius[4].

وفي عام 66 م قام اليهود بثورة عنيفة في ولاية يودايا ، فقام الامبراطور نيرون (54 – 68) بتعيين القائد فلافيوس فسباسيانوس Flavius Vespasianus لقمع الثورة، وقد تمكن من القضاء عليها والسيطرة على المنطقة ما عدا أورشليم (القدس) 68م[5]، التي احتلها ابنه تيتوس ودمرها سنة 70ميلادية .

وبعد انتحار نيرون في العام 68 ميلادي تم إعلان فسباسيانوس امبراطوراً في عام 69 م. وقد تميزت فترة حكمه بالتقشف والإصلاح المالي حيث قام بتعديل نظام الضرائب كلّه، فألغيت أعباء جديدة على الأفراد والمجتمعات وارتفعت الضرائب التي كانت تدفعها الولايات[6].

كما عمل على إنهاء استقلال حكم السلالة المحلية في حمص سنة 72م ولم يعد يرد ذكر لملوك هذه الأسرة، وتحولت كوماجينة وكبدوكية إلى ولايتين قنصليتين[7].

---

(1) HARPER.G: Village Administration In The Roman province Of Syria, Yale Classicl Studies, Volume1,N ew haven 1928, p159.

(2) موريس، سارتر، تدمر مدينة ذات طابع يوناني، الحوليات الأثرية السورية، ترجمة عدنان البني، مجلد 42، دمشق، 1966، ص294-301.

(3) TACITUS: The Annals, The Histories Translated By Alfred John Church and Wiliam (II :80-92).

(4) ميغوليفسكي. أ. س، أسرار الآلهة والديانات، ترجمة حسان اسحق، دمشق، 2005، ص421-438.

(5) دانترز، جان، ماري، سورية الجنوبية، ترجمة أحمد عبد الكريم، ميشيل العيسى، الجزء الأول، دمشق، 1988، ص257.

(6) الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، جامعة دمشق، 1988، 1989، ص121.

(7) BOWER SOCK .G .W: Syria Under Vespasion, JRS Vol, 63, 1973, p140.

وكما شهدت سورية في عهده عصرها الذهبي بفضل إنجازاته وتأمين السلام والرخاء للولاية[1].

تميز عهد ترايانوس (Traianus 98– 117 م) بنشاط عسكري كبير على الجبهة الشرقية لمواجهة البارثيين، إذ قام بثلاث حملات ناجحة حقق فيها انتصارات باهرة، إذ استولى على عاصمة بارثيا مدينة طيسفون في عام 116م[2].

في عهد ترايانوس أصبحت بلاد الأنباط[*] ولاية رومانية، وسماها الولاية العربية، وأصبحت عاصمتها بصرى، ولقبت ببصرى الجديدة الترايانية التي ازدهرت بشكل واضح في عهده[3]، وقد كلف كورنيليوس بالما فرونتونيانس Cornelius palma Frontonianus حاكم سورية بإدارتها، ثم عهد بإدارتها إلى شخصيات من طبقة الفرسان[4].

اختار الامبراطور حاكم سورية هادريان Hadrianus (117–138م) لكي يخلفه في الحكم، ولم يكن هادريان يؤمن بسياسة التوسع، لذلك لم يشارك الرومان بأية معارك تذكر عدا الحرب التي خاضها الإمبراطور ضد اليهود، وكانت بسبب رغبة الإمبراطور في بناء مدينة جديدة على أنقاض أورشليم وبناء معبد للإله جوبتير فيها وقد تمكن الجيش الروماني من قمع الثورة بين عامي (132–135م) في عهد الوالي ماركيلوس الذي كان له دوراً مهماً في قمع ثورة بار كوخيا اليهودية واجتثاثها من جذورها.

كما قام الامبراطور بزيارة تدمر سنة 130م ومنحها اسم بالميرا هادريانا Palmyra Hadriana ، ومنحها الحرية والمزيد من الامتيازات السياسية والإدارية، اما انطاكية فحظيت باهتمام كبير منه، وأقام فيها عدداً من المنشآت العامة أشهرها حمامات هادريان[5].

وعندما عين سبتيميوس سفيروس Severus Septimius (194–211م) امبراطوراً في روما، قام في عام 195م بتقسيم ولاية سورية إلى ولايتين هما سورية المجوفة Colo Syria، وسورية الفينيقية Syria Phoenice، وتضم سورية المجوفة القسم الشمالي من كوماجينة إلى ما وراء أفاميا وكانت عاصمتها اللاذقية حتى سنة 200م، ومن ثم أصبحت العاصمة أنطاكية.

---

(1) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، 2004، ص385.

(2) DOWNEY . G: A History Of Antioch In Syria From Seieucus To The Arab Conquest Second Printing, University Press, New Jersey, 1961, p211-217.

(*) الأنباط: قبائل عربية سكنت جنوب سورية في القرن الرابع ق.م، كانت البتراء عاصمتهم، صدوا هجمات السلوقيين عام 312 ق.م. قضا عليهم الإمبراطور الروماني ترايان عام 106 م(أبو خليل, شوقي,2002, ص179)

(3) SARTRE: 2007, p.525.

(4) Ibid, p.610-611.

(5) أبو اليسر، فرح، الشرق الأدنى في العصر الهلنستي والروماني، القاهرة، 2002، 364–366.

أما سورية الفينيقية : فتشمل شرقي لبنان وبعلبك وحمص وتدمر ودمشق والقلمون وكانت عاصمتها صور، وكان الهدف الأساسي لهذا التقسيم هو إضعاف ولاة سورية، وذلك للحد من أية محاولة لتنصيب أنفسهم أباطرة على الإمبراطورية[1].

كما عمل على توسيع الولاية العربية بأن ضم إليها كل فلسطين وأقاصي جنوب بلاد الشام[2].

كما أنّه أمنَّ متراساً مهماً لحماية سورية، وذلك بإيجاده ولاية جديدة هي ولاية ميسوبوتاميا مركزها نصيبين Nisibis ، وبهذه الأعمال وضع نهاية لفترة الضعف في الولاية[3].

وبعد وفاة الإمبراطور سبتيموس سيفيروس حاولت جوليا دومنا Jolea Domna زوجته، أن تجعل الأخوين باسيانوس Baseanos وجيتا Getaيحكمان معاً تحت إشرافها، ولكن عوضاً عن ذلك قام صراع بين الأخوين انتهى بمقتل جيتا، ووصول باسيانوس الذي عرف بلقب كراكلا (211–217) للعرش[4] ، اشتهر كراكلا بفضل دستوره (Constitutio Antoniniana) الذي منح بموجبه حقوق المواطنة الرومانية لجميع سكان الإمبراطورية[5].

ويمكن القول إنَّ إصدار هذا الدستور كان نتيجة سياسة مدروسة تهدف إلى زيادة عدد دافعي الضرائب، إذ لم يترتب على المواطنين الأجانب دفع معظم الضرائب[6]، وبذلك يساهمون في نفقات الإمبراطورية[7].

وقام كراكلا بإعداد حملة كبرى على بارثيا، إلا أن طموحة لم يكتمل ولم ير النور، لأنه لقى حتفه على يد قائد الحرس الامبراطوري ماكرينوس Macrinus الذي دبر مؤامرة لقتله عام 217م[8].

---

(1) SARTRE : 2007, p.614.

(2) كلينغل، هورست، آثار سورية القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1985، ص62.

(3) DIO CASSICUS : Roman History, Tr, By Eamest Cary, Vol. Ix, London, 1995, 75.

(4) محفل، محمد، الزين, محمد, تاريخ الرومان، دمشق، 1974، ص201، 203.

(5) لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة، ص313. ص313.

(6) DIO CASSICUS : 78.9.5-7.

(7) ورث، تشارلز، الإمبراطورية الرومانية، إشراف إدارة الثقافة العامة، الاقليم الجنوبي، 1950، ص184.

(8) المرعشلي، ميسون، ولاية سورية الرومانية منذ عهد الأسرة السيفيرية حتى عهد ديوقليسان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، 2005، ص47.

شهد القرن الثالث الميلادي اعتلاء شخصيات ذات أصول عربية العرش الروماني كايلاجبالوس Elagabalus (218–222 م) إلا أنَّه اغتيل في عام 222 م على يد جنود الحرس الامبراطوري بسبب سياسته الاقتصادية الفاشلة، وربما يعود الأمر إلى عدم معرفته بشؤون الحكم لصغر سنه وحداثة عمره(1).

تولى الحكم بعده سفيروس ألكسندر Severus Alexander (222–235 م) حيث شرع سفيروس خلال حكمه بإصلاح ما أفسده إيلاجبالوس فأصدر التشريع الذي يوسع حق المواطنة الرومانية، وأخضع الامبراطور نفسه إلى القانون فحل السلام في عهده(2) ، وعلى الرغم من ذلك تم اغتياله سنة 235 م، ليبدأ بذلك عصر من الاضطراب قد استمر لقرابة الخمسين سنة في الإمبراطورية(3).

وفي عام 244 م وصل فيليب العربي Philippus Arabs إلى العرش الإمبراطوري حيث اهتم بالمدن السورية ومنح شهبا مسقط رأسه لقب مستعمرة، وأصدرت نقدا في عهده وكان لها تقويمها الخاص أما دمشق فارتفعت إلى مرتبة مستعمرة، وكذلك بصرى(4).

ومن نشاطات هذا الامبراطور قيامه بزيارة انطاكية عام 244 م(5) ، ولكنّ محاولات فيليب إرساء الاستقرار بشكل عام لم تكن ناجحة دائماً، وذلك بسبب قيام ثورة داخلية في سورية بقيادة ايوتابيانوس Iotapianus في أوائل عام 248م، واغتيل على أثرها في العام 249م ، وذلك لإهماله للجيش الذي قام بالتمرد عليه وقتله(6).

إلا أنّ أهم أحداث القرن الثالث الميلادي (قرن الاضطرابات الروماني) هو صعود تدمر إلى مملكة كبرى حاولت الانفصال عن روما في عهد ملكتها زنوبيا حيث استغلت ضعف السلطة الرومانية والاضطرابات فيها .

---

(1) مرعي، عيد، موجز تاريخ الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، بيشة، مكتبة الخبتي الثقافية، السعودية، 2006، ص241.

(2) DOWNEY: 1961, p251.

(3) المرعشلي، ميسون: 2005، ص63, 64

(4) المقداد، خليل، حوران عبر التاريخ، دار حوران للنشر، دمشق، 1996، ص86.

(5) REY COQUAIS: 1978, p70.

(6) DOWNEY: 1961, p257.

فقد اتسعت الدولة التدمرية في عهدها لتشمل سورية وجزءاً من أسيا الصغرى وشمالي الجزيرة العربية، كما أنّها في سنة 270 م سيطرت على مصر ثم أصدرت نقوداً تحمل صورة ابنها وحده مع لقب أوغسطس فكان ذلك بمثابة إعلان استقلال تدمر عن الرومان[1].

مما استدعى قدوم الامبراطور أورليانوس Aurelianus (270–275م) مع قواته، وهزم الجيوش التدمرية في العديد من المعارك واحتل تدمر في عام 273 م ، واقتاد زنوبيا أسيرة إلى روما، وبذلك قضى على الحلم التدمري بالاستقلال عن الإمبراطورية الرومانية[2].

وبعد أورليانوس تولى عرش الامبراطورية الرومانية عدد من الأباطرة حيث حدثت تغيرات كبيرة في سورية في عهدهم، كان منها اصلاحات ديوقليسيان ومن بعده قسطنطين الكبير، والاعتراف بالديانة المسيحية، وبناء مدينة القسطنطينية، وقيام الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية).

ومما سبق يلاحظ أن سورية قد بدأت عصراً جديداً مع قدوم الرومان إلى الشرق، واستمر هذا العصر لفترة تزيد عن ثلاثة قرون ونصف استلم الرومان فيها السلطة السياسية، وقاموا بعدة تغيرات حتى أصبحت سورية من أهم الولايات الرومانية، وقد تجلت تلك التغيرات في كافة مجالات الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية .

(1) الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة، 1989، ص365 – 367.
(2) البني، عدنان، تدمر التدمريون، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1978، ص75.

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية في سورية خلال الحكم الروماني

أولاً – السكان والمجتمع:

1 – عناصر السكان:

أ – السكان الوطنيون (السوريون).

ب – الفئات الوافدة:

– اليونان.

– الرومان.

– اليهود.

2 – طبقات المجتمع:

أ – الحكام والاداريون :

– الحاكم الروماني.

– مساعد الوالي (Procurator).

– موظفو الولاية:

– الستراتيجوس Strategos.

– قائد المائة Centurion.

– هيئة القضاة.

– موظفو البلديات.

– محصلو الضرائب Dikaproti.

– موظفو الشرطة والأمن Peculator.

ب – الطبقة الارستقراطية.

ج – طبقة المحاربين القدماء.

د – طبقة الكهنة.

هـ – الطبقة العامة.

و – طبقة العبيد.

ثانياً – سكان الريف والمدن:

1 – الريف.

2 – المدن.

ثالثاً – المرأة والأسرة.

رابعاً – اللغة والتقويم

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية في سورية خلال العصر الروماني

أولاً – السكان والمجتمع:

1 – عناصر السكان:

يقدر الباحثون أنّ عدد سكان سورية قد بلغ في القرن الأول الميلادي نحو سبعة ملايين نسمة، وكان عدد سكان العاصمة أنطاكية نحو (800000) ألف نسمة[1].

ولكنّ هذا الرقم لم يكن ثابتاً، وإنما يتغير بتغير الظروف زيادة أو نقصاناً.

أ – السكان الوطنيون (السوريون):

كان السوريون بطبيعة الحال هم الأغلبية الساحقة وعماد المجتمع حيث شكلوا مجتمعات زراعية وقبلية وكهنوتية وتجارية.

بالنسبة للمجتمعات الزراعية حيث اعتبرت سورية ولاية زراعية ويعمل أغلبية أهلها بالزراعة، وكانوا يساهمون في تحمل الأعباء المالية في الولاية من خلال مشاركتهم في دفع الضرائب.

تم إجراء تعداد سكاني داخل ولاية سورية حيث أخذ في عين الاعتبار عند إجراء التعداد السكاني حجم الأرض المزروعة، وأعداد أشجار الزيتون وحجم المراعي والغابات أيضاً، وكافة التفاصيل المتعلقة بالعبيد في سورية، وكان أول من قام بإجراء تعداد سكاني هو الإمبراطور أوغسطس (31ق م –14م) ، وكان يهدف من وراء ذلك لتأمين معلومات دقيقة عن سكان سورية مما يساهم في تحصيل الضرائب منهم[2].

كان هناك نوعان من ملاك الأراضي في سورية في تلك الفترة، فثمة أشخاص يملكون مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وأشخاص يملكون قطعاً من الأراضي الصغيرة المتباعدة عن بعضها البعض، وهم الشريحة الوسطى التي كانت تشكل الجزء الأعظم من السكان، وهذه الأراضي تأتي إما عن طريق الإرث أو عن طريق الشراء، وغالباً ما تتعرض هذه الأراضي للجفاف نتيجة

---

(1) اثناسيو، متري هاجي، موسوعة بطريركية أنطاكية، سورية الشمالية، مج 1، 1997 م، ص 38، 39.

(2) SCHMIDT, T. E: In Early Roman Stale, The Evidence From Josephus, Duke University, 1996, P 105-108.

الإهمال جراء تضيق الخناق على الفلاحين، وارهاقهم بالضرائب دون مراعاة المواسم الزراعية إذا كانت مثمرة أو غير ذلك بعين الاعتبار عند فرض الضرائب عليهم.

وقد خضعت هذه الأراضي لقوانين متعددة من أهمها:

1- يتم سحب الأرض من مالكها في حال الإهمال، وعدم الاستثمار لمدة سنتين .

2- نقل الملكية إلى شخص يكون قادراً على استثمارها بشكل أفضل ،وهذا الأمر أدى إلى تمركز الأراضي في أيدي قلة من الأفراد وانتزاعها من أصحابها[1].

وقد ساهمت هذه المجتمعات الزراعية في إزدهار الزراعة وتطوير هذه الحرفة التي توارثها المزارع السوري عن أجداده، وأخذ على عاتقه مهمة فلاحة الأرض ، واستغلال الظروف المناخية والبيئية لاستثمار أكبر قدر من الأراضي، وبالتالي زيادة الإنتاج الزراعي من حيث الجودة والنوع[2]،كما تمَّ تسخير العبيد من قبل هذه المجتمعات من أجل خدمة الأراضي من خلال تحويل كثير من الأراضي القاحلة إلى أراضٍ صالحة للزراعة والسكن.

ولا ننكر جهود الأباطرة الرومان في رفع مستوى إنتاج البلاد الزراعي عن طريق توفير الأمن والطمأنينة لهذه المجتمعات، ومحاولة القضاء على الفتن والحروب[3].

أما المجتمعات القبلية: تتكون من الوحدات العائلية التي تربطها ببعضها البعض صلة القربى[4].

وتأثرت النظم القبلية لهذه المجتمعات بالأنظمة اليونانية فأصبحت القبيلة القديمة تدعى فولى Phyla والعصبة القديمة كوينون Koinon، وشيخ القبيلة في النظام القديم بروادروس Broadros ، أو ستراتيجوس Strategos[5].

وذكرت هذه المجتمعات في النقوش التدمرية وكانت تمارس الرعي كمهنة لها وتحولت إلى مرحلة التحضر والاستقرار.

(1) اثناسيو، متري هاجي: 1997 م، ص 38، 39.

(2) HEICHELHEIM. F. M, Roman Syria, Teny Frank an Economic Survey of Ancient Rom Vol IV. New Jersey, 1959, P 148.

(3) Ibid, 1959, P 148.

(4) شيفمان، أ. ب، المجتمع السوري في عصر البيرنسيبات، ترجمة حسان إسحق، دمشق، 1987، ص 175.

(5) رستوفتزف. م، تاريخ الإمبراطورية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، ج 1، القاهرة، 1957، ص 354.

أكدت شواهد القبور والأضرحة على معلومات متعلقة بعمليات الملكية العشائرية للأرض، التي يمنع بيعها أو اهداؤها خارج نطاق القبيلة، ومنها أحد النقوش المكتشفة في (بازورية عام 171 م) وهذه ترجمته : (الملكية القبلية الوراثية للأرض التي يمنع بيعها إلا بشرط حق شرائها مستقبلاً أو استعادتها) وكانت هذه المجتمعات القبلية تشارك بالحياة الاقتصادية وتزود مدينة تدمر بالمواد الغذائية[1].

لقد عملت روما على الاستفادة من هذه المجتمعات العشائرية القاطنة ضمن نطاق حكمها، من خلال الاستفادة منهم ومن خبراتهم في الصحراء ليكونوا القوة التي تقف في وجه أعداء الإمبراطورية وهم البارثيون، فاستفادت من حنكتهم الدبلوماسية، وكذلك مهارتهم في القتال والرماية في المعارك، لذلك عقدت الإدارة الرومانية محالفات بينها وبين البدو، تتولى بموجبها هذه المجتمعات حماية الولاية والقوافل العابرة[2].

وبدأت تتزايد أهميتها ويتسع نفوذها مع تزايد عدد أفرادها وقدراتهم القتالية وفعالياتهم الاقتصادية المختلفة حتى أصبحت تشكل قوة هامة لها وزنها في الولاية.

وقد وصل ابن أحد شيوخ هذه القبائل إلى عرش الإمبراطورية ويدعى فيليب العربي Philippus Arabinus (عام 244 – 249 م)[3].

أما بخصوص المجتمعات الكهنوتية فقد أصبح لها قوة سياسية هامة وصار لهم نفوذ في الإدارة الرومانية، وظهرت من هذه المجتمعات شخصيات كهنوتية وصلت إلى عرش الإمبراطورية، مثل ايلاجابالوس Elagabalus (عام 218 – 222 م) حيث كان كاهناً لإله الشمس الفينيقي في حمص[4].

ولقد استمرت سلالة الملوك الكهنة في حمص خلال الحكم الروماني حتى عهد السيفريين، ومن أهم الملوك الكهنة في حمص الذين وصلت لنا أسماؤهم يامبيلخوس، وشمسيغرام هذا الأخير هو الذي كان يحكم عندما وصل بومبيوس إلى حمص والذي كان يعنى اسمه «أن الشمس قد قررت»[5].

---

(1) شيفمان: 1987، ص 63، 64.

(2) رستوفتزف: 1957، ج 1، ص 350.

(3) حمدان، عبد المجيد، الإمبراطور الروماني قليب العربي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 85 – 86، آذار – حزيران، دمشق، 2004 م، ص 85– 87.

(4) ساره، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكاسيكية، منشورات جامعة دمشق، 2008، 2009، ص 396.

(5) بابليون، جان، إمبراطوريات سوريات، تعريب يوسف شلب الشام، العربي للطباعة والنشر دمشق، 1987، ص 114.

وكانت المجتمعات الزراعية والكهنوتية والقبلية شديدة الحفاظ على عاداتها وتقاليدها[1].

أما فيما يتعلق بالمجتمعات التجارية كانت تضم كبار التجار والتجار المتوسطين، بالإضافة إلى الكثير من الباعة وبائعي الأغذية والأواني الفخارية والزجاجية.

وقد تميزت مدن سورية عديدة لكونها مراكز تجارية ومنها: تدمر، دورا أوروبوس، أنطاكية وأفاميا، وقد تميزت هذه المدن بالأسواق التجارية التي أمّها العديد من التجار للمتاجرة ببضائعهم[2].

وتعتبر وثيقة لائحة التعرفة الجمركية التدمرية (CIS, 2, 3913) أهم مصدر يذكر فيه أنواع عديدة من السلع التي يتم تصديرها أو استيرادها من قبل هذه المجتمعات التجارية[3].

وتُشير النقوشُ التدمرية إلى المكانة الرفيعة التي وصلت إليها هذه المجتمعات في تدمر، حيث توضح مدى أهمية نشاط هذه المجتمعات في المجتمع من خلال نقش عُثر عليه في تدمر يذكر (قرار مجلس المدينة بتكريم سواد بن يوليدع بن سواد من قبل الإمبراطور هادريان لتفانيه في خدمة قوافلها ولثبات جدارته في المناصب التي أوكلت إليه كُوفئ بعدد من شهادات التكريم من قبل الإمبراطور هادريان)[4].

من العوامل التي ساعدت على نشاط هذه المجتمعات في سورية وفرة الإنتاجين الزراعي والصناعي، حيث لم يهدف هذا الإنتاج لتلبية الحاجات الضرورية للاستهلاك فحسب بل يهدف لتوفير فائض إنتاجي يؤدي إلى نوع من التبادل التجاري، كما أسهم الاستقرار السياسي في سورية في ظل الإمبراطورية الرومانية في ازدياد نشاط هذه المجتمعات والتبادل التجاري بينها وبين غيرها من الولايات[5].

ومما لا شك فيه أَنّ المجتمعات التجارية كانت أكثر انفتاحاً من غيرها بمعنى أَنّها أكثر تقبلاً للعادات والأفكار الرومانية، ولكنّ هذه المجتمعات التجارية الوطنية لم تشكل إلا أقلية صغيرة بالنسبة لباقي العناصر الوطنية، وإذا جاز التسليم بأَنّ هذه المجتمعات قد تأثرت ببعض أساليب الحياة

(1) ساره، خليل: 2008، ص 146.

(2) الميداني، محمد، الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني 64 ق.م – 305 م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2015، ص 205.

(3) المرجع نفسه، ص 208، 209.

(4) المرجع نفسه، ص 222.

(5) ROSTOVTZEFF, OP. Cit, p. 455.

الرومانية فإنه لا يجوز عدلاً التسليم بأَنّ هذه المجتمعات قد تخلت عن كل أساليب الحياة المتأصلة بين ظهرانيها منذ القدم(1).

أما فيما يخص أصحاب الورشات الصناعية والحرفيين في الفترة الرومانية يلاحظ أَنّ روما سمحت للجماعات الكبيرة من الصناع والحرفيين في المدن أَنّ يتحدوا ويشكلوا جمعيات ونقابات Collegia(2).

وتؤكد المصادر المكتشفة على أَنّه كانت توجد في تدمر في القرن الثالث الميلادي اتحادات حرفية قامت على أساس ممارسة الحرفة، كاتحاد العمال في مجال المجوهرات، وكذلك اتحاد النساجين والصباغيين، والنحاتين، حيث شكل الصناع جمعيات للحماية المشتركة وتبادل الخبرات والمنافع، وكانت تفرض على أصحاب الورشات الصناعية والحرفيين ضرائب كون طابع الإنتاج سلعي مما سمح بفرض ضرائب عليه(3).

وكان في كل مجتمع من هذه المجتمعات طبقة صغيرة تتألف من متوسطي الدخل الذين يكسبون رزقهم من ممارسة الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو العمل الحكومي، وهم المنتجون المباشرون المحرومون من ملكية وسائل الإنتاج(4).

ب – الفئات الوافدة:

– الإغريق:

كان السكان الإغريق يتواجدون في أنطاكية وأفاميا وسلوقية على العاصي واللاذقية وأغلب المدن الساحلية، وحتى في المدن الداخلية كدمشق وتدمر ودورا أوروبوس .

بدأ الاستيطان الإغريقي أواخر القرن الرابع ق. م واشتمل هذا الاستيطان على الجنود و التجار والمصرفيين والعلماء وبعض أصحاب الحرف الصناع(5).

وقد حصلت جميع المدن التي يتواجد بها الإغريق على جميع الامتيازات كوجود مؤسسة الجمنازيوم Gymnasiom التي تعد رمزاً من رموز المدينة الإغريقية حيث كان الشباب في أنطاكية

---

(1) ساره، خليل: 2008، ص 146.

(2) ورث, تشارلز : 1950، ص 87.

(3) شيفمان: 1987، ص 81- 88.

(4) المرجع نفسه، ص 171.

(5) الحلو، عبد الله: ص 929.

يتلقون تعليمهم التقليدي في الجمنازيوم الذي يؤهلهم لشغل الوظائف الهامة الحكومية والمدنية القضائية في المدن الإغريقية الجديدة[1].

ويوجد في كل مدينة مجلس Boule يعرف بمجلس المدينة وأيضاً كان هناك الاجتماع الشعبي Ekklesia [2].

وكانت نظمها الاجتماعية متقاربة فيما بينها وأهمها: إنشاء مصلحة الأحوال الشخصية التي تلزم الأفراد تسجيل أنفسهم والتصريح بمواليدهم، وذلك من أجل دفع الضرائب[3]، وكانت تفرض عليهم الضرائب المباشرة وغير المباشرة.

وتجلت الضرائب المباشرة في شكلين أساسين هما:

1 – ضريبة الأرض المستخدمة في الزراعة.

2 – ضريبة الرأس.

بالنسبة لضريبة الأرض فإنها تقوم على مقدار ما يملكه المواطن من أرض، وما يحرثه من هذه الأرض كأساس لتحديد مقدار الضريبة المفروضة.

أما فيما يخص الضرائب غير المباشرة: تتضمن الضرائب المفروضة على حركة السلع التجارية، وكان معدل الضريبة المطبقة في سورية على السلع أقل من 2,5% من قيمة السلعة[4].

كان باستطاعة المواطنين الإغريق أن يخدموا في الفرق العسكرية الرومانية، ويصحلوا على المواطنة الرومانية بموجب هذه الخدمة، أما السكان المحليين فكان من حقهم الخدمة في الفرق المساعدة ولا يحصلوا على المواطنة الرومانية إلا بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية في الجيش الروماني ومدة هذه الخدمة 25 عاماً[5].

وبقيت النخبة الإغريقية محافظة على هويتها الثقافية خلال الحكم الروماني في سورية، من حيث استمرار اللغة الإغريقية التي كانت لغة الأدب والفلسفة والعلم خلال الفترة الرومانية في سورية التي بدأت في السنة 64 قبل الميلاد[6].

---

(1) ساره، خليل: 2008، ص 175، ص 357 – 413.

(2) شيفمان: 1987، ص 186.

(3) آندريه إيمار، جانين بواته، تاريخ الحضارات العام، مجلد 2، ترجمة أسعد يوسف داغر، فريد داغر، بيروت، 1964، ص 330.

(4) SCHMIDT: 1996, p. 105-107.

(5) ساره، خليل: 2008، ص 357.

(6) LIDEWI. DE, Narratives of Roman Syria, Stand Ford University, 2007, p. 8.

– الرومان:

تأتي فئة الرومان على رأس الهرم الاجتماعي في سورية، وتتكون من كبار الموظفين والجنود ورجال الأعمال والتجار, وهي فئة لم تكن كبيرة العدد بالنسبة لباقي السكان، وتتمتع هذه الفئة بكل الامتيازات، مثل: الاعفاء من الضرائب والخدمات الإلزامية التي كانت دون أجر Leitourgia منها بناء الجسور وأعمال البناء والالتزامات العسكرية[1], كان المستوطنون الرومان أقل كثافة من اليونان في المدن السورية، لأن الاستيطان الروماني قد بدأ في القرن الأول الميلادي، عدا عن ذلك كانوا مترفعين عن السكان المحليين، ولم ينتج عن وجودهم ذلك التمازج كما كان الحال بالنسبة للإغريق، وبالتالي فإن التأثير الروماني في الحياة الاجتماعية والثقافية لم يصل إلى درجة يمكن مقارنتها مع التأثيرات الإغريقية[2].

على الرغم من ذلك لعبت فئة الرومان دوراً بارزاً في حياة المجتمع السوري ، ولاسيما داخل الوسط الارستقراطي حيث كانوا يشكلون فئة لها وزنها ضمن فئة كبار مالكي الأراضي[3]، وذلك لأن الإمبراطور الروماني كان يقوم بتوزيع الأراضي على المحاربين القدماء Veteranl ليقوموا بالأعمال الزراعية بدلاً من دفع رواتبهم المرهقة لخزانة الإمبراطورية[4].

كان في سورية في عصر أوغسطس (31 ق.م – 14 م)، أربع فرق[*] من الجيش الروماني بالإضافة للوحدات المساعدة من سكان الولاية، إلا أنها تخضع لأمرة ضباط رومان، ومن حق الجندي الذي يخدم في الفرق المساعدة، أن يحصل على المواطنة الرومانية بعد الانتهاء من الخدمة في الجيش الروماني[5]، ولكن هذا القانون عُدل في عهد سبتيميوس سيفروس (194 – 211 م) بأن جعل جعل مجرد الانضمام للجيش الروماني كافياً لأن يُعطي الجندي حق المواطنة الرومانية[6].

---

(1) شيفمان: 1987، ص 159.

(2) الحلو، عبد الله، سورية القديمة، الكتاب الأول، دمشق، ص 929، 930.

(3) شيفمان: 1987، ص 143.

(4) المرجع نفسه, ص 74، 75.

(*) كان تعداد الفرقة في العصر الإمبراطوري ستة آلاف ومائة جندي مشاة، ويترأس الفرقة ضابط برتبة (Legatu) ويساعده ستة ضباط برتبة تريبون (Tribunus)، وترأس كل ميئة قائد يطلق عليه اسم قائد المائة (Centurio) ويساعده في ذلك نائبه الذي يطلق عليه اسم (Optio).(انظر: العمر, بديع, الجيش الروماني في الفترة الرومانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2010).

(5) الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ج 2، دمشق، 1981 – 1982 م، ص 56، 57.

(6) زيادة، نقولا، فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي، الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، 1990، ص 191.

ونتيجة ذلك تزايد عدد الشباب السوريين في الجيش، مما جعل هذا الجيش ليس له في الحقيقة من الصبغة الرومانية إلا الاسم، إذ أن معظم عناصره كان من أبناء المنطقة العربية.

ومن الشباب السوريين الذين التحقوا بالجيش فيليب العربي مع عدد كبير من أبناء وطنه، وبالفعل ظل فيليب يتدرج في المناصب حتى عينه الإمبراطور جورديان الثالث (238 م – 244 م) قائداً للحرس الإمبراطوري، ومن ثم تسلم فيليب العربي سدة الحكم في روما عام 244 م[1].

وفي عام 212 م منح الإمبراطور كراكلا Caracalla (211 – 217 م) حق المواطنة الرومانية لكل سكان الإمبراطورية الأحرار، وبذلك تكون القاعدة الشعبية الاجتماعية للسلطة الرومانية قد توسعت إلى أقصى حد ممكن[2]. فأصبح أي سوري منذ ذلك الحين فصاعداً مواطناً رومانياً.

– اليهــود:

كانت هذه الفئة تتواجد في أنطاكية ودمشق وأفامية وفي كل المدن التي تتمتع بأهمية ما، وتضاف إلى ذلك بعض الجماعات الريفية في سورية الجنوبية في حوران والجولان[3].

في مدينة أنطاكية كانوا يتمتعون بكافة الحقوق التي يتمتع بها مواطنو أنطاكية ، وفي دورا أوروبوس وأيضاً كان كان هناك أرض مشاعية يهودية في المدينة[4].

مارس اليهود التجارة في سورية، واشتهروا بالغنى الشديد ، ونظراً لخبرة اليهود المالية فقد أوكلت إليهم مهمة تحصيل الضرائب المباشرة داخل سورية[5].

في الفترة الرومانية حصلت صراعات بين اليهود بين ما هو مؤيد للرومان ، وبين ما كان يدعو إلى التشدد والاستقلال[6].

وقد عانت الجماعات اليهودية من التمرد ضد الرومان في الأعوام 66 – 70 م[7]، حيث حرموا حرموا من جميع الامتيازات التي منحت لهم منها الحرية والاستقلال في ممارسة شؤونهم الدينية والقضائية وبناء أماكن العبادة الخاصة بهم.

---

(1) حمدان، عبد المجيد: 2004، ص 86.

(2) شيفمان: 1987، ص 143.

(3) سارتر، موريس، سورية في العصور الكلاسيكية، ترجمة محمد الدنيا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2008، ص 126.

(4) شيفمان: 1987، ص 184, 185.

(5) SCHMIDT: 1996, p. 108.

(6) ساره، خليل: 2008، ص 382.

(7) سارتر: 2008، ص 127.

2 – طبقات المجتمع:

انقسم المجتمع السوري خلال الحكم الروماني إلى عدة طبقات:

أ – الحكام والاداريون:

وكانت تأتي في قمة الهرم الاجتماعي، وتتألف من الحاكم الروماني، وكبار مساعدي الحاكم من المدنيين والعسكريين:

– الحاكم الروماني:

نظراً لأهمية سورية الاستراتيجية، فقد وضعت تحت إشراف الإمبراطور الروماني مباشرة، وأصبح يتولى إدارتها مبعوث يدعى Propraetorae Legatus Augusti في مرتبة قنصل سابق، ومساعده Pocurator من طبقة الفرسان يشرف على الشؤون المالية، ومقرهما العاصمة أنطاكية[1].

ويأتي الحاكم الروماني في قمة الهرم الإداري في الولاية الرومانية، والمسؤول عنها ويتمتع بسلطات عسكرية وقضائية، ومن اختصاصاته العسكرية : أنه يعتبر قائد الجيش الروماني في سورية ويشرف على نظام التجنيد.

أما اختصاصه القضائي فيتمثل : في أنه يعتبر القاضي الأول للولاية وأحكامه نهائية، ويساعده في هذا الشأن مجلس قضائي. ولم تكن سنوات حكمه ثابتة حيث تتراوح بين 3 – 5 سنوات[2].

– مساعد الوالي (Procurator):

هو من طبقة الفرسان حيث يتربع على قمة الإدارة المالية، وله نائب ينوب عنه في هذه الإدارة، وإلى جانب هذا النائب كان هناك مجموعة من المساعدين حملوا لقب Publicanus كملتزمي للضرائب[3].

– موظفو الولاية:

حيث يعملون في الإدارات المدنية والعسكرية في الولاية، ويعينون من قبل الوالي الروماني ويمثل هذه الفئة مما يلي:

---

(1) REY COQUAIS: 1978, p. 67.

(2) كسواني، جورية، الإدارة والتنظيمات الإدارية في سورية (64 ق.م – 305 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2004 – 2005، ص 171، 172.

(3) الميداني، محمد: 2015، ص 336.

– الستراتيجوس Strategos:

كانت توكل إليه مهمة تنظيم الأمن ، وتأمين سلامة الطرق التجارية, وقد ورد هذا المنصب في النقوش التدمرية حيث تولى مقاومة البدو الرحل، وتأمين سلامة القوافل التجارية فيها.

كانت هيئة الاستراتيجيين تتألف من شخصين، وكان يمكن تجديد من يتولى هذا المنصب عدة مرات , وغالباً ما أطلق على الإستراتيجيين لقب موظفي الوالي الذين يعهد إليهم بحكم مقاطعة ما من الولاية، وقد تولى قيادة فيلق من الجيش الروماني في سورية، وهذا ما أكده المؤرخ يوسيفيوس ويروى في هذا المجال أنه أثناء الصدامات التي جرت بين اليهود وسكان غزة كان إستراتيجي غزة، ويدعى أبلودوت يقود فيلقاً من المحاربين قوامه ثمانية آلاف محارب، وقام بمهاجمة معسكر اليهود[1].

– قائد المائة Centurion:

هو ضابط محترف، وكان يوجد في كل فيلق ستون شخصاً برتبة قائد مائة لكل كتيبة ستة، وقائد المائة يرقى بنقله من كتيبة إلى أخرى ، ويتقاضى مرتباً عالياً.

وكانت توكل إليه مهمة الإشراف على شؤون الجيش، ومراقبة المدن والقرى الصغيرة، حيث يرد اسمه مع اسم الوالي في النقوش التكريمية على الأبنية العامة في المدن والقرى[2].

– هيئة القضاة:

ولهم القاب عدة: لقبوا أولاً Tponomtaio ومن بعد الأمناء أو الخزان .

ويسمى رئيس هيئة القضاة Ekdikos المحكم الأعلى ، ويتم انتخاب هؤلاء في اجتماع عام لم يرد بالمصادر كم كان عددهم والمدة الزمنية التي يستمرون في ممارسة أعمالهم.

وكان من أبرز مهامه:

- إصدار مراسيم لها تأثيرها في المصالح العامة على سبيل المثال هناك قرار صدر من هيئة القضاة ينظم استعمال الأرض المشاع في القرى.
- الإشراف على بناء المعابد حيث يتم البناء بقرار منها، فإن التاريخ الذي ينقش على واجهة المعبد في صيغة الوقف والتخليد كان يذكر بأنه تم في عهد قاضي القرية فلان[3].

(1) شيفمان: 1987، ص 189 – 196.

(2) جونز، مدن بلاد الشام حيث كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، دار الشروق، عمان، 1987، ص 107.

(3) المرجع نفسه,ص108،109.

– موظفو البلدية Epimilites:

الابيميليت هو الرجل المفوض من قبل السلطة الرومانية للإشراف على عملية البناء.

وتفاوت عددهم بين اثنين وخمسة أشخاص .

ويرد ذكر هذا المنصب في النقوش التدمرية المكتشفة في منطقة نبع إفقه[*]،حيث يحتوي الصيغة التالية : (ايبميليت نبع أفقة الذي اختاره الإله يرحبول)

وهنا يلاحظ أن الآلهة هي التي اختارت هذا الشخص لشغل منصب الإيبميليت، وهذا ينفي إمكانية تدخل السلطات المحلية في انتخابه أو تعينه، والسبب في ذلك يعود للقداسة التي تتمتع بها نبع إفقه كمركز محلي[1].

– محصلو الضرائب Dikaproti:

وهو المركز الأقل أهمية في سلم الارتقاء الاجتماعي في المدن، وتسمح القوانين الرومانية لمن هم دون الخامسة والعشرون بشغل هذا المنصب، وكان يتم تعينهم مباشرة من قبل الحاكم الروماني واشتملت مهمته على تحصيل وجباية الضرائب[2].

– موظفو الشرطة والأمن Peculator:

لم يرد في المصادر كم كان عددهم حيث كانت سلطتهم على السكان الرومانيين والسكان المحليين, ومهمتهم حفظ الأمن ومراعاة الحقوق والامتيازات والعادات السائدة في المدن.

وكانوا يقومون بجولات تفتيشية بهدف الحفاظ على الأمن والنظام في الولاية[3]،

فيما يتعلق بالقرى كانت مسؤولية حفظ الأمن والنظام تقع على عاتق المدينة التي توجد ضمنها القرية[4].

(*) نبع أفقة (الحمام الكبريتي) هذا النبع هو سبب نشوء مدينة تدمر ولا يزال شريانها الحامل للخير في قلب الواحة ، يتدفق الماء من كهف في جبل المنطار ،ويمتد أكثر من 350 م ،مياهه معدنية كبريتية .

(1) شيفمان: 1987، ص 196– 198

(2) المرجع نفسه، ص 200.

(3) ورث, تشارلز: 1950، ص 29.

(4) حتي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت، ص 331.

ب – الطبقة الارستقراطية:

كان هناك نوعان من الارستقراطية: الارستقراطية العقارية والارستقراطية التجارية التي كانت تملك ثروات مالية كبيرة.

ولم يكن عدد أفراد هذه الطبقة كبيراً، وكان لكلّ فرد من أفراد هذه الطبقة وأسرهم بيت كبير، يتألف من عدد من الغرف بعدد أفراد الأسرة، وعدداً من التابعين والعبيد والخدم، ويتمتع أفراد هذه الطبقة بالنفوذ والسلطة والثراء وملكية الأرض الزراعية الكبيرة، التي تتناسب مع وضعهم الاجتماعي وهم يمثلون قمة الهرم الاجتماعي[(1)].

وهذه الارستقراطية المالية قامت ثروتها بشكل أساسي على ملكية الأرض والتجارة، وتدل التقدمات والأضاحي التي تقوم بها هذه الطبقة على سعة ثروتها.

إن الرأي العام الاجتماعي كان يقدر أعمال هؤلاء الأغنياء الخيرية، وكذلك مختلف التقدمات التي يقدمونها لمدينتهم ، وهذه التقدمات كانت مظهراً من مظاهر الطبقة الأرستقراطية لإبراز نفوذها وسيطرتها، هذا ما أورده المؤرخ الكنسي يوحنا مالالا Malala[(*)] في روايته عن الأنطاكي سوسيبي الذي عاش في القرن الأول الميلادي حيث كان من كبار الأغنياء في أنطاكية تقول الرواية: أنه أوصى لمدينته بمبلغ من المال يكفي لدفع الضريبة المترتبة عليها لعام كامل[(2)].

وكانت الأسر الارستقراطية تحافظ على علاقتها الدينية بالمعبد[(3)].

ويروي نقش مؤرخ عام 116 – 117 م من مدينة دورا أوروبوس، أن الاسكندر بن إيبنيك قام بترميم هيكل للآلهة على نفقته الخاصة، وكان هذا الهيكل قد بناه والده إيبنيك على نفقته الخاصة[(4)].

وعمل الرومان على كسب الارستقراطية المحلية إلى جانبهم من خلال منحهم المواطنة الرومانية والسماح لهم بدخول مجلس الشيوخ في إطار السياسة العامة تجاه الولايات وذلك منذ عهد أوغسطس[(5)].

حيث اندمجت هذه الفئة في سلك الإرستقراطية الإمبراطورية، وأظهروا نشاطاً ملحوظاً في تحمل الأعباء المالية في الإمبراطورية[(6)].

---

(1) رضوان، فاروق، الاسكندر الأكبر دراسة تحليلية لمؤثراته الحضارية، المكتبة العصرية، 2006، ص 16.

(*) يوحنا مالالا (491 – 578): مؤرخ سوري ولد في أنطاكية ، له كتاب من 18جزءاً من بدء الخليقة حتى عام 565م اهتم كثيراً بمدينة انطاكية التي كان يعتبرها مركز العالم ، وكانت دراسته عنها علمية وشملت كل النواحي.

(2) شيفمان: 1987، ص 141 ، 142.

(3) رستوفتزف: 1957، ج 2، ص 637.

(4) شيفمان: 1987، ص 136.

(5) المرجع نفسه، ص 169.

(6) رستوفتزف: 1957، ج1، ص 350.

ج – طبقة المحاربين القدماء:

– المحاربون القدماء من السكان المحليين:

الذين أدوا خدمتهم العسكرية في أماكن بعيدة عن مسقط رأسهم، ولكنهم عادوا إلى وطنهم الأصلي وانضموا لعائلتهم.

وحصلوا على حق المواطنة الرومانية، وكان المواطنون الرومان الجدد يتخذون لأنفسهم أسماء رومانية، وحصلوا على دعم ومساعدة السلطات الرومانية فتحولوا من أوساط المحكومين إلى أوساط الحاكمين ووصلوا إلى مستويات رفيعة في الولاية[1]، ومنحوا أراضي زراعية ليقوموا بزراعتها بدلاً من دفع مرتباتهم، وإذا تم استصلاح هذه الأراضي بحيث تصبح صالحة للإنتاج عندئذ يتم إعفاؤهم من الضرائب المفروضة على هذه الأراضي[2].

وساهموا كلٌّ بحسب ماله في دعم وتمويل القرى، وكانت تنقش أسماؤهم مع المبلغ المقدم كعرفان لهم بالجميل، كما بنوا لأنفسهم المساكن الفخمة منافسين بذلك أفراد الطبقة الأرستقراطية من الملاكين والتجار[3].

– المحاربون القدماء من الرومان:

بدأ استيطان المحاربين الرومان القدماء في سورية في القرن الأول الميلادي حتى الثالث الميلادي.

أدوا خدمتهم كمقاتلين في قطعات الجيش الروماني المتواجدة في سورية، أقام هؤلاء هنا فترة زمنية طويلة، وانقطعت علاقاتهم مع أوطانهم الأصلية، وشكلوا علاقات جديدة في الولاية وانخرطوا في الجماعات المدنية ، وتزوجوا من سوريات هذا ما يأكده النقش IGRR, III، 1310 من بصرى ويورد في النقش: فلافي مكسيم، محارب قديم، زوجته أفيريليا أنطونيا أقامت على نفقة زوجها وأولادها نصباً مقدساً، تبرعت بأربعين ألف سيستريوس[4].

---

(1) شيفمان: 1987، ص 167.

(2) الميداني، محمد: 2015، ص 130.

(3) صافي، رحاب، الولاية العربية في العصر الروماني من ترايان إلى ديوقلسيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2012، ص 96.

(4) شيفمان: 1987، ص 161– 167.

د – طبقة الكهنة:

تشمل الكهنة ومن يقوم على خدمة الآلهة والمعابد(1)، ويورد لوقيانوس في كتابه (الإلهة السورية) عدداً من الكهنة في مدينة هيرا بولس «منبج» ويعدد منهم:

- رئيس الكهنة: حيث يتم تعيين كاهن أكبر جديد كل سنة.
- المسؤولون عن ذبح الأضاحي.
- حملة النار.
- معاونو إعداد القرابين.
- عازفوا الناي والشبابة.
- الغال Galles وهي تسمية يطلقها لوقيانوس على خدمة المعبد من الكهنة ، ويعود أصلها إلى الغاليين الذين أقاموا احتفالات دينية تكريماً للإلهة (سيبيل)(*) على ضفاف نهر غالوس.
- النساء المقدسات لم يرد في كتاب لوقيانوس, الإلهة السورية, كم كان عدهن ودورهن في الطقوس الدينية والمعبد .
- المراقب الذي يعينه الكهنة، ويشرف على طقس نقل المياه في الجرار، ويرد اسمه عند لوقيانوس بالديك المقدس.

ويتمتع كبير الكهنة بصلاحيات دينية واقتصادية، وأحياناً سياسية واسعة مع وجود عدد كبير من الكهنة الذي كان يشرف عليهم ، ويتحدث لوقيانوس عن وصول أعدادهم حتى الثلاثمائة في هيرابوليس، وازدادت أهمية دورهم نتيجة الميل إلى التنبؤ ومعرفة الغيبيات في هذا العصر.

ومن أهم مهام الكهنة الإشراف على المعبد والحفاظ عليه، وتزيينه أيام الأعياد وتزيين تماثيل الآلهة وتنظيفها، والإشراف على طقوس العبادة من تطهر ورفع الصلوات وتقديم النذور والأضاحي والتنبؤ(2).

---

(1) لوقيانوس، الإلهة السورية، تحقيق ماريو مونييه، تعريب موسى ذيب الخوري الأبجدية للنشر، دمشق، 1993، ص 42 – 105.

(*) سيبيل Cybele – إلهة الأرض أو الآلهة الأم (وأحياناً أم الآلهة) عرفت بهذا الاسم عند الإغريق والرومان وآسيا الصغرى حتى القرن الخامس ق.م ثم عرفت بأسماء أخرى كثيرة – عناة – عشتار – ايزيس، انظر: بارندر، جفري المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام مجلة عالم المعرفة، العدد 173، الكويت، 1990، ص 389..

(2) لوقيانوس: 1993، ص 42 – 105.

هـ – الطبقة العامة:

وتضم أصحاب الملكيات المتوسطة، وصغار ملاكي الأراضي الزراعية في المجتمع الزراعي الاقطاعي[1]، ومن الكهنة الذين يديرون أراضي المعابد المحلية، وكبار التجار الذين يعملون في تجارة القوافل من سكان تدمر و دورا أوروبوس ، بالإضافة إلى فئة صغار الكسبة وكانوا من الفلاحين الذين يشكلون الغالبية العظمى وأصحاب الحرف والأعمال التجارية[2].

و – طبقة العبيد:

كانت العبودية منتشرة في سورية خلال هذه الفترة، وتشير الوثائق بتحديد نوعين من العبودية :

1- مؤقتة ومرتبطة بتسديد الدين وفوائده .

2- دائمة تظهر من خلال حق ملكية العبيد وإمكانية البيع والشراء من الشخص المالك، فهناك وثيقة من دورا أوروبوس تعود لسنة 180 م تتحدث عن إعطاء أحدهم عبيداً إلى ابنته، تقول الوثيقة إنّ (الرجل اسمه لم يصلنا) ابن سلوقس بن تيومينستا قد أعطى هؤلاء العبيد إلى ابنته أمافيارا ملكية خاصة لها ولورثتها إلى الأبد, وكانت عملية استعباد المنتجين الصغار الأحرار موجودة ومعمول بها في حال لم يتمكنوا من ايفاء الذين, كما كان باستطاعة العبد بعد تحررهم أن يملك ثروات كبيرة ويتصرف بها كما يشاء، ويشارك في عمليات تجارية واسعة النطاق داخل البلاد وخارجها[3].

ومن أهم الوثائق التدمرية التي تأتي على ذكر العبيد في تدمر التعرفة الجمركية الشهيرة (CIS, II, 3913) حيث يكون العبيد هنا مجال لتجارة الترانزيت، وكانت تفرض ضرائب كبيرة على بيعهم وشرائهم، وهذه التعرفة الجمركية أخذت بعين الاعتبار الحالات التالية :

1 – جلب العبيد إلى داخل حدود تدمر.

2 – بيعهم في المدينة وضواحيها.

3 – إخراج العبيد خارج حدود تدمر.

---

(1) نعيم، فرح، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، العصر القديم، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وقضايا الفلاحين في الوطن العربي، المجلد الأول، ص 521، 523.

(2) الحلو، عبد الله، ص 956.

(3) شيفمان: 1987، ص 118– 122.

وفي التعرفة الجمركية يأخذ الجابي على العبيد الذين يدخلون تدمر أو إلى إقليمها عن كل عبد 22 ديناراً أو عن العبد الذي يباع في المدينة ولا يصدر منها 12 ديناراً أو عن العبد القديم المباع 10 دنانير وإذا صدر المشتري العبيد يدفع عن كل منهم 12 ديناراً والنص يستخدم كلمة العبد بالتذكير ولكن يجب أن يفهم القانون بشكل عام دون التميز بالجنس.

كل هذه الحالات تعامل العبيد كموضوع بيع وشراء يجلب ضرائب كبيرة، ويلاحظ أن واضعي التعرفة الجمركية سعوا لعرقلة استيراد العبيد لمنع منافسة السكان المحليين في الأعمال المأجورة في تدمر[1]. كما عرف القانون السوري شكلاً من أشكال تحرير العبيد، بحضور شهود[2].

(1) شيفمان: 1987, ص 115– 117.

(2) المرجع نفسه، ص 123.

ثانياً – سكان الريف والمدن:

1 – الريف:

إنّ غالبية السكان في سورية كانت تعيش في الريف، فليس هناك منطقة لا تحمل علامة مرئية عن الحضارة القروية لسورية، ومن العلامات المرئية في الريف السوري خلال الحكم الروماني: الثراء في حالة البناء كحجم المساكن الخاصة والمزارع الكبيرة، وكذلك حجم القبور والمعابد وغيرها(1).

حيث سكن الفلاحون في قرى متفاوتة المساحة، وفي داخل القرى نفسها يلاحظ انعدام ترتيب المنازل، وكانت القرى محاطة بسور بني للحماية من البدو الرحل(2).

وبقي أساس السكان في الريف السوري آرامياً على نطاق واسع، ومعظم سكان الريف عاشوا على نهجهم القديم مخلصين لآلهتهم، ولمعابدهم موجهين جهودهم إلى حقولهم وإلى قطعانهم(3).

تطورت القرى بشكل ملحوظ في سورية خلال فترة الاستقرار، وانتشار الأمن والأمان أثناء الحكم الروماني، ولاسيما في شمال غربي سورية وخاصة في المناطق الجبلية وأيضاً في جنوب سورية (حوران) .

وأقيمت في القرى الكبيرة الأسواق التجارية ،وشُقت الطرق إليها، ونشطت الزراعة والصناعات الزراعية ومنها الصناعات الغذائية والزيوت والخمور، وازدهرت فيها زراعة الأشجار المثمرة من زيتون ورمان وتين وكرمة، ويدل على ذلك وفرة عدد المعاصر التي وجدت في المواقع الأثرية في تلك المناطق ومثال على ذلك قرية فينا (المسمية) في حوران.

كان سكان القرى يمتلكون الكثير من الأراضي الصالحة للزراعة ، ولكثرة زراعة الكرمة في هذه المناطق راجت صناعة الخمور وخاصة خمور القرى والمناطق التابعة لأنطاكية عن جدارة في العالم وكانت تصدر إلى روما والمناطق الغربية من الإمبراطورية الرومانية(4).

كان سكان القرى في الريف السوري يعيشون على ما تنتجه حقولهم من كروم ونخيل وتين وحبوب، وكان منهم من يعمل كنجار أو حداد أو صانع أحذية أو بائع(5).

---

(1) سارتر، موريس: 2008، ص 88.

(2) فورتان، ميشيل، سورية أرض الحضارات، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999، ص 74.

(3) رستوفتزف: 1957، ج2, ص 355.

(4) حتي، فيليب: 1982، ص 319 – 338.

(5) المرجع نفسه، ص 331.

تقدم نقوش حوران انطباعاً بأنه لا فرق بين التشكيل القروي وبين نظام المدن المجاورة.

حيث يوجد في النقوش القروية جوهر الحياة المدنية وذلك من خلال (الهيئة القروية، الشيوخ والسادة المختارين، صندوق (خزانة) العامة ، الأبنية العامة المشادة على نفقة الجماعة أو نفقة النبلاء، الأماكن المقدسة والاحتفالات التي أنيطت بالسادة مهمة رعايتها).

إن ذكر عبارة (Κώμη) تؤكد حقيقة وجود مجتمعات قروية منظمة ومستقلة وتمتعت بالاستقلالية في الإدارة[1].

الموضوع الذي أثار جدلاً هو ما إذا كانت هذه القرى تملك مستشارين، حيث يرى الباحث سارتر أنه يجب أن نتمسك بوجود أفراد كانوا مستشارين في المدن أو القرى إضافة إلى أنهم كانوا أسياداً في قراهم ، كما كان يوجد في القرى الريفية مبعوثين تماماً كما في المدن ، ويؤكد نقش من (Phaina) (المسمية) التي تقع في حوران بأن سكان (فينا) كان لديهم مندوب (مفوض) (Ɛkδιkço) عند حاكم سورية ليشتكي عن سوء استخدام الأوامر الرسمية في هذه القرية للحاكم الروماني[2].

وتوجد في القرى العديد من المنشآت العامة كالمشاغل، والاصطبل (الزريبة) والأبراج، والنافورات (الفسقيات) ومخازن الحبوب.

أما عن تمويل هذه المنشآت فقد كان تمويل عام وتمويل خاص ، بالنسبة للتمويل العام فكثير من النقوش أشارت إلى أبنية مشادة على نفقة الجهات العامة (الصندوق العام)، وربما كان ريع هذا الصندوق العام من إيرادات الأراضي العامة والمشاغل.

بالنسبة لتمويل الأبنية الدينية المقدسة فقد مولت فقط من قبل صندوق الإله وكانت موارده تأتي من تبرعات سكان القرية والأشخاص الذين يقدمون تقدمات للمعابد والآلهة[3].

أما فيما يتعلق بالتمويل الخاص لهذه المنشآت فقد كان من قبل النبلاء والجنود كلٌّ بحسب ماله في دعم وتمويل القرى.

ويتخذ القرويون القرارات في القرى من خلال الاجتماع العام الذي يعقده أهل القرية، و كان هناك مكان مخصص لاجتماعات أهالي القرية ، ويوجد أيضا مكان مخصص لاحتضان اجتماعات سادة القرية.

---

(1) SARATRE. M, Communautes Villageoisés Et Structures Sociales Dáprès L'Eṗigraphie de la Syrie Du Sud" in: A. DON ATI (éd), L'Epigrafia Del Villagio, Faenza, P. 118 – 212.
(2) Ibid, P. 122 - 125.
(3) SARTARE. M: 1993, P. 125 , 126 , 127.

كما أن أعضاء مجالس المدن كانوا يقومون بدور مهم في حياة القرية ، وأيضاً كان المحاربون القدماء يشاركون في تمويل ودعم القرى التي يملكون أراضي فيها[1].

وبالنسبة للمنازل الريفية فإنّها كانت متسعة الأرجاء، متينة البناء، فيها اصطبلات وحظائر للماشية وحجرات للعبيد في الطابق الأرضي وقاعات للاستقبال[2].

أما الطابق الأعلى من البيت فكان يشتمل على أقسام مخصصة للحياة العائلية وتتميز هذه المساكن بواجهات ضخمة وأبواب تعلوها نوافذ مع وجود حنيات، وهي تضم قاعات كبيرة ذات قوس مرتبط بحجرات أصغر تتميز بجدرانها المكسوة بعناية بزخارف منحوتة ، والمزودة غالباً بخزائن ورف متوسط.

ومن وجهة نظر معمارية، فإن كافة المساكن الريفية في سورية لها النمط التنظيمي نفسه، مخطط بشكل حرف L أو U أو مغلقة بالكامل حول باحة، ويكمن الاختلاف بينها على مستوى الأبعاد والحجم والعناصر الزخرفية المطبقة فيها، وتعود هذه الاختلافات بالتأكيد إلى رتبة وغنى المالك.

ويمكن أن نتساءل من هم أصحاب هذه البيوت الكبيرة ؟ حيث تكشف بعض الكتابات أن كثيرين من أعيان المدن كانوا ملاكاً لأراضي واسعة، وتبين كتابات أخرى وجود جنود قدماء عادوا ليستقروا من جديد في البلد بعد أن أمضوا عشرين أو خمسة وعشرين سنة من الخدمة العسكرية في الجيوش الرومانية. وكان التعويض الذي ينالونه يسمح لهم بشراء أراضي والعيش كالأعيان في قراهم حيث قام بعضهم بلا شك ببناء بيوت جميلة وكبيرة.

وهذه البيوت الكبيرة لم تكن لتبنى إلا خلال فترة من الاستقرار ، والازدهار الذي تمتعت فيه سورية خلال الحكم الروماني[3].

هكذا فإن الريف السوري في الفترة الرومانية اتسم بوجود مجتمعات قروية منظمة ومستقلة ذاتياً، وشهد نمواً سكانياً ولاسيما في حوران والمدن المنسية في الشمال السوري.

---

(1) SARTARE. M: 1993, P. 128 – 135.

(2) رستوفتزف: 1957، ج2, ص 348.

(3) باسكال، كلوس، البيوت الريفية القديمة في سورية الجنوبية، ترجمة الحوليات، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد 49 – 50، دمشق، 2006 – 2007، ص 253، 254.

2 – المـدن:

حظيت المدن السورية خلال العصر الروماني بالرعاية والاهتمام كما أعيد بناؤها وتطويرها بشكل ملحوظ دون إحداث تغيرات جذرية(1). نعمت سورية في العصر الروماني بفترة من السلم وذلك بفضل سياسة أباطرة الرومان، فانتشر الهدوء، وساد النظام في جميع أنحاء سورية، مما ساعد على الاستمرار في متابعة المشاريع العمرانية(2).

ومنحت العديد من المدن السورية الحكم الذاتي Libertas كما نالت الإعفاء من الضرائب(3).

فقد نالت دمشق لقب Metropolis(المدينة الأم) في عهد الإمبراطور هادريان (117 – 138 م)، وأعفاها إسكندر سيفيروس (222 – 235) من دفع الضرائب.

ومنح انطونيوس (44 – 30 ق.م) مدينة أنطاكية الحقوق الخاصة بالولايات الرومانية وانصرف الرومان إلى تجميلها حتى غدت ليست عاصمة سورية فحسب بل عاصمة الإمبراطورية الرومانية في الشرق(4).

إنَّ الأهمية السياسية والإدارية للمدن السورية كانت تزيد أو تنقص تبعاً لمواقفها من الأباطرة الرومان، كان الأباطرة يمنحون الألقاب والامتيازات لبعض المدن مكافأة لها على حسن سلوكها ويجردونها منها كعقاب لعدم ولائها(5).

فقد قام الإمبراطور سبتيموس سفيروس (194 – 211 م) بتجريد أنطاكية من رتبة ميتروبوليس Metropolis (المدينة الأم) وجعلها قرية تابعة للاذقية ثم أعاد لها مرتبتها فيما بعد، وجعلها كراكلا (211 – 216 م) مستعمرة(6)، وقد منح فليب العربي (244 – 249 م) مدينة بصرى لقب Metroplis(7).

---

(1) عبد الكريم، مأمون، آثار العصور الكلاسيكية في بلاد الشام، جامعة دمشق، 2008، ص 16.

(2) زهدي، بشير، بناء وتنظيم المدن السورية في العصر الروماني، الحوليات الأثرية السورية، مجلد 4–5، دمشق، 1954، 1955، ص 48.

(3) ورث, تشارلز: 1950، ص 337.

(4) زهدي، بشير: 1955، ص 48.

(5) الحلو، عبد الله: الكتاب الأول، ص 956، 957.

(6) ليبانوس، الأنطاكي، ترجمة محمد الزرقة، دار اسكندرون، دمشق، 2004، ص 186، 187.

(7) ميلر، روس، بصرى في بلاد العرب مدينة نبطية رومانية في بلاد الشام، ترجمة شوقي شعث الحوليات الأثرية السورية، مج 36 – 37، دمشق، 1986، ص 136.

ومن أباطرة الرومان الذين أقاموا في سورية بأعمال عمرانية هادريان (117 – 138م) الذي لقب بالمحسن إلى المدن السورية وسمح لتدمر بحمل اسمه، فعرفت باسم بالميرا هادريانا ومنحها الحرية والاستقلال الذاتي والمزيد من الامتيازات السياسية والإدارية. أما أنطاكية فحظيت باهتمام كبير منه، حيث أقام فيها عدداً من المنشآت الهامة أشهرها حمامات هادريان(1).

والإمبراطور فيليب العربي (244 – 249) الذي أسس مدينة جديدة في سورية دعيت باسمه فيليبوبوليس (شهبا). والإمبراطور فاليريان (252 – 268 م) الذي أشرف بنفسه في عام 259 على أعمال بناء ما تهدم من أنطاكية بعد الغزو البارثي الذي لم يترك في أنطاكية إلا الخراب والأطلال.

ساعد في ازدهار المدن السورية تقدم الزراعة، ونشاط الصناعة، وازدهار حركة التجارة ولاسيما كثرة التبادل التجاري بين الشرق والغرب عن طريق سورية، كلّ ذلك أدى إلى نمو الاقتصاد السوري، وساعد المدن على الازدهار والتوسع بشكل يدعو للإعجاب يتجلى ذلك في أنطاكية عاصمة سورية، وتدمر عروس الصحراء، وفيليبوبوليس (شهبا)(2).

خلال الحكم الروماني بقيت المدن يونانية الطابع، وفي الحقيقة فإنَّ الطابع اليوناني لهذه المدن أصبح ملحوظاً بشكل أقوى خلال الحكم الروماني في سورية(3).

حيث تبنى مهندسو تنظيم المدن السورية في العصر الروماني المخطط المنتظم (الهبودامي)(*) الذي ساد في العصر الهلنستي على نطاق واسع، وكان يبدأ في تخطيط المدينة – كما هو الحال في تخطيط المعسكرات – بتعيين شارعين رئيسين أحدهما decumanus يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب، والآخر Cardo يمتد من الشمال إلى الجنوب. ويتقاطع هذان الشارعان بزوايا قائمة. وخير نموذج لتخطيط المدن في العصر الروماني مدينة فيليبوبوليس (شهبا) وأيضاً أنطاكية وتدمر ودمشق(4).

كما كانت المدن السورية خلال الحكم الروماني تستمتع بالماء النقي، والحمامات العامة والمجاري الممتدة تحت الأرض، والأسواق النظيفة، ومدارس التدريب الرياضي وساحات الألعاب

(1) أبو اليسر، فرح: 2002، ص 363 – 366.

(2) زهدي، بشير: 1955 ، ص 49.

(3) ROSTOVTZEFF, M: The Near East In The Hellenistic And Roman Times, Harvard University, P. 8-9.

(*) هيبوداموس Hippodamos: أول مهندس إغريقي من ميليتوس ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد وهو أول من قام بتأسيس المدن حسب التخطيط الشبكي المدني.

(4) زهدي، بشير: 1955، ص 52.

والمحاضرات، والموسيقا والمدارس، والهياكل والأقواس والتماثيل العامة ومعارض الفن العمومية، وهي المظاهر التي كانت تمتاز بها المدن الهلنستية(1).

وكانت توجد بها المباني العامة الكبيرة مثل مجلس الشيوخ Curiae ودواوين الموظفين العموميين، ومحاكم القضاة Basilicas ودور الكتب العامة ، وأماكن عامة يستمع فيها الناس إلى الخطب والتبليغات والمحاضرات العامة(2).

أما ما يتعلق بحماية المدن فقد أنيطت بالفرق العسكرية الموزعة في مناطق مختلفة في سورية، حيث تمركزت بجوار المدن، كالفرقة العسكرية المتمركزة في الضمير شرقي دمشق، وفي رافاني شمال غرب حمص والفرقة المتمركزة بجوار مدينة سيروس في وادي عفرين(3).

لذلك لم تحظ أسوار المدن خلال الحكم الروماني بالاهتمام الذي كانت عليه قبل وصول الرومان(4).

فيما يتعلق بالسكان في المدن فقد كانوا من المالكيين الكبار وأصحاب المراتب العليا في الدولة وأصحاب الورشات الصناعية وأصحاب القطعان والتجار والأغنياء وقد ضمت المدن إلى جانب هؤلاء طبقة وسطى من مختلف الفئات وصغار الكسبة(5).

وعرف سكان المدن السورية مختلف ألوان النشاطات الاجتماعية والترفيهية والرياضية كالمسابقات والمباريات والمسرحيات وألعاب السيرك والصيد البري، وكانت من أبرزها مدينة أنطاكية التي كثرت فيها كل مظاهر الترف والرفاه والتسلية واللهو(6).

كانت منازل سكان المدن فسيحة ، وتتألف بشكل عام من ساحة مركزية محاطة بمجموعة من الغرف المختلفة الاستعمال كما وجدت بيوت طابقية ، وتم تأمين الإضاءة والتهوية من خلال الأبواب والنوافذ التي تطل على الباحة المركزية من الداخل، أما بالنسبة للغرف المظلمة البعيدة عن الباحة فقد تم تزويدها بالضوء من خلال فتح نوافذ صغيرة في أعالي الجدران تحت السقف مباشرة تنفتح على

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج 3، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ص 122، 123.

(2) رستوفتزف: 1957، ج2, ص 203.

(3) WHITTEKER. C. R: Frontiers Of The Roman Empire, London, 1994, P. 26.

(4) عبد الكريم، مأمون، أسوار المدن السورية من العصر الهلنستي إلى الفتح الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 101–102، دمشق، 2008، ص 109.

(5) حتي، فيليب: 1982، ص 337.

(6) الحلو، عبد الله: المرجع السابق، ص 956، 957.

الشارع ، وقد بنيت وفق نظام لا يسمح للمارة برؤية داخل البيت، وزودت البيوت بنظام تصريف للمياه، كذلك حفرت آبار في الساحة المركزية في كل بيت من أجل تأمين مياه الشرب[1]، وأيضاً زودت بأحواض من الجص ربما كانت تملأ بالحبوب، وكانت البيوت تحتوي فناءات معمدة وحجرات استقبال مبلطة بالفسيفسائيات كما هو الحال في تدمر وأنطاكية وأفاميا وسلوقية[2].

كانت غرفة الاستقبال هي الأهم في كل بيت من حيث المساحة كما توجد غرف مخصصة للنساء وللرجال والخدم، وعُثر في البيوت أيضاً على غرف تحت الأرض (قبو) كانت مخصصة للمؤن وغيرها.

من خلال البيوت السكنية يمكن التعرف على المستوى المادي للأسر التي كانت تسكن في المدن من خلال حجم المساحات المخصصة للبيت والعناصر المعمارية المختلفة والزخرفة المستخدمة فيها[3].

مما تقدم يلاحظ أن المدن السورية عرفت نهضة عمرانية ومعمارية لذلك تمّ إعادة تخطيطها وفق مخطط منتظم بما ينسجم مع ازدياد عدد السكان، وكذلك توفير المساحات اللازمة لبناء الأبنية الجديدة العامة والخاصة.

وقد اهتم مهندسو تنظيم المدن بكل ما له صلة بالدفاع ، فبنوا الأسوار المنيعة والقلاع الحصينة، وكذلك اهتموا براحة السكان من خلال تسهيل حركة المرور بشق الشوارع الرئيسية والثانوية وبناء الجسور، وإنشاء الحدائق وتزويد المدن بالمياه وإقامة الحمامات العامة، وتزيين المدن بالتماثيل والمسارح والملاعب من أجل رفاهية السكان وثقافتهم، واهتموا بجمال مداخل المدن وجعلوا المدافن خارج أسوار المدن.

---

(1) الجوابرة، وفاء، العمارة السكنية غي مدينة دورا أوروبوس (تل الصالحية) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2008

(2) سارتر، موريس: 2008، ص 53.

(3) عبد الكريم، مأمون: 2008، ص 183.

ثالثاً – المرأة والأسرة:

يرى الباحث الفرنسي كولانج إنَّ العقائد الخاصة بالموتى، والعبادة التي يجب إقامتها لهم هي التي كونت الأسرة القديمة، حيث ساد اعتقاد أن سعادة الميت لا تتوقف على السلوك الذي سلكه في حياته بل على ما تسلكه سلالته نحوه.

لذلك من المنتظر من ذريته تقديم القرابين الجنائزية التي من شأنها أن تضمن لروحه السعادة.

لذلك اشتق من هذه العبادة استمرارية الأسرة وبقاؤها إلى الأبد.

وكان همهم الوحيد أن يكون على الدوام من ذريتهم رجل يحضر القرابين إلى القبر [1].

حيث أن القوانين اليونانية لا تسمح أن تنقرض أسرة ما، وكذلك هو الأمر بالنسبة للقانون الروماني الذي كان حريصاً على استمرارية الأسرة والعبادة المنزلية ومنعها من السقوط ، فإن الديانة التي كونت الأسرة كانت تفرض حتماً عدم فنائها.

ومن هنا كانت أكبر مصلحة للحياة البشرية هي في استمرارية الأسرة لكي تستمر العبادة لمنع سقوط كلّ أسره موتاها في النسيان والشقاء الأبدي وينطفئ موقدها وتختفي عندئذ من الأرض[2].

كانت الأسرة السورية القديمة وحدة اجتماعية تتكون من الرجل والمرأة، يتعاونان اجتماعياً ويقيمان علاقة جنسية تثمر عن واحد أو أكثر من الأبناء، كما يمكن أن تضم الأب والأم والجد والجدة، وأحياناً أبناء متبنين، وتتصف بمسكن واحد واقتصاد وتعاون وإنتاج مشترك[3]، فالأسرة فيما مضى كانت تتمتع باستقلالها، وتتحمل عبء الحياة المادية والمعنوية وتكاليفها، فهي تمثل أصغر الأشكال الاجتماعية وأبسطها التي يتكون منها المجتمع[4]، كما أنها تمثل وحدة اقتصادية واجتماعية[5]، وترتبط بالنظام الاجتماعي والسياسي السائد، وتتميز بروابط متينة بين أفرادها .

---

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 62.

(2) المرجع نفسه، ص 63، 64.

(3) حامدة، أحمد، من مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفنيقي، مجلة دراسات تاريخية العددان 79, 80، دمشق، 2002، ص 60–72.

(4) المراعي، عبد الله، الزواج والطلاق في جميع الأديان، مصر، 1966، ص 522.

(5) إبراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج 6، مصر، 1969، ص 6.

فالأب هو عماد الأسرة والمسؤول عن جميع السلطات والصلاحيات الخاصة بإدارة شؤون أسرته، شأنه في ذلك شأن الملك في مملكته، إذ يقع عليه إعالة أفراد عائلته وتوفير كل الاحتياجات والمستلزمات الضرورية لها يساعده في ذلك أبنائه من الذكور، ولهذا نمت رغبة كبيرة لدى العائلة في الإكثار من الأولاد الذكور، كما كان احترام الأب واجباً مقدساً على جميع أفراد العائلة(1).

مكانة الأب لدى الإغريق والرومان لا تختلف عن مكانة الأب في المجتمع السوري فهو مالك الأملاك وكاهن في عبادة الأجداد وسلطان الأسرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له أن يطلق زوجته ويطرد أبناءه، وأن يبيعهم ويزوجهم بدون أن يأخذ رأيهم ويحق له أن يستأثر بما يملكونه لنفسه، فبيده حياتهم ومماتهم، أي قاضيهم الوحيد إن ارتكبوا جريمة فرب الأسرة يحكم عليهم لا الحاكم(2).

أما الأم فتأتي في المرتبة الثانية، ومع ذلك فقد كان لها دور كبير وبارز منذ أقدم العصور، فهي شريكة الرجل في العمل، والمسؤولة عن تربية الأولاد وإدارة البيت وإعداد الطعام كطحن الحبوب وإعداد الخبز، وتوفير الملابس والاعتناء بالحيوانات المدجنة، هذا بالإضافة إلى ممارسة الحياكة والغزل وصنع الملابس(3)

أما مكانة الأم في الأسر الرومانية والإغريقية فهي مساوية في المكانة لزوجها, ويدعونها أم الأسرة كما يدعون الرجل أبا الأسرة فهي سيدة في البيت كزوجها وتدير شؤون البيت .

تختلف المرأة الرومانية عن المرأة الإغريقية والسورية حيث لم تكن بعيدة عن الرجال، بل تتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر أمام الناس في الحفلات، وأهم صفة يحبونها في المرأة الرومانية أن تكون زاهدة فإذا ماتت يكتبون على قبرها إشارة على مدحها أنها التزمت بيتها ولم تخرج منه وغزلت الصوف(4).

فالمرأة هي قلب العائلة، وركيزة المجتمع لم يكن زواجها عائقاً أمام استقلاليتها الاجتماعية والاقتصادية حيث تمتعت بكامل الحقوق التي يتمتع بها زوجها، وتستطيع أن تمارس نشاطها الاقتصادي بشكل مستقل .

---

(1) فرزات، محمد حرب، صور إنسانية من الحياة اليومية والأسرية في بلاد الشام خلال الألف الأول ق.م، مجلة التراث العربي، العدد 23، دمشق، 1986، ص 47.

(2) سنيوبوس، شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة محمد كرد علي، العالمية للكتب والنشر، مصر، 2012، ص 245 – 246.

(3) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، 2001، ص 226.

(4) سنيوبوس، شارل: 2012، ص 245.

وتروي وثيقة من دورا أوروبوس وهي مؤرخة عام 254 م تفصيلات حول عقد الزواج حيث كان يسود مبدأ الاستقلال في الملكية لكل من الزوجين، وقد حافظت المرأة على الرغم من زواجها على علاقتها مع بيت أبيها، وليس هذا وحسب وإنما تحافظ أيضاً على حقوقها المترتبة على هذه العلاقة[1].

كما تحتوي وثائق أفامية وسلوقية بيريا معلومات عن تقدمات باسم النساء من أجل سعادة وخير عائلاتهن بما في ذلك أزواجهن، كما وتحوي قرارات باسم الاجتماع الشعبي تقضي بتكريم المرأة[2].

وقد نظمت القوانين والأعراف والتقاليد الاجتماعية علاقات أفراد الأسرة بعضهم بالبعض الآخر، وحددت حقوق كل منهم تجاه الآخر، وتثبت التزامات كل فرد منهم وواجباته، غير أن ما يذكر في القوانين يمثل عادة النظرة المثالية التي أراد المشرع أن تسود المجتمع وعلاقات أفراده، أما واقع تنظيم الأسرة وعلاقات أفرادها فيمكن معرفته من خلال دراسة الوثائق اليومية التي تدون حياة الأفراد الخاصة والعامة، ولاسيما ما له علاقة بالأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والتبني وغيرها[3].

---

(1) شيفمان، أ. ب: 1987، ص 135، 136.

(2) المرجع نفسه، ص 142.

(3) سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، الموصل، 1977، ص 279، 280.

1 – الـزواج :

كان أول نظام أقامته الديانة المنزلية على الأرجح هو الزواج فقد كان إلزامياً، لم يكن هدفه الأساسي اتحاد شخصين يوافق كل منهما الآخر ويريدان المشاركة في سعادة الحياة ومتاعبها، بل كان الزواج من نظرة الديانة والقوانين هو ربط شخصين في نفس الديانة المنزلية لكي يولد منهما ابن جدير باستمرار هذه العبادة على يديه[1].

كان الزواج لدى السوريين مكتوباً لتثبيت حقوق الطرفين، ويجب طلب الفتاة من ولي أمرها، كما أن للزوجة مهر وحقوق يجب أن تدفع لها، وللطرفين الحق في الطلاق متى أرادا ذلك، وعلى طالب الطلاق تحمل تبعات ذلك مادياً[2].

كان يصاحب الزواج بعض المراسيم والطقوس الدينية يشترك فيها الزوجان وتتلى بعض العبارات المقدسة كتلك التي ذكرت في ملحمة جلجامش، إذ تخاطب الإلهة عشتار[*] جلجامش[**] قائلة له:

«تعال يا جلجامش وكن حبيبي الذي اخترت

امنحني ثمرتك أتمتع بها

ستكون أنت زوجي وأكون زوجك[3]

وأثناء الاحتفال يخاطب الكاهن العروسين قائلاً:

«أما أنتَ أيها الرجل فلتكن هذه المرأة زوجة لك، وأنتِ أيتها المرأة ليكن هذا الرجل بعلاً لك»[4].

وفي يوم الزفاف كانت تقام وليمة تعرف بالأكادية (Kirrum) تقدم فيها المأكولات التي جلبها العريس، ويشارك في هذه الوليمة أصدقاء وأقرباء العروسين[5].

---

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 65.

(2) قابلو، جباغ، صور من الحياة الاجتماعية للجالية السورية في مصر خلال القرن الخامس ق.م من خلال نصوص آرامية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 87 – 88، دمشق، 2004، ص 21.

(*) عشتار Astarte: إلهة كبيرة في مجمع الآلهة البابلي إلهة الحب والجنس والخصب والحرب أحياناً هي أفروديت وفينوس عند الإغريق والرومان(انظر: حمود, مجمود: 2014, ص 70)

(**) جلجامش Gilgamesh: من أهم الملاحم القديمة – تروي قصة ملك بابلي أراد ألا يموت فراح يبحث عن الخلود.(بارندر, جفري, المعتقدات الدينية لدى الشعوب, الكويت, 1990, ص 395)

(3) باقر، طه، ملحمة جلجامش، الجزائر، 1995، ص 42.

(4) جان، ريك، مركز المرأة في قانون حمورابي، ترجمة سليم العقاد، القاهرة، (د. ت)، ص 12.

(5) ثلماسيتان، عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة بلاد الرافدين، بغداد، 1976، ص 70.

ومن بين تلك الأشياء التي يقدمها الزوج لزوجته كما جاء على لسان جلجامش في ملحمته:

«ماذا عليَّ أن أعطيك لو أخذتك زوجة

هل سأعطيك السمن والكساء لجسدك

هل سأقدم لك الخبز والطعام؟»

وتعتبر وليمة الزواج من الطقوس المهمة، إذ تعتبر الفتاة من بعدها زوجة وتطبق عليها القوانين الخاصة بالزوجة[(1)].

ومن طقوس الزواج هو أن يضع الحجاب على عروسه بحضور شهود، ويعلن بخشوع أمامهم: (إنها زوجتي)[(2)].

بالنسبة للرومان الزواج لديهم كثير الشبه بالزواج الإغريقي ويشمل مثله ثلاث مراحل التسليم Traditio، الزفاف Deductio in Domum، واقتسام الدقيق Confarratio. حيث تغادر الزوجة الموقد الأبوي حيث لم تكن مرتبطة بهذا الموقد بمقتضى حق خالص لها بل عن طريق رب الأسرة فقط، الأب له الحق أن يفصلها عنه فعملية التسليم Traditio إجراء لا مفر منه[(3)].

ومن ثم تقاد الفتاة إلى منزل الزوج، وكما هو الحال في بلاد الإغريق تكون ملثمة تحمل تاجاً، وتسبق الموكب الشعلة الزوجية[(4)].

يقف الموكب أمام منزل الزوج ويجب على الزوج أن يحملها بين ذراعيه وأن يمر فوق العتبة دون أن تمسها قدماه، ومن ثم تقاد الزوجة أمام الموقد حيث يجتمع جميع الآلهة المنزليين وصور الأسلاف حول النار المقدسة، ويقدم الزوجان قرباناً كما في بلاد الإغريق ويريقان السوائل، ويتلون بعض الصلوات ويأكلان معاً كعكة من خالص الدقيق Panis Farreus، وهذه الكعكة التي تؤكل وسط تلاوة الصلوات بحضور معبودات الأسرة وعلى مشهد منهم، هي التي تخلق الارتباط المقدس بين الزوج والزوجة.

---

(1) باقر، طه: 1995، ص 43.

(2) كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه، ط 2، بغداد، 1986، ص 33.

(3) كولانج، فوستيل: 1950، ص 58.

(4) أنظر أوفيديوس: الأعياد 2: 558 – 561.

وللمرأة التي تزوجت بهذه الطريقة حق عبادة الموتى، لكنها لا تحمل الأكلات الجنائزية إلى أسلافها إذ لم يعد لها الحق في ذلك فإن الزواج قد فصلها تماماً من أسرة أبيها، وإنما تحمل القربان لأسلاف زوجها Filiae Loca، فالمرأة لأسرة زوجها وديانته[1].

إن الغرض الأساسي من الزواج هو انجاب الأولاد، وذلك بسبب طبيعة المجتمع السوري القديم الذي يعتمد في اقتصاده على الإنتاج الزراعي حيث تمثل الأيدي العاملة أهمية كبيرة لتحقيق عائد اقتصادي للأسرة[2].

وكان هدف الزواج في المجتمعات القديمة ومنها سورية أن يكون للشخص خلف يتولى القيام بالشعائر الدينية، وتقديم القرابين المفروضة على روحه عند وفاته[3].

وبالنسبة لليونان كان الغرض الأساسي من الزواج هو مولد الابن، فالابن إذن هو الذي كان منتظراً وكان لازماً، أنه هو الذي كانت تتطلبه الأسرة والأسلاف ، لأنه هو الذي سيعمل الأضحية فيما بعد ويقدم الوجبات الجنائزية ويحافظ بعبادته على الديانة المنزلية، لذلك كان يسمى الابن في مؤلفات ايسخيلوس منقذ الموقد الأبوي[4].

والرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً، والدين يأمر بأن لا تندثر الأسر عندما يتزوج الروماني يصرح بأنه اتخذ زوجته ليكون منها أولاد.

وكان يعلن عن دخول هذا الابن في الأسرة بإجراء ديني، وكان لابد للابن من التلقين، وكان يحدث بعد المولد بفترة وجيزة: اليوم التاسع في روما والعاشر في بلاد الإغريق.

وفي ذلك اليوم يجمع الوالد الأسرة ويدعو الشهود ويضحي لموقده، ويقدم الطفل للآلهة المنزليين فكانت تحمله امرأة بين ذراعيها وتطوف به وهي تجري حول النار المقدسة عدة مرات، وكان الغرض من هذا الاحتفال هو أولاً تطهير الطفل، ثم تلقينه العبادة المنزلية.

ومن هذه اللحظة يصبح الطفل جزءاً من الأسرة حائزاً لديانتها وقائماً لشعائرها، ويكرم الأسلاف ولابد من أنه يصبح هو ذاته، فيما بعد سلفاً مكرماً[5].

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 59, 60

(2) أحمد، أمين سليم، مصر والعراق دراسة حضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص 289.

(3) السقا، محمود، فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975، ص 422.

(4) AESHYLUS: The Oresteia, TR. G. Murray. London, 1988, P. 264.

(5) كولانج، فوستيل: 1950، ص .

وطبقاً لذلك كانت العزوبة إثماً خطيراً ومصيبة معاً، لأن الأعزب كان يعرض سعادة أرواح أسرته للخطر، ومصيبة لأنه لن يتلقى هو ذاته أية عبادة بعد موته ولن يعرف ما يبهج الأرواح، وفي ذلك نوع من اللعنة له ولأسلافه معاً.

ويقول ديونيسيوس الهاليكارناسي، الذي بحث في حوليات روما القديمة أنه رأى فيها قانوناً قديماً يجبر الشبان على الزواج[1].

وتحتوي رسالة لشيشرون في القوانين، على قانون يحرم العزوبة[2]. كما كانت القوانين اليونانية تعاقب الرجل الذي لا يتزوج عقاباً شديداً، وكما كانت العزوبة محرمة عن طريق الأخلاق، لأن الإنسان لم يكن لنفسه بل كان للأسرة، وكان عليه ألا يغادر الحياة دون أن يتأكد أن هذه العبادة ستستمر بعده.

لكنه لم يكن يكفي أن يخلف ابناً بل لابد أن يكون الابن، الذي عليه أن يواصل الديانة المنزلية، ثمرة زواج ديني، والواقع أن صلة الدم لم تكن لتنشئ الأسرة بل لابد من رباط العبادة أيضاً، كما لم يكن في استطاعة الابن المولود من امرأة لم يشركها احتفال الزواج في عبادة الزوج أن يساهم هو ذاته في العبادة فلم يكن له الحق في تقديم الطعام الجنائزي، ولم تكن الأسرة لتستمر عن طريقه وليس له الحق في الميراث[3].

(1) أنظر ديونيسيوس، الهاليكارناسي، 9: 22.

(2) شيشرون، القوانين Des Lois، ترجمة أبوهن Appuhn، باريس، منشورات Garnier Flammarion، 1905، 2:3.

(3) كولانج، فوستيل: 1950، ص 64، 65.

2 – الطـلاق:

فـي سورية القديمـة كـان هنـاك تسـاوٍ بـين الزوجين فيمـا يتعلـق باسـتعمال حـق الطـلاق إذ يمتلك الطرفان حق طلب الطلاق هذا بالنسبة للسكان الوطنيين (السوريين)(1).

ومن الأسباب الشرعية التي يجوز للزوج فيها طلاق زوجته دون تعويض مالي نذكر منها :

– سوء سلوك الزوجة: حيث أعطت القوانين القديمة للرجل الحق في طلاق زوجته دون تعويض مـالي إذ ما فرطت في سمعة وشرف زوجها، ولم تطعه أو أساءت له.

– طـلاق الزوجـة العـاقر أو المريضـة: كـان عقم المرأة من الأسباب التـي تدفع الزوج لطلب الطـلاق، وذلك لطبيعة المجتمع السوري القديم الذي يعتمد في اقتصاده على الإنتاج الزراعي(2).

– كمـا يحـق للزوجـة طلـب الطـلاق مـن زوجهـا إذا مـا ارتكـب فـي حقهـا أخطـاء جسيمة مثـل الخيانـة الزوجية أو حط من شأنها وكرامتها(3).

أما بالنسبة لليونانيين والرومان فإن الزواج كان من أجل استمرار الأسرة ويبدو من العدل فصمه إذا كانت المرأة عاقراً، فالطلاق فـي مثل هذه الحالـة شرعياً ومن الجائز أنـه كان اجبارياً(4). حيث أن قصـة كـارفيليوس روغـا Carvilius Ruga الـذي كـان طلاقـه أول طـلاق ذكرتـه الحوليـات الرومانيـة حيث قام بتطليق زوجته التي كان يحبها كثيراً، وذلك لأنه لم يستطع إنجاب أولاداً منها، وضـحى بحبـه في سبيل ديانة القسم لأنه أقسم (في صيغة الزواج) أن يتخذها زوجة ليكون له أطفال(5).

وهكذا يلاحظ أن أسباب الطلاق لدى السوريين واليونانيين والرومان متشابهة إلى حدٍ كبير.

---

(1) قابلو، جباغ: 2004، ص 8.

(2) أحمد، أمين سليم :2003، ص 289.

(3) إبـراهيم، أحمـد حسـن، تـاريخ الـنظم القانونيـة والاجتماعيـة، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة، الإسـكندرية، 2001، ص 142.

(4) كولانج، فوستيل: 1950، ص 65.

(5) أنظر: ديونيسيوس 2: 25.

3 – التبنـــي:

إن الديانة التي تجبر الإنسان على الزواج، كانت تقرر الطلاق في حالة العقم، وهي نفسها التي منحت الأسرة وسيلة لتجنب الزوال أو الانقراض الذي كانت تخشاه أشد الخشية، تلك الوسيلة هي حق التبني[1].

إنّ عادة التبني كانت معروفة لدى الشعوب القديمة ومنها السوريين، وكان للتبني على غرار الزواج والطلاق أحكام وقوانين تخص جميع الأطراف المعنية: والد الطفل، أو الشخص الذي يكون مسؤولاً عنه إذا كان يتيماً، والشخص الذي تبناه.

وكانت أسباب التبني عديدة منها عدم قدرة الزوجة على الإنجاب، وكان باستطاعة الزوجة العاقر وزوجها شراء طفل من أبويه وتبنيه واعتباره الوريث الشرعي لهما، وعلى الزوجين في هذه الحالة تحرير عقد خاص يوضح فيه حقوق الطفل المتتبي[2].

وكان الهدف الأساسي للتبني في المجتمع القديم أن يكون للشخص وريث يتولى القيام بالشعائر الدينية، وتقديم القرابين المفروضة اتجاه الأسلاف حيث يشير أحد عقود التبني إلى ذلك، "حينما تموت الأم المتبنية فإن الابنة المتبناة سوف تقدم قربان من أجلها"[3].

وبالتبني يلبس المتبني ثوب الابن الشرعي، وينقل بالتالي إلى سلطة والديه الجديدين، وتكون له نفس الحقوق الإرثية تماماً كالأولاد الشرعيين[4].

الهدف من التبني لدى اليونانيين كان من أجل استمرار الأسرة والقيام بالواجبات الجنائزية.

فالتنبي معناه إذن الحرص على دوام العبادة المنزلية وعلى سلامة الموقد واستمرار القرابين الجنائزية، فلم يكن هناك سبب للتبني إلا ضرورة الخوف من انقراض العبادة، حيث لم يكن مسموح به إلا لمن لا ولد له[5].

أما عند الرومان فكان مسموحاً للرجل أن يكون له أبناء بالطبيعة وأبناء بالتبني.

---

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 70.

(2) ثلماسيتان، عفراوي: 1976، ص 115– 117.

(3) السقا، محمود: 1975، ص 422.

(4) المرجع نفسه، ص 424.

(5) كولانج، فوستيل: 1950، ص 70.

ولكنه لم يكن مسموح به في القانون في عصر شيشرون، إذ أن الخطيب في إحدى مرافعاته يتكلم هكذا: «ما هو القانون الذي ينظم التبني؟ أليس من اللازم أن يكون المتبني في سن لم تعد تسمح له بالحصول على أطفال، وأن يحاول أن يكون له أطفال قبل التبني؟ فالتبني معناه أن يطلب الإنسان إلى الديانة وإلى القانون ما عجز عن الحصول عليه من الطبيعة» ويهاجم شيشرون تبني كلوديوس معتمداً عل أن الرجل الذي تبناه له ابن من قبل، وينادي بأن هذا التبني ضد الشريعة الدينية[1].

عندما يتبنى الإنسان ولداً – يجب عليه قبل كل شيء أن يلقنه عبادته، وأن يدخله في ديانته وأن يقربه من آلهته المنزلية، لذلك كان التبني يتم باحتفال مقدس شبيه بالاحتفال الذي كان يشهر به مولد الابن.

ويقابل التبني التحرر، لكي يستطيع ابن أن يدخل في أسرة جديدة كان لابد له أن يخرج من أسرته القديمة أي أن يكون قد تحرر من ديانتها.

وكان الأثر الأساسي للتحرر هو التنازل عن عبادة الأسرة التي ولد فيها، ولا يعد الابن المحرر عضو في الأسرة القديمة لا من ناحية الديانة ولا من ناحية القانون[2].

(1) أنظر: شيشرون: القوانين 13: 14.

(2) كولانج، فوستيل: 1950، ص 70– 72.

4 – ملكية الأسرة:

يظهر تأثير المعتقدات الدينية على النواحي القانونية، فقد آمن السوريون بحياة أخرى ما بعد الموت، ولكي يضمنوا تلك الحياة، كان يتعين عليهم تقديم القرابين في مقابرهم وإقامة الشعائر الدينية لأرواحهم بصفة منتظمة، ولذا قاموا بتكريس جزء من أملاكهم لهذا الغرض الذي خصصت من أجله .

كانت ملكية الأسرة تنتقل بأكملها من الأب إلى الابن الأكبر الذي يقتصر دوره على إدارة تلك الأموال لحساب باقي أفراد الأسرة أي ملكية مشتركة للتركة، ولا يستطيع أي فرد منهم التصرف فيها، فصارت خارجة عن دائرة التعامل.

ومن هنا فإن حق الملكية في هذا النوع غير كاف لأنه ينقصه أهم عنصر من عناصر الملكية وهو حق التصرف[1].

عند المجتمعات الإغريقية والرومانية كانت الديانة المنزلية هي التي علمت الإنسان أن يتملك الأرض وهي التي ضمنت له حقه عليها.

وكان التملك ملازماً للديانة المنزلية إلى حد أنه لم يكن في استطاعة الأسرة أن تتنازل عن ملكها إلا إذا تنازلت عن دينها.

حيث كان المنزل أو الحقل من الصعب أن تفقدهما الأسرة أو تتنازل عنهما[2]، أفلاطون يؤكد في رسالته عن القوانين تحريم المالك أن يبيع حقله، هذا الحقل ليس ملكاً للفرد وحده بل للأسرة بأكملها[3]، ليس الفرد الذي يعيش هو الذي مكن حقه في هذه الأرض، إن الإله المنزلي هو الذي فعل ذلك ، وليست الأرض إلا وديعة في يد الفرد، إنها ملك لأولئك الذين ماتوا وللذين سيولدون، وأنها متصلة أوثق الاتصال بهذه الأسرة، إذ أن الأرض لا تنفصل عن الأسرة، وكان من السهل على الإنسان أن يُسترق من أن لا ينتزع منه حق التملك الذي كان يتبع أسرته أكثر مما كان يتبعه[4].

مما تقدم يلاحظ أن ملكية الأسرة مصانة لا تمس بسوء لدى السوريين والإغريقيين والرومان.

(1) إبراهيم، أحمد حسن: 2001، ص 168– 170

(2) كولانج فوسيتل: 1950، ص 89.

(3) أرسطو: السياسة، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو)، بيروت، 1957 م، 2: 6 ، 10.

(4) كولانج فوسيتل: 1950، ص 90– 92.

رابعاً – اللغة والتقويم:

1- اللغة :

كان معظم السكان في سورية يتكلمون اللغة الآرامية، وأما اللغة الإغريقية التي بقيت طوال العهدين السلوقي والروماني، فقد انحصر استعمالها في المدن السلوقية التي سكنتها غالبية يونانية، وكانت معظم النقوش الأثرية تكتب بالإغريقية لأنها لغة الثقافة والأدب[1].

لم تغير السلطات الرومانية من الوضع اللغوي للمجتمع السوري، وكانت اللغة اللاتينية اللغة الرسمية للإدارة والحكم والجيش[2].

واقتصرت اللغة اللاتينية على طبقة الأثرياء والتجار، وجعل الرومان اللغة الإغريقية لغة ثانية للإمبراطورية، وقد انتشرت بشكل كبير في سورية وغدت لغة الثقافة وذلك بعد اهتمام الطبقات العليا بها لتعليم أبنائهم الفلسفة والآداب والخطابة[3]. أما أهالي القرى والحكومات والممالك المحلية فاعتمدوا لغتهم المحلية، الأمر الذي ابطأ دخول سورية في البوتقة الرومانية[4].

2- التقويم الروماني:

لم يستخدم التقويم الروماني بشكل واضح إلا في المدن الكبرى، فمثلاً مدينة أنطاكية تخلت عن التقويم السلوقي في خريف عام 49 / 48 ق.م لتبدأ تقويمها القيصري، وعمل الرومان بعد احتلالهم مدينة بصرى تقويماً جديداً عرف بتقويم الولاية العربية Provincia Arabia أو تقويم بصرى واعتمد تاريخه في بداية 22 آذار 106 م ، وانتشر هذا التقويم في كافة أنحاء الولاية العربية نظراً لأهمية بصرى التجارية .

وقد استمر التقويم السلوقي في سورية الرومانية على الرغم من استبداله بالتقويم الروماني، حيث يلاحظ أن مدينة أفاميا أرخت نفوذها بالتقويم السلوقي وأقدم ما وصلنا منها يرجع إلى عام 237 السلوقي، أي 65 ق.م أما آخرها فيعود إلى سنة 326 السلوقية أي 14 م.

---

(1) مرعي، عيد: 2006، ص 213.

(2) سارتر، موريس، النقوش الكتابية وتاريخ حوران القديم، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد 45 – 46، دمشق، 2002 – 2003، ص 179.

(3) جونز: 1987، ص 123.

(4) ساره، خليل: 2008، ص 407.

وكذلك بالنسبة لدمشق فقد أرخت نقودها حسب التقويم السلوقي وأقدم نقد دمشقي يحمل التاريخ 275 أي 36/37 ق.م.

لم يقتصر استخدام التقويم السلوقي على المدن المشهورة مثل اللاذقية وسلوقية وحمص وجبيل وسواها إنما امتد أيضاً إلى الإمارات المحلية على سبيل المثال إمارة الايتوريين الذين جعلوا مدينة خلقيس لبنان عاصمة لهم أرخو نقودهم بالتقويم السلوقي[1].

ويدل هذا على رسوخ التقويم السلوقي في حياة المدن السورية من ناحية ،كما يدل على تسامح الرومان وتساهلهم تجاه التقاليد المحلية السائدة في إمبراطورتيهم .

(1) الزين، محمد، التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 85–86، جامعة دمشق، 2004، ص 49–63.

الفصل الثاني

الديانة والمعتقدات الدينية في سورية خلال الحكم الروماني

أولاً– الديانة في سورية خلال الحكم الروماني:

1 – معتقدات حول الموت والروح :

أ – عقائد عن الروح والموت :

– العقائد عن الموت والروح لدى السكان الوطنيين (السوريين).

– عقيدة الروح والموت لدى الفئات الوافدة.

ب – عبادة الموتى:

– عبادة الموتى وتقديس الأسلاف عند السكان الوطنيين.

– عبادة الموتى لدى الفئات الوافدة.

2 – معتقدات عن العالم السفلي:

أ– العالم الآخر صفاته وآلهته لدى السوريين :

ب – معتقدات عن العالم الآخر لدى الإغريق :

ج– معتقدات عن العالم الآخر لدى الرومان :

ثالثاً – عبادة الآلهة في سورية خلال الحكم الروماني:

1 – الآلهة المحلية السورية.

2 – الآلهة الوافدة:

3– العبادة الإمبراطورية في سورية:

الفصل الثاني

الديانة والمعتقدات الدينية في سورية خلال الحكم الروماني

أولاً– الديانة في سورية خلال الحكم الروماني:

يعد الدين شكلاً من أشكال الحياة الاجتماعية بحيث يجعل الإنسان يندمج مع مجموعة بشرية لها ذات الأفكار والميول، فالديانة تشكل جزءاً من عقلية وأفكار جماعة من الناس لهم علاقة بالمجتمع المرتبط بالعالم الاقتصادي والسياسي(1).

أصبحت الديانة في سورية خلال العصر الروماني معقدة لأنها كانت مزيجاً من الديانات المحلية التي سادت قبل وصول الإغريق والرومان إلى سورية، والديانات التي جلبت إليها، فعلى الرغم من أن الآلهة كانت متشابهة في أفعالها وصفاتها وأحياناً في رموزها إلا أنها اختلفت في الأسماء، فعند المقارنة بين زيوس Zeus الإغريقي وجوبيتر Jupiter الروماني والإله بل Bel السوري يجد المرء أنهم يمثلون إلهاً واحداً، تختلف صفاتهم باختلاف المنطقة التي يعبد الإله فيها، حتى في سورية تتشابه صفات الإله بل مع عدد من الآلهة السورية الأخرى مثل هدد وبعلشمين ويكون الاختلاف بسيطاً مما يشكل تداخلاً بين الآلهة(2)، وعلى الرغم من التشابه الحتمي بين الآلهة فقد حدثت مع الزمن توافقات بين الآلهة المعبودة.

خلال الحكم الروماني تُرك الباب مفتوحاً للتعبير عن الهوية الدينية، وكان لإسهام النخبة الاجتماعية، والتقوى والورع لدى المجتمع السوري دوره لإعلان الهوية غير اليونانية للحالة الدينية السائدة، وتكريس أصالة العبادة في سورية(3).

لم يعارض الرومان الديانات الغريبة عنهم، فقد ظلت المعبودات والآلهة الخاصة بالولايات يعبدها الأهالي بكامل حريتهم سواء قرنوها بالآلهة الرومانية أو لم يفعلوا.

---

(1) Dijkstara. K, Life and loyalty, in Religions in the graeco – Roman world, vol. 128, New york, 1995, P.5.

(2) تيكسدور، كانيفة، الحياة الدينية في سورية قبل الإسلام، ترجمة موسى الخوري، الأبجدية للنشر، دمشق، 1996، ص1–6.

(3) BOUCHIER. M, Syria As A Roman province, Oxford, 1915, P. 236.

لذلك لم يقم الرومان بمحاربة أي دين إلا إذا وجدوا فيه تهديداً لسلطانهم، فقد بقي سكان سورية يعبدون آلهتهم الخاصة شرط أن يحترموا آلهة الإمبراطورية الرومانية[1].

وفي عهد الأمبررطور أوغسطس (27 ق.م – 14 م) فبعد أن استتب له الحكم، عمل على احترام عادات السكان المحليين وتقاليدهم وأسلوب حياتهم ، وسمح لهم بإدارة شؤونهم المحلية بأنفسهم وممارسة شعائرهم الدينية[2].

كانت مراكز العبادة تحظى بالرعاية الرومانية وباهتمام كبير من بعض الأباطرة لمكانتها السياسية أو الاقتصادية أو الدينية[3].

كما توسعت المعابد الدينية زمن الرومان مثال تلك الموجودة في هيرابولس/ منبج ، حيث ظهرت تأثيرات يونانية في أجزاء معينة من المعبد كالعناصر الزخرفية الكلاسيكية التي تزينها، وكذلك بعض الأعمدة وغيرها، ولكن في الحقيقة كانت تصاميم هذه المعابد ذات طابع محلي، والعبادة داخل أروقة هذه المعابد كانت ذات طابع شرقي بشكل جوهري[4].

وتأكيداً على دور الديانة في الحياة العامة دعيت مدينة منبج باسم هيرابولس Hierapolis أو المدينة المقدسة، ويعتبر معبد المدينة المقدسة من المعابد الكبرى في سورية، وكانت تقدم لهذا المعبد القرابين من كافة البلاد المجاورة[5].

وكانت الديانة السورية موضع اهتمام وتقدير الأباطرة الرومان الذين لم يزر أحد منهم سورية دون أن يستشير كهنة أحد معابدها ، كما يقدم قرباناً لأحد آلهتها.

وبقي هذا التقدير حتى عهد الإمبراطور جوليان المرتد (361–363م) الذي صعد إلى جبل كاسيوس/ الأقرع وقدم هناك القرابين لإله بعل المحلي، كما فعل من قبله كل من الإمبراطور تراجان (98–117م) والإمبراطور هادريان (117–138م)[6].

---

(1) هيولاست، العالم في نظر مواطن روماني، تعريب محمود غنيم، تاريخ العالم، مج 3، ص 705.

(2) الزين، محمد: 1988، ص 65.

(3) BOUCHIER: 1915, P. 237.

(4) ROSTOVTZEFF : 2013, P. 8-10.

(5) لوقيانوس، السمسياطي: 1992، ص 63.

(6) شوفان، بيرر، أواخر الوثنيين، تعريب سلمان خرفوش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص72.

وكان للديانة السورية تأثير على العبادات في روما[1]، ويلاحظ التأثير الديني السوري من خلال عبادة إله الشمس Sol في الإمبراطورية الرومانية، وكانت هذه العبادة بالأساس مرتبطة بالإله بعل السوري الذي أتى إلى روما في عهد إيلاجابالوس (218–222م)[2].

كما استوحى الإمبراطور أورليان (270–275 م) من إله الشمس السوري عبادة للشمس التي لا تهزم Invictus Sol فقد وجد فيه النموذج الأكثر كمالاً للديانة الوثنية[3]، وانتشرت هذه العبادة عبر الإمبراطورية الرومانية من خلال الجنود والمهاجرين السوريين[4].

وانتشرت أيضاً عبادة الإلهة السورية اترغاتيس في الفترة الرومانية والتي تجاوزت حدود المدينة الأم التي نشأت فيها ليكون لها تأثير عابر للحدود داخل المدن الأخرى في الإمبراطورية الرومانية[5].

أما فيما يتعلق بطقوس الديانة السورية كطريقة الصلوات والأضحيات والأعياد والتراتيل وغيرها فإنه لا يمكننا استنتاج أي شيء من بقايا المعابد الموجودة في سورية[6].

ولقد كان لسياسة الرومان الدينية الحيادية دور هام في الحفاظ على طقوس وأعياد الديانة السورية، كما أدت هذه السياسة إلى متابعة عملية الدمج بين الآلهة المحلية ومثيلاتها من الآلهة الإغريقية التي كانت قد بدأت منذ الفترة الهلنستية، بل قد اندمجت بعض الآلهة الرومانية مع الآلهة السورية[7].

1 – معتقدات حول الموت والروح :

كانت هناك مجموعة من الأفكار والعادات ترجع بكل تأكيد إلى عصر سحيق جداً ، والتي بقيت حتى الفترة الأخيرة من تاريخ الرومان، وتدل هذه الأفكار على الآراء التي كونها الإنسان في البدء عن طبيعة ذاته وعن روحه وعن سر الموت.

---

(1) BOUCHIER : 1915, P. 245-246.

(2) JOHNSTON. S, Ancient Religion, Cambridg, London, 2007, P. 115.

(3) ياسين، وعد، الأديان الوثنية في سورية في العصر الروماني من 64 ق.م – 395 م، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2010، ص 114.

(4) JOHNSTON: 2007, P. 173-175.

(5) BOUCHIER :1915, P. 238.

(6) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2013، ص 20.

(7) ياسين، وعد: 2010، ص 117.

أ – عقائد عن الروح والموت لدى السكان المحليين (السوريين):

اعتقد السوريون بالحياة ما بعد الموت أي بعالم آخر ينتقل إليه الشخص المتوفى حيث ينضم خفية إلى قافلة الموت في العالم السفلي، الذي تتجمع فيه أرواح الموتى، أنه المقر الأخير للنفوس التي تعيش حياة غامضة دون أن تتوفر لها السعادة والفرح(1).

فالموت أمر محتوم إلا أنه في المعتقدات السورية القديمة لم يكن يحمل معنى الفناء، ذلك لأن الموت في مفاهيمهم كان يعني انفصال الروح عن الجسد. أما الروح فتهبط إلى العالم السفلي وهو عالم الأرواح التي تخلد فيه، ويعتبر القبر مدخلاً لهذا العالم الذي تتجمع فيه أرواح الموتى، كما يمثل القبر منفذاً يؤدي إلى العالم السفلي، وعن طريق هذا المنفذ تنزل روح الميت إلى ذلك العالم.

ولهذا السبب اعتبر أن عدم دفن الموتى يعني حرمان أرواحهم من النزول إلى عالمها، وبقاءها هائمة في عالم الأحياء وهي غاضبة عليهم ومزعجة لهم(2) ، حيث كان الدفن أمراً ضرورياً لأجل استقرار الروح في العالم السفلي.

واعتقد سكان المشرق أن بعض الأرواح لم تكن تنزل إلى العالم السفلي أو أنها تغادره لسبب من الأسباب، مثل تعرض قبر صاحبها للتخريب أو عدم دفن الجسد بعد الموت، وفي هذه الحالة تكون الأرواح مصدراً لإزعاج الأحياء، أو إلحاق الأذى بهم، والتسبب بإصابتهم بأمراض شتى(3).

وهكذا فقد كانت خشية الموت أقل من خشية الحرمان من الدفن الذي كان يعد فقداناً للراحة والسعادة الأبدية حيث كان أشد قصاص ينزله الإله بنا فينحصر في الموت المبكر، والحرمان من كل شيء حتى من القبر والدفن .

وكان السوريون يبنون أحلاماً وآمالاً رائعة على حياتهم فيما بعد الموت لذلك أقاموا الصلوات والقرابين الجنائزية للآلهة لكي تأخذ روح الميت طريقها بيسر إلى العالم الآخر ومن أجل راحة الميت وإسعاده(4).

ويبقى الميت بعد أن ينتقل من عالم الحياة إلى العالم السفلي محافظاً على علاقاته العشائرية والأسرية ويؤدي دور الحامي لذويه، وهذا ما يفسر تزويد الميت بالأدوات والأطعمة في المدافن(5).

---

(1) دوبون، سومر، الآراميون، تعريب ناظم الجندي، دار أماني، طرطوس، 1988، ص 189.

(2) ميخائيل، نجيب، مصر والشرق الأدنى القديم، القاهرة، 1967، ص 77 .

(3) حنون، نائل :الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دمشق، 2004، ص 213

(4) دوبون، سوبر : 1988،ص 191 ، 190 .

(5) حمود، محمود، الموت كما فهمه قدماء السوريين، مجلة مهد الحضارات، العددان 19–20، دمشق، 2014، ص 45، 46.

والحقيقة التي تتعلق بنظرتهم إلى الموت هي إيمانهم الجازم بحتمية الموت على البشر، لم يكن هناك إيماناً مطلقاً بإمكانية عودة الميت بروحه وجسده معاً إلى عالم الأحياء الذي اعتاد عليه قبل موته.

وكانوا يعتقدون بوجود عالم خاص بالموتى يذهب إليه جميع الموتى[1]، هذا العالم يقع تحت عالمنا مسافة ليست بعيدة، ويشكل طبقة وسطى بين سطح الأرض ومياه المحيط[2]، وقد صور هذا العالم في المعتقدات الدينية على شكل مدينة تحيط بها سبعة أسوار ولها سبع بوابات، بواقع بوابة لكل سور من تلك الأسوار[3].

وقد تعددت أسماء العالم الأسفل وبلغت نحو عشرين اسما نذكر منها " الجبل ، المكان المقفر، الأرض الفسيحة ، مياه الأعماق ،العالم الأسفل ، الأرض العظيمة، بيت دوموزي ، المدينة العظيمة، القبر، أرض اللا عودة، الصحراء ، أرض النحيب ، الخربة ، أرض الموتى ، الأرض الحصينة ، بيت الظلام، البيت الذي لا يخرج من دخله "[4].

وعندما يعبر الميت أبواب العالم السفلي عليه عند كل باب أن ينزع حليه ما أو قطعة من ملابسه، وبعد أن يعبر الأبواب يمثل أمام محكمة، فتنظر في قضيته هيئة قضائية مؤلفة من مجموعة من الآلهة، وكانت هذه الهيئة تقرر مصير الميت الذي يقاد إلى أحد أرجاء المملكة السفلية عندما يصل إلى المكان المعني يستقبله السكان القدامى (الأموات) على الرحب والسعة ويقدمون له كل عون ممكن، ويواصل الإنسان في العالم السفلي الأعمال التي كان يمارسها في حياته الدنيوية[5].

أما أرواح الموتى، مثلت على شكل طيور أو على شكل نحلة، فهي تنتقل إلى عالم آخر تحافظ فيه شخصية الميت على وجودها الواقعي فهي لا تعرف الموت عندما تدرك عالم الآلهة[6].

شغل الموت تفكير السوريين كثيراً لذلك كانوا يعملون من أجل الموت وعالمه كما يعملون من أجل الحياة والمجتمع ، حيث كانوا مستعدين ليوم الموت وهذا ما عرفناه من بقايا المدافن في سورية.

---

(1) النوري، خالد عبد الرحمن، الموت كما رآه العراقيون، مجلة دراسات تاريخية العددان 73 – 74، جامعة دمشق، 2001 م، ص 32، 33.

(2) مبروك، أمل، فلسفة الموت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011 م، ص 29.

(3) ميخائيل ، نجيب : 1966 ، ص 178 .

(4) حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، بغداد ، 1976، ص167.

(5) مبروك، أمل: 2011 م، ص 29، 30.

(6) حمود، محمود: 2014، ص 45، 46.

ب – عقيدة الروح والموت لدى الفئات الوافدة:

لم يفكر الإغريق والرومان مطلقاً في أن كل شيء ينتهي بالنسبة للإنسان بعد هذه الحياة القصيرة، حيث كان هناك اعتقاد بحياة أخرى بعد هذه الحياة، ولم يواجه الموت بوصفه انحلالاً للكائن، بل بوصفه تبديلاً يسيراً للحياة.

لم تكن الروح في معتقدات الرومان والإغريق لتذهب إلى عالم غريب عن هذا العالم لكي تمضي فيه وجودها الثاني بل كانت تبقى قريبة من الناس وتستمر تعيش تحت الأرض، بل اعتقدوا أن الروح كانت تبقى مرتبطة بالجسم في ذلك الوجود الثاني ، ولدت معه فلا يفصلها الموت عنه بل كانت تحبس نفسها في القبر معه.

تؤكد شعائر الدفن بوضوح مثل هذه العقائد فعندما يضعون جسماً في القبر كانوا يعتقدون في الوقت نفسه أنهم يضعون فيه شيئاً حياً[1]، وهذا الأمر أكده الشاعر الروماني فرجيلوس الذي يصف دائماً الاحتفالات الدينية بمنتهى الدقة والأمانة عندما يقول: «إنا نحبس الروح في القبر»[2].

1. كانت العادة عند نهاية الاحتفال الجنائزي أن تدعى روح الميت ثلاث مرات بالاسم الذي كان يحمله، وكانوا يتمنون لها أن تعيش سعيدة تحت الثرى ثلاث مرات يقولون لها: «كوني بعافية» ويضيفون قائلين: «ليكن الثرى خفيفاً عليك»[3].

وساد اعتقاد أن الكائن الميت سيستمر في العيش تحت الثرى وأنه سيحتفظ بشعور الرضا والألم، وكانوا يكتبون على القبر إن الإنسان يستريح هناك، إضافة إلى ذلك كانوا يدفنون معه الأشياء التي كانوا يفترضون أنه يحتاج إليها من ملابس وأوان وأسلحة، وكانوا يريقون على قبره خمراً ليروي عطشه ويضعون فوقه أغذية ليشبعوه من جوع.

ويرى كولانج أنه من هذه العقيدة القديمة تفرعت الحاجة إلى الدفن، حيث أصبح الدفن أمراً ضرورياً لأجل استقرار الروح في هذا المسكن السفلي الذي يرافقها في حياتها الأخرى، فالروح التي لا قبر لها لا مقر لها، فهي روح هائمة سرعان ما تصبح شريرة تعذب الأحياء وترسل عليهم الأمراض

(1) كولانج، فوستيل، المدينة العتيقة، ترجمة عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950، ص 11 – 13.
(2) VIRGILE. EN III, P. 67.
(3) هوميروس، الألياذة، ترجمة دريني خشبة، دار العودة، بيروت، 2002، 22:211.

وتتلف محاصيلهم وتثير الذعر فيهم وتظهر على صورة شبح Larvae[*]، كما ساد اعتقاد لدى الإغريق والرومان أنه بدون الدفن تكون الروح بائسة، وبالدفن تصبح سعيدة إلى الأبد فلم يكن قيامهم بالاحتفال الجنائزي لإعلان الألم بل لراحة الميت وإسعاده.

ومن الملاحظ أنه لم يكن يكفي أن يوضع الجسد في الأرض بل كان لابد من مراعاة الشعائر طبقاً للقواعد بدون هذه الشعائر كانت الأرواح تبقى هائمة وتتراءى للأحياء[1].

كان هناك خوف كبير لدى الإنسان من عدم مراعاة الشعائر نحوه بعد موته ومصدر عذاب له[2]، فقد كانت خشية الموت أقل من خشية الحرمان من الدفن الذي كان يعد فقداناً للراحة والسعادة الأبدية، «أخيل! أهكذا تنام ملء عينيك وتدع صديقك يهيم في مملكة الظلمات، دون أن يؤذن له بعبور ستيكس[**] الفائض بالحميم. إنني يا صديقي سأبقى طريداً شريداً ما دمت أنت متوانياي عن تأدية الطقوس التي يطلبها هاديس وتفرضها السماء[3].

وكان القانون في المدن القديمة ينزل بكبار المذنبين عقاباً اشتهر بفظاعته، وهو الحرمان من الدفن، فقد كانوا بذلك يعاقبون الروح ذاتها ويصبون عليها عذاباً يكاد يكون سرمدياً[4].

وكان هناك تصور لدى اليونان والرومان للعالم الآخر على أنه مكان كئيب تلجأ إليه أرواح أولئك الذين ماتوا وأنهوا وجودهم في الحياة، وكانوا يتصورون أن العالم الآخر يقع في مركز الأرض، وهو مكان الأشباح والغموض.

هذا التصور لا يجعل الموت سقوطاً نحو الأسفل، بل رحلة سفر طويلة بلا نهاية ولا عودة[5].

هذا العالم الآخر تعيش فيه الأرواح مجتمعة بعيدة عن أجسامها، وفيه يوزع العقاب والثواب طبقاً للسيرة التي سار عليها الإنسان أثناء حياته.

(*) لارفي Larvae: أرواح أولئك الموتى التي لا تستقر ولا تعرف الراحة أبداً بسبب الشر أو العنف الذي اقترف في حياتهم، واللارفي شبيهة بالأشباح أو الأرواح الشبحية ترمي الأحياء بالجنون والخوف وقد سميت أيضاً ليموريس.

(1) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 13، 16.

(2) كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص 16.

(**) ستيكس Styx نهر يحيط بمملكة هاديس يفصل العالم السفلي عن العالم الأرضي.

(3) أنظر: في الإلياذة 22: 338 – 344.

(4) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 16، 17.

(5) مبروك، أمل: 2011 م، ص 37، 38.

حيــث اعتقــد بوجــود الهاويـــة (الترتـــار Tartar)[*] وجــود حقــول النعــيم (الجنـــة)[**] Champs Elysees[1] .

وكان هناك رأي آخر أن الكائن الميت يعيش في القبر، وأن الروح لا تنفصل عن الجسد بل تبقى ثابتة في القبر، وما دام قد وضع في القبر فلم يكن عليه أن ينتظر ثواباً أو عذاباً فكان من الواجب على أهل الميت أن يقدموا له الطعام في أيام معينة من السنة، وهو نوع من اللبن والخمر يراقان على ثرى القبر من خلال حفرة أو شق لإيصال الأغذية الصلبة حتى مضجع الميت.

وفي حال تقديم الأضاحي، فإن لحمها كان يحرق حتى لا يحصل أي حي على نصيب منها، وأنهم كانوا يتلون صيغاً مقدسة معينة لدعوة الميت للطعام والشراب، ويحظّر على أسرة الميت أن تمس هذه الأغذية إطلاقاً إذا حضرت بكاملها هذه الوليمة، وعند العودة كانوا يتركون قليلاً من اللبن وبعض الكعك في آوان، وكان من الكبائر أن يقترب أحد الأحياء من هذه المؤونة الضئيلة المخصصة لحاجات الميت[2].

حيث كانوا يقولون: «اسكب على ثرى القبر اللبن والعسل والخمر، إذ أنه بهذا يدخل السرور على الموتى» وأيضاً «تلق هذا المشروب الذي يلذ للموتى». وكما كانوا يؤدون صلاة على الموتى «أي ابي، إذا أنا عشت فإنك ستحصل على مآدبه حافلة لكن إذا أنا مت فإنك لن تنال نصيبك من الأغذية المتصاعد دخانها والتي يتغذى منها الموتى»[3].

(*) تارتاروس Tartarus: الجحيم منطقة مخيفة جداً، جبالها صخور ومنحدرات وعرة، سهولها جدب، فيها برك متجمدة وبحيرات من الكبريت، تغطس فيها الأرواح روحاً بعد روح، وتعاني عذاب قاسي، من زمهرير وقيظ شديدين، مياه أنهارها عفنة راكدة أو ساخنة محرقة، والتارتار هو مكان العقاب الذي ينال فيه المجرمون جزاءهم العادل وفيه كل أنواع التعذيب ومن الصعب أن تهرب منه الأرواح.

(**) الشانزيليزيه (الحقول الإليزيه)، فهي مقر الأرواح السعيدة الفاضلة يعمها ربيع دائم، فيها الأزهار والثمار والخضرة الدائمة، وترويها مياه نهر ليثيا وهو نهر عذب، في هذه المنطقة تهنأ الأرواح السعيدة بالراحة وتستمتع بالشباب الأبدي. لا يعكرها قلق أو ألم. وقد اجتمع في الشانزيليزيه كل ألوان السحر والمتعة، مثلما اجتمع عند الآثمين كل ضروب التعذيب.

(1) لوقيانوس، مسامرات الأموات واستفتاء ميت، ترجمة إلياس سعد غالي، اللجنة الدولية لترجمة الوائع، بيروت، 1967، ص 97 – 131.

(2) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 19.

(3) ايسخيلوس، تراجيديات، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1996، ص 302، 303

ويؤكد لوقيانوس[*] بأن هذه العادات كانت لا تزال باقية في عهده: «يتوهم الناس أن الأرواح تأتي من أسفل نحو الأغذية التي يحضرونها لهم وإنهم يتمتعون بقتار اللحوم، وأنهم يشربون الخمر المراق على القبور»[1].

وكان يوجد عند الإغريق أمام كل قبر موضع مخصص لتقديم الأضاحي وطهي لحمها، وكذلك كان للقبر الروماني ما يسمى Culina وهو يشبه مطبخاً من طراز خاص ومقتصراً فقط على استعمال المتوفى[2].

كانت هذه العقائد بالغة القدم، وتبدو على درجة كبيرة من البساطة مع ذلك كان لها سلطان على الإنسان خلال عدد كبير من الأجيال، فسيطرت على النفوس والجماعات، ومعظم أنظمة القدماء العائلية والاجتماعية.

(*) لوقيانوس ولد في عام 125م في مدينة سمسياط على نهر الفرات شمال سورية وتوفى في سنة 180 م، ويقال أنه توفى سنة 175م ، وهو أديب وفيلسوف وكاتب ساخر عرف بكتاباته الإغريقية القديمة، أول من ابحر في عالم الرواية والخيال، ويعد من أشهر العلماء والمفكرين والفلاسفة في عصره وكان المعلم الأول لعدد من الفلاسفة والعلماء في عهده.

(1) لوقيانوس، المؤلفات، مجموعة آثار الأدب العالمي، موسكو، 1920، ج 2، ص 24.

(2) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 19، 20.

2 – عبادة الموتى:

نتيجة لإدراك أنه ما دام الميت في حاجة لغذاء وشراب فإن الواجب يفرض على الأحياء قضاء هذه الحاجة، لم تترك العناية بالموتى وتقديم الطعام والشراب لهوى الناس وعواطفهم المتقلبة، بل أصبحت فرضاً لازماً. وبذلك نشأت حول الموت ديانة كاملة من الجائز أن قواعدها قد زالت في زمن مبكر لكن شعائرها استمرت إلى أن انتصرت المسيحية[1].

أ – عبادة الموتى وتقديس الأسلاف عند السكان الوطنيين (السوريين):

لقد كانت رعاية الأموات وتقديسهم من الأمور المهمة عند السوريين، وهو تعبير عن اعتقاد راسخ عميق بالحياة الآخرة[2].

قد أثبتت أعمال التنقيب والكتابات الأثرية أن طقوس العناية بالموتى وتقديسهم كانت موجودة في سورية في الألف الثاني ق.م في كل من ماري وأبيلا وأوغاريت. وقطنا وغيرها من المناطق السورية[3].

ويبدو أن كلمة أم Amm تشير إلى تقديس الأسلاف ضمن القبيلة أو العشيرة هذه العبارة أم Amm تدل على طقس له شكل مثالي، كما تشير إلى الإله كما يظهر في بعض الأسماء مثل (أمي – عتر) Attar – Ammi سلفي هو عتر – أو عتر أمو، عتر هو السلف.

كانت عبادة تقديس الأسلاف تمارس في أوقات محددة ومناسبات معينة، حيث كان على الورثة القيام بالواجبات الدينية المطلوبة من تقديم الأضاحي والطعام والشراب، وإقامة جلسات الذكر، من أجل أن تكون الأرواح التي انضمت إلى فصيلة الآلهة في الأعالي سعيدة[4].

كان الهدف من عبادة تقديس الأسلاف هو تمتين الأواصر بين أبناء المجتمع الواحد، وتقوية الروح المعنوية بينهم لمواجهة شراسة الموت الذي يخطف أعزاءهم من بين أيديهم غير عابئ بقريب أو بعيد أو حبيب، فاهتم هؤلاء بالعناية بأرواح الموتى، وأدوا لها الشعائر لتبقى راضية عنهم غير معكرة لصفو حياتهم. وبقيت تمارس بصورة منتظمة بهدف تقديس المتوفى، والإبقاء على ذكراه والتواصل معه في ذات الوقت كما كانت من وسائل تخليد ذكرى المتوفى بعد الموت[5].

---

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 21.

(2) حمود، محمود: 2014، ص 419.

(3) نير، هريرت، تعدد المعتقدات – الأديان في سورية في الأف الثاني ق.م (كنوز سورية القديمة اكتشاف مملكة قطنا) متحف فورتمبرغ، شتوتغارت، 2009، ص 77.

(4) LIPINSKI: 2000, P. 605.

(5) السواح، فراس، دين الإنسان، دمشق، 2002، ص 213.

عند عدم القيام بالواجبات الجنائزية نحو الموتى فإن الأرواح تغادر العالم السفلي لتكون مصدراً لإزعاج الأحياء، أو إلحاق الأذى بهم، والتسبب بإصابتهم بأمراض شتى، حيث كان الخوف من أرواح الموتى التائهة كبيراً لدرجة تدفع الناس لتقديم النذور بشكل دوري منظم بغية تهدئة الروح[1].

ب – عبادة الموتى لدى الفئات الوافدة:

كان الموتى في اعتقاد الإغريق كائنات مقدسة وقد خلع القدماء عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً، فكانوا يسمونهم الطيبين والقديسين والسعداء ويكنون لهم كل التبجيل الذي يستطيع الإنسان أن يكنَهُ للمعبود الذي يحبه ويخشاه.

كان كلّ ميتٍ في فكرهم إله يقول ايسخيلوس : "أيها السعداء القاطنون تحت الثرى اسمعوا دعائي، هلموا إلى نجدة أبنائكم وامنحوهم النصر"[2].

هذا النوع من التأليه لم يكن امتيازاً مقصوراً على عظماء الرجال، إذ لم يكن هناك تميز بين الأموات، يقول سيشرون «أرد أسلافنا أن يحسبوا الناس الذين غادروا هذه الحياة في عداد الآلهة»[3]،بل لم يكن من الضروري أن يكون المرء من ذوي الفضيلة، فكان الخبيث يصبح إلهاً على قَدَمِ المساواة مع أهل الخير، إنما يحتفظ في ذلك الوجود الآخر بكل ميول الشر التي كانت نصيبه في الحياة الأولى.

كما كانوا يطلقون على الموتى اسم الآلهة الأسلاف، فالشاعر ايسخيلوس يدعو ابن ابيه المتوفى هكذا «أنت الذي هو إله تحت الأرض»[4].

وكان الرومان يطلقون على الموتى اسم الآلهة مانيس (Manes) فيقول شيشرون: «أعطوا الآلهة مانيس ما هو لهم، إنهم أناس هجروا الحياة، اعتبروهم كائنات إلهية»[5].

كانت القبور معابد هذه المعبودات، ولهذا كانت تكتب عليها هذه الكتابة المقدسة «إلى الآلهة مانيس ibusMan Dis وباللاتينية إلى الآلهة الأسلاف هناك كان يعيش الإله مدفوناً Sepulti Manesque[6].

(1) حنون، نائل : 2005، ص 213.

(2) أنظر: أيسخيلوس، حاملات القرابين 475 .

(3) أنظر شيشرون، القوانين 2: 22.

(4) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 22.

(5) أنظر شيشرون، القوانين 2: 9.

(6) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 22.

وكان أمام القبر مذبح للأضاحي كما هي الحال أمام معابد الآلهة.

ويعتبر الإغريق والرومان الموتى كائنات إلهية تتمتع بوجود سعيد، ولكن كان هناك شرط لسعادتهم، وهو أن يحمل الأحياء القرابين لهم بانتظام، فإذا انقطع تقديم الغذاء الجنائزي للموتى فإن الموتى يخرجون فوراً من قبورهم أشباحاً هائمة يسمعها الناس في الليل الساكن، وهي تلوم الأحياء على إهمالهم الآثم، وتحاول أن تعاقبهم فترسل عليهم الأمراض، أو تصيب الأرض بالجدب، فالضحية وتقديم الطعام وإراقة السوائل تدخلها القبر من جديد، وترد لها الراحة والصفات الإلهية وعندئذ يصبح الإنسان في سِلْمٍ معها[1].

حيث كانت الموتى آلهة يرجونها ويلتمسون تأييدها وعطفها، وعندما يجد أحدهم في طريقه قبراً كان يقف ويقول: «أنت الذي هو إله تحت الأرض كن عطوفاً عليَّ»[2] .

وهذه الأرواح البشرية التي ألهها الموت هي ما يسميه الإغريق بالجن Demons أو الأبطال Heros ، وما يطلق عليه الرومان اسم لاريس، مانيس، جيني Lares, Manes, Genies[3]، حيث اعتقد الرومان أن المانيس إذا كانت شريرة يجب أن تسمى لارفي Larvae، ويسمونها لاريس (مفردها لار) إذا كانت خيرة وعطوفة[4]، ويقول شيشرون «إن هؤلاء الذين يسميهم الإغريق دايمون نسميهم نحن لاريس»[5].

هكذا تعتبر ديانة الموتى من أقدم الديانات فقد عبد الإنسان الموتى قبل أن يتصور زيوس وهيرا وغيرهم من الآلهة ويعبدهم، حيث كان الموت أول الأسرار، وهو الذي وضع الإنسان في طريق الأسرار الأخرى ورفع فكره من المرئي إلى الخفي، ومن الطارئ إلى الخالد، ومن البشري إلى الإلهي.

---

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 22–26.

(2) أنظر: يوروبيدس، الكستيس 1004 – 1016.

(3) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 22–26.

(4) توكاريف، سيرغي: 1998، ص 442.

(5) كولانج، فوستيل. دي: 1950، ص 27.

3 – معتقدات عن العالم السفلي :

أ– العالم الآخر صفاته وآلهته لدى السوريين:

كان السوريون القدماء يعتقدون بوجود العالم السفلي الذي تذهب إليه الأرواح ويتم الولوج إلى هذا العالم عن طريق بوابات تؤدي إليه، وعد القبر واحد من تلك البوابات ثم الحفر العميقة في الأرض ثم سلم الآلهة الذي يربط العالم الأعلى (السماء) والعالم السفلي وهو مخصص للآلهة فقط [1].

وقد كان لهذا العالم بعض القوانين التي توجب على الداخل أن يحترمها وإلا فأنه سينال عقوبات قاسية ، ويمكن التعرف على بعض تلك القوانين من خلال استقراء النص التالي الذي أطلق عليه تعليمات الدخول إلى العالم الأسفل .

إذا اعتزمت النزول إلى العالم الأسفل
فسأقول لك كلمة ، فاتبع كلمتي ، سأرشدك فسر وفق إرشادي
لا تكتس بالحلة الزاهية ، وإلا هب بوجهك الموتى لأنك تبدو نزيلاً غريباً
لا تمسح جسدك بالزيت الفاخر لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره
لا ترم عصا في العالم الأسفل مخافة أن تصيب بعضهم فيحيطوا بك
لا تنتعل نعلاً ولا تحدث صوتاً في العالم الأسفل
وإذا وجدت الزوجة التي تحب فلا تقبلها
وإذا وجدت الزوجة التي تبغض فلا تضربها
ولا تقبل الابن الذي تحب ولا تضرب الابن الذي تكره
والإ فأن صراخ العالم الأسفل سيتمكن منك[2].

والأسطورة الأكادية "هبوط عشتار" إلى العالم السفلي تقدم لنا تفصيلات أكثر عن عالم الجحيم ، كما ان هذا التداعي الأسطوري قد امتد في الثقافة الآرامية أيضاً، حيث نقرأ هنا وصفاً دقيقاً لعالم الموت فهو دار ظلام وعالم اللاعودة ، جاء في الأسطورة :

إلى الأرض التي لا عودة منها إلى دار الظلام
ومسكن أريشكيجال، إلى الدار التي

(1) علي فاضل ، عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز ، بغداد، 1986، ص107.

(2) باقر ، طه ، مقدمة في أدب العراق القديم، 1976، ص 228.

لا يرجع منها الداخل، إلى المكان الذي

لا يرى سكانه نوراً ولا ضياءً

حيث الغبار طعامهم والتراب معاشهم

يسبحون في الظلام ، فلا بصيص ولا شعاع[1]

كما يقص انكيدو أحلامه على جلجامش ويصف العالم السفلي بأن الحياة فيه كئيبة موحشة فهي انعكاس شاحب للحياة على الأرض، ويروي له كيف سيق إلى بيت الظلام .

إلى البيت الذي لا يغادره من يدخله .

إلى الطريق الذي لا عودة منه ،

إلى المكان الذي لا يرى سكانه نوراً وضياءً

حيث الغبار طعامهم والطين قوتهم ،

عليهم أجنحة بدل الملابس ،

يعيشون في الظلام فلا يرون النور .

في بيت التراب شاهدت الملوك ، وتيجانهم مطروحة على الأرض والأمراء الذين حكموا في القرون الخوالي[2].

كذلك وردت الإشارة إلى معالم العالم الأسفل في نص أخر على لسان انكيدو ، والذي قص فيها مشاهدته لذلك العالم وأهواله لرفيقه جلجامش قائلاً :

لن أقص عليك أخبار العالم الأسفل يا صديقي، وإذا لا بد من إخبارك فعليك أن تجلس وتبكي أن جسمي الذي كنت تلمسه يوم كانت الأفراح تغمر قلبك ، يلتهمه الدود الآن ، أضحى كأنه اللباس البالي.

هل رأيت الذي مات فجأة ؟

أجل رأيت ، أنه يرقد على سرير النوم ويشرب الماء الصافي.

---

(1) باقر, طه: 1976، ص 229.

(2) ملحمة جلجامش : اللوح السابع (34 – 42).

هل رأيت الذي قتل في المعركة؟

أجل لقد رأيت ، أن أمه وأباه يرفعان رأسه وتبكي عليه زوجته.

هل شاهدت الذي رميت جثته في البرية بدون دفن؟

أجل شاهدت ، أن روحه لا تجد الاستقرار والراحة في عالم الأموات.

وهل رأيت الذي لا يعنى بروحه أحد؟

أجل لقد رأيت، أنه يشرب من الحثالة ويأكل كسر الخبز من فضلات المدينة .

هل رأيت الذي لم يخلف ولداً؟

أجل رأيت ، وطعامه التراب

هل رأيت الذي خلف وراءه ابناً واحداً؟

أجل رأيت ، وهو ممدد بجانب الجدار يبكي .

هل رأيت الذي خلف ابنين؟

أجل رأيت ، وهو فرح القلب ويأكل الخبز.

هل رأيت الذي خلف ثلاثة أبناء ؟

نعم رأيت وهو يسقى من قرب ماء العمق .

وهل رأيت الذي خلف أربعة أبناء ؟

أجل رأيت ، وهو فرح القلب ، يضطجع في بناء من الآجر .

وهل رأيت الذي خلف خمسة أبناء ؟

نعم رأيت ، وهو كالكاتب الطيب ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر .

ولم يكن العالم السفلي في المفاهيم الدينية مستقراً لأرواح الموتى من البشر فقط ، بل كان أيضاً بمثابة المنفى الذي تبعد إليه الآلهة كما يحدث سنوياً للإله تموز ، فضلاً عن ذلك كان العالم الأسفل مقرا لإقامة الآلهة الخاصة بالموت والأمراض والشياطين وأتباعها من صغار الآلهة[1].

(1) جنون ، نائل :1976، ص 169.

وكـان العـالم الأسـفل يحكـم مـن قبـل الإلــه نرجـال (Nergal) وزوجتــه الإلهــة أريشـكيجال (Erishkigal) يسـاعدهما مجموعـة مـن الآلهـة الصـغيرة بمـا فـي ذلـك وزيرهمـا أشـروم ، وإلهـة الكتابـة بعلـة صـيري Beleterstim التـي تقوم بتسجيل الداخلين، وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات ، شأنهم شأن الآلهة على سطح الأرض والبشر الذين يعيشون فوقها، فضلاً عن عدد كبير من الشياطين الذين يتوزعون في عدة مجاميع لكل مجموعة عملها الخاص الذي توكل به[1].

كانـت أريشـكيجال (السـيدة العظيمـة) والأخـت الكبـرى للإلهـة عشـتار ، والحاكمـة المطلقـة علـى العـالم الأسـفل قبـل الـزواج مـن الإلـه نرجـال الـذي يبـدو أنـه أصـبح ملكـاً علـى عـالم الأمـوات بفضـل شجاعته وجرأته ومحبة أريشكيجال له .

وذُكِرَ في أحد النصوص المسمارية بهذا الخصوص فحوى القصة التي جعلت من نرجال زوجاً لأريشكيجال وملكا للعالم الأسفل ، حيث ورد فيها أن الآلهة اقامت دعوة طعام لملكة العالم السفلي إلا أنها لم تستطع الحضور ، فندبت عنها وزيرها الذي صعد إلى السماء العالية لاجتماع الآلهة ، وما أن وصـل ممثل أريشـكيجال إلـى السـماء حتـى وقفت الآلهـة جميعـا احترامـاً وتكريمـاً لرسـول اريشـكيجال، ويبدو أن الإله نرجال لم يفعل مثل بقية الآلهة .

مما استدعى غضب الإلهة أريشكيجال عليه بعد أن قص المبعوث ما حصل من نرجال، وتبعاً لذلك أرغم الإله نرجال على النزول إلى العالم الأسفل للاعتذار من أريشكيجال.

وبعد أن التقيا وبـدلاً من أن يقوم نرجال بالاعتذار كما هو مطلوب ، يبدو أنـه قد هجم علـى أريشكيجال، وشدها من شعرها وجرها على الأرض ، وبعد أن هم بقطع رأسها خاطبته قائلة: لا تقتلني يا أخي ، ودعني أقول لك كلمة ، كن زوجي وأكون لك زوجتك ، وسأجعلك ملكاً على مملكة العالم الأسفل الواسعة ، فتبدل غضب نرجال إلى ود ومحبة تجاهها فقبلها وجفف دموعها وتزوجها[2].

وأطلق على العالم الأسفل تسمية أرض تموز ، نسبة للإله تموز الذي كان واحداً من آلهة العالم الأسفل لنزوله المؤقت اليها في موسم الشتاء ، كما أطلق على هذا الإله ملك الأرض البعيدة وملك أرض اللاعودة .

(1) حنون ، نائل ، موت الإله تموز (دوموزي) ومسألة قيامته في عقائد العراق القديم، بين النهرين ، بغداد، 1981، ص 18.

(2) باقر ، طه : 1976 ، ص 234.

ومن الإشارات الأخرى إلى كون تموز من آلهة العالم الأسفل ، ما ورد في ملحمة جلجامش من أن عائلة جلجامش قدمت القرابين من أجل حماية جلجامش الذي يبدو أنه قد أصبح فيما بعد واحداً من آلهة العالم الأسفل(1).

وتعتمد مرتبة المرء في العالم الأخر على نشاطه إبان حياته ويتولى الحكم على أرواح الموتى الإله (ننار) الذي يقر نصيبهم ومصيرهم في المملكة المظلمة.

ب- معتقدات عن العالم الآخر لدى الإغريق :

هاديس(*)، هو ابن كرونوس(**) وريا(***) وأخ لكبير الآلهة زيوس، انتزع بفضل زيوس من بطن أبيه الذي كان قد ابتلعه، وأصبح ملك العالم السفلي (عالم الموتى) المظلم حيث كانت تذهب أرواح الموتى وفقاً لتصور الإغريق.

ولم تقبل أية إلهة أن تشاركه الملك بسبب دمامته وقسوة ملامحه، وخاصة بسبب كآبة مملكته، لذلك صمم على خطف برسيفوني(****)، واتخذها زوجه له كان مطاعاً من الجميع، ولكنه كان مع ذلك مكروهاً ومرهوب الجانب لذلك لم يكن له على الأرض أي معبد أو هيكل.

يقع قصره وسط الترتار (الجحيم)، ومن هذا القصر يشرف بصفته ملكاً على إدارة شؤون مملكته(2). وتقف على خدمته آلهة الانتقام الإيرينات (Les Erinnyes) القاسيات. فكن يلاحقن المجرمين بالسياط والأفاعي، ولا يمكن الاختباء منهن، فهن يعثرن على ضحيتهن في كل مكان(3).

---

(1) حنون ، نائل : 2005، ص241- 243

(*) معنى اسم هاديس Hades الخفي وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى خوذته التي تخفيه عن الأنظار. وكان من أكثر الآلهة حقداً على أخيه زيوس لأن زيوس قام بخداعة وأنزله إلى العالم السفلي.

(**) كرونوس: أبو الآلهة وخالق الكون في الأساطير الإغريقية.

(***) ريا Rhea: هي بنت غايا من أورانوس وقد تزوجت كرونوس، وولدت منه هاديس، بوسيدون، وزيوس.

(****) برسيفوني Prsephone: هي ابنة زيوس وديمتر ربة القمح وكانت برسيفوني تعرف باسم كوري Kore أي الفتاة أو الصبية.

(2) كوملان، ب، الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا ومحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص 158.

(3) نيهاردت، أ. أ، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة هاشم حمادي، دمشق، 1994، ص 22.

وعلى عرش هاديس يجلس قاضي مملكة الموتى مينوس Minos ابن زيوس من أوروبا(*) وشقيق رادمانتوس حيث يقرر هو ورادمانتوس الأرواح التي تسكن الحقول الإليزيه (النعيم)، والأرواح التي تعاقب في تارتاروس (الجحيم)[1].

وبالقرب من العرش يجلس إله الموت، ثاناتوس Thanatos، وكانت وظيفته القبض على أرواح الناس الذين سيموتون ونقلهم بالقوة للعالم السفلي[2].

كما نرى الإله الشاب الجميل هيبنوس (Hypnos) الذي يرمز إلى النوم الأبدي[3]، واسمه اللاتيني سومنوس Somnus[4] ، كما يطوف أرجاء مملكة هاديس آلهة الأحلام، حيث كان بعضها يعطي الأحلام الصادقة والبهيجة، وبعضها يعطي الأحلام الفظيعة والرهيبة التي تخيف الناس وتعذبهم، وكذلك منها من يعطي الأحلام الكاذبة، وهؤلاء يضللون الإنسان ويقودونه إلى الهلاك.

وتعيش في مملكة هاديس المظلمة الشيطانة إمبوزا (Empousa) التي كانت تستدرج الناس إلى مكان مهجور، فتمص كل دمائهم، ثم تلتهم أجسادهم. وعلى رأس جميع الأشباح والعفاريت تقف الربة العظيمة هيكات(**) (Hecate)[5]، وكانت تقوم على خدمة برسيفوني وتتجول معها ولها القدرة على إرسال الأحلام والأشباح وأرواح الموتى ولذلك سميت ربة الأشباح والتعذيب والانتقام[6].

في مملكة هاديس المرعبة نجد كيربير Cerbere، الذي كان المسؤول عن حراسة بوابة العالم السفلي يرقد في غار على ضفة نهر ستيكس Styx يحرس باب الدار الآخرة وقصر هاديس، حيث يمنع الأشباح التي تريد الخروج من الدار الآخرة[7].

(*) أوروبا (Europa) ابنة أجينور الملك الفينيقي وأخت قدموس أصبحت أم مينوس ورادمانتوس من زيوس.

(1) لوقيانوس: 1967، ص 78– 117– 131.

(2) نيهاردت، أ. أ: 1994، ص 22.

(3) كوملان، ب: 1992، ص 169.

(4) شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا: 1999، ص 126.

(**) مخلوقة كريهة وهي بثلاثة أبدان وثلاث رؤوس.

(5) نيهاردت، أ. أ: 1994، ص 23.

(6) لوقيانوس، 1967، ص 130، 167.

(7) المصدر نفسه، ص 51، 75، 83.

وهناك أيضاً شارون Charon، الذي كان وظيفته أن ينقل أشباح الموتى إلى ما وراء نهري ستيكس وأخيرون(*)، لم يكن يأخذ في زورقه إلا أشباح الموتى الذين دفنوا في القبور والذين يدفعون له رسم المرور الذي لا يقل عن فلس واحد ولا يزيد عن ثلاثة، لذلك كان الناس يهتمون بوضع النقود اللازمة لسداد أجرة المرور في فم الميت، لم يكن بمقدور الأحياء الركوب بزورقه إلا إذا أتوا بتصريح بالمرور من برسيفوني الذي كان عبارة عن غصن ذهبي مكرس لها[1].

أما فيما يتعلق بمدخل الدار الآخرة (مملكة هاديس) هو عبارة عن ممر ضيق يؤدي إلى المقام المظلم، تسكنه أشباح مخيفة، فمنها أشباح الألم، والحزن، والندم، والعلل المنهكة والشيخوخة الكئيبة والرعب والمجاعة، والفقر والتعب[2].

كان هاديس مبجلا لدى الإغريق، وعلى الرغم من ذلك لم يؤلف لتكريمه أي نشيد.

وتميزت عبادته عند الإغريق بمراسم خاصة: فكان الكاهن يحرق بخوراً بين قرون الضحية ثم يربطها ويبقر بطنها بسكين، وكانت أفخاذ الحيوان مكرسة بنوع خاص لهذا الإله، ولم يكن من الجائز التضحية لهذا الإله إلا في الظلام، على أن تكون الضحية سوداء، ويدار رأسها ناحية الأرض.

وكان هناك كهنة يختصون بالتضحية لهاديس وحده، كما كان يضحى له بأعداد زوجية دائماً، في حين لا يضحى لسائر الآلهة إلا بأعداد فردية.

ويتم حرق الأضاحي بشكل كامل، فلا ينال الكاهن منها شيئاً على الإطلاق، لا لنفسه ولا لغيره من أفراد الشعب، وقبل ذبح الأضاحي، تحفر حفرة لتلقي الدم، ويرش فيها نبيذ القربان، ويكون الكهنة عاري الرؤوس، ويطلب من الحاضرين مراعاة السكوت التام، خوفاً من الإله بالأكثر لا توقيراً له.

(*) نهر أخيرون Acheron كان مثل ستيكس Styx تعبره الأرواح فلا تعود منه. واسم أخيرون بالإغريقية معناه الحزن والأسى، كان مجرى أخيرون قوي، شديد الاندفاع حتى أنه يجرف كتلاً ضخمة من الصخور وكأنها ذرات من الرمل.

من روافده نهر كوكت Cocyte، وعلى ضفاف الكوكت كانت أشباح الموتى المحرومين من القبور تهيم على وجهها مائة عام قبل أن تحضر أمام المحكمة العليا لتعرف مصيرها النهائي. **وهذا النهر هو نهر التأوهات، يحيط بمنطقة الترتار ولم تكن مياهه على ما يقال سوى دموع الأشرار** الغزيرة.

وكذلك من روافده نهر فليجيثون، وهو يحيط بسجن الأشرار مياه هذا النهر من لهب كبريتي، أنظر كوملان، ب: 1992، ص 157.

(1) كوملان، ب: 1992، ص 163.

(2) المرجع نفسه، ص 163.

كما كرس الإغريق لملك الدار الآخرة العدد اثنين باعتباره عدداً مشئوماً، وللسبب نفسه كرس له الرومان ثاني شهور السنة، وخصص ثاني أيام هذا الشهر لتقديم القرابين له[1].

لم يكن هاديس على صلة بالأحياء اللهم إلاّ عندما يتوسل الأحياء إليه من أجل أقاربهم الموتى، ويتبين من وصف الأدباء والشعراء أنه كان إلهاً متجهم الوجه، جامد القسمات صارم لا يرحم، وكان عقابه شديداً على المجرمين، وأنه يحكم مملكة الموتى بحزم بل بقبضة من حديد فلا يسمح لأحد بالخروج من مملكته بعد دخوله[2]، ويصور هاديس عادة بلحية كثه ومظهر صارم، ويبدو أحياناً وقد طوق جبينه اكليل من الابنوس أو النرجس عندما يجلس على عرشه الأبنوسي أو الكبريتي يمسك بيده اليمنى صولجاناً أسود أو حربة.

ويمسك أحياناً مفاتيح تعبيراً عن أن أبواب الحياة تغلق إلى الأبد خلف كل من يدخل مملكته، ويصور أيضاً في مركبة تجرها أربعة خيول سود جموح، والشارة التي ترى كثيراً بالقرب منه هي شجرة السرو التي تعبر أوراقها القاتمة اللون عن الكآبة والحزن[3].

ج – معتقدات حول العالم الآخر عند الرومان:

ورث الرومان عن الإغريق صورة العالم الآخر، وفي (مسخ الكائنات) للشاعر الروماني أوفيد ترد إشارة إلى مكان العالم الآخر عندهم .

وفي الديانة الرومانية كان الإله (أورك) أو (أوركوس) رب الأهوال هو الذي يحكم مملكة أفيرنوس (الجحيم) ويعمل على التهام جثة الميت، أما بلوتو فكان يجهز عليه قبله بمطرقة على رأسه . وكانت مملكة العالم السفلي (أفيرنوس) تتكون من :

1 – طبقة إيريبوس: التي تتجمع فيها أرواح الموتى ، وفيها سهل الزنبق الذي تعيش فيه أرواح الموتى خالدة وتوجد فيه ربات الانتقام التي تعاقب الأرواح الآثمة، وكذلك مكان إله الموت (أورك) وهناك يوجد الكلب سيربيوس (حارس بوابة الجحيم).

2 – طبقة بلوتو: ويقع فيها قصر رب الجحيم الإله بلوتو ، ومن هذا القصر يشرف على إدارة مملكته مع زوجته بروسيربينا، وكذلك يعيش معه قضاة العالم الأسفل مثل اللارات والمانات واللارفات، وهي أرواح كانت لها أعياد منتظمة وكان أصلها آلهة الرومان القديمة، ولكن اللاهوت الروماني الإغريقي الجديد دفنها، ووضعها في العالم الأسفل، وأعطى لكل منها مهمة.

(1) كوملان، ب: 1992، ص 158، 159.

(2) سارة، خليل: 2011، ص 282، 283.

(3) كوملان، ب: 1992، ص 160.

3 – طبقة بحيرات الكبريت وأنهار العالم الأسفل العفنة والساخنة منها الأوقيانوس وأخيرون (الحزن) ونهر النار (بيرفليجثون) ونهر الكراهية (ستبتس) ونهر الكوتيتوس وهو (نهر التأوهات).

4 – طبقة التارتاروس: وهي الهوة السحيقة الهائلة الظلام التي تقع في قاع الجحيم، ويعاقب فيها البشر الأشرار والخطاة[1]. كان الرومان يعتقدون بوجود حياة ثانية ما بعد الموت لذلك قاموا بتزويد الميت بأدوات جنائزية مناسبة[2].

وكانوا يصورون الجحيم في بعض الأحيان على أنها موضع العقاب ومسكن الأشباح، هو مكان العذاب الأبدي والنسيان النهائي . كما يقول لوقيانوس «يجد الإنسان في آخر الأمر الديمقراطية المنشودة»[3].

(1) أوفيد، ب: مسخ الكائنات (ميتا مورفوس)، ترجمة ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 100– 102.

(2) LINDSAY. H, Death Pollution and Funerals In The City of Rome London, 2000, P 168.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، المجلد الثالث، ترجمة محمد بدران، بيروت، لبنان، ص 176، 177.

ثانياً – عبادة الآلهة في سورية خلال الحكم الروماني:

كان هناك في سورية عدد كبير من الآلهة، يمكن القول أن بعض هذه الآلهة تعود للعصور ما قبل الكلاسيكية، والبعض الآخر من هذه الآلهة كان موجوداً في العصر الروماني.

حيث كان هناك استمرارية من العصور الحجرية إلى العصور الرومانية، وامتازت الآلهة بخاصية الفردية وامتازت أيضاً بأن أشكالها كانت واضحة ومميزة(1).

حيث انتشرت في كل مدينة عبادة آلهة محلية – بجنسيها الذكر والأنثى كما حملت صورها تسميات عامة: إيل – إله، بعل – سلطان، بعلات – ربة ، أدون – السيد(2).

كما تعددت اسماء الآلهة في المجتمع السوري خلال الحكم الروماني ، وكان لكل منها وظائف وصفات ورموز مختلفة ، وتشابهت ادوار هذه الآلهة رغم اختلاف مسمياتها وهذا ما نجده في الآلهة السورية التي عرفت في العصرين الهلنستي والروماني وكان لها نظير عند الإغريق والرومان (3). ومن الآلهة المقدسة بل Bal واللات Allat والإله بعلشمين Baal Shamin سيد السماء والإله بعل ماركود Ball Marcod سيد الرقص وإله الزلازل(4)

ومن الملاحظ في عبادة الآلهة السورية حقيقة مثيرة، هي انتفاء وجود أي تجل للبحر تقريباً في عبادتهم على الرغم أنهم كانوا من الشعوب البحرية، كما أن آلهتهم لم تكن حماة للملاحة ولا للتجارة البحرية، لقد كانت آلهة اليابسة كلياً، فوق هذا أنها كانت مرتبطة بنمط المعيشة الرعوي(5).

وأدخل الإغريق والرومان عبادة عدد من الآلهة الكلاسيكة إلى سورية مثل زيوس /جوبيتر، أثينا/ منيرفا، أفروديت/ فينوس،فكتوريا، نمسيس، أرتميس/ ديانا، هيجيا/ سالوس، اسكلوبيوس، ديونيسوس/ باخوس، هرقل، أبولو، أريس/ مارس، هرمس/ ميركوري وبان، واختلفت الأسماء ما بين الإغريقي منها والروماني وتشابهت في المهام.

وهنا سوف أتناول عبادة الآلهة في سورية خلال الحكم الروماني في مجموعتين هما:

1 – الآلهة المحلية السورية.

2 – الآلهة الوافدة – الآلهة الكلاسيكية.

(1) BOUCHIER, M: 1915, PP. 236, 237.

(2) توكاريف، سيرغي، الأديان في تاريخ الشعوب، ترجمة أحمد فاضل، دمشق، 1998، ص 352.

(3) JOHNSTON. S: 2007, PP. 173-175.

(4) BOUCHIER :1915, PP. 238, 239.

(5) توكاريف، سيرغي: 1998، ص 353.

1 – الآلهة المحلية السورية:

أ – الإله رشف Reshef:

عُبد رشف في شمال سورية منذ الألف الثالث ق.م وكان له دور مهم في الطقوس الدينية[1]. وكان أحد الآلهة الرئيسة في سورية ويعتبر رشف إلهاً كنعانياً، وهو إله الموت، معنى اسمه اللهيب[2].

كما يظهر رشف في النصوص الآرامية بصيغة رشف خطر، وهو الطاعن بالرمح أو الرامي بالصولجان أو المقلاع، يماثل هذا الإله الإله نرجال ويظهر كاسم مكان في العهد السلوقي على شكل أرسوف، ويظهر في العهد القديم بصيغة النار والمشاعل والشرارات والجوع والوباء.

ويعتبر الإله رشف مكافئاً سفلياً للإله هدد[3]، ومرتبته بعد إله العاصفة. كما اعتبر هذا الإله لاحقاً إلهاً للطاعون وللشقاء والعالم السفلي[4].

انتشرت عبادته في مصر حيث يعده المصريون إله البرق واللهيب[5]. كما عُبد في قبرص، ويصور رشف على هيئة رجل ملتح بوجه تيس الماعز بيده فأس ويحمل ترساً ويلبس خوذة[6].

ب – الإله موت :

ابن ايل في مجمع الآلهة الكنعاني. إله قوي عدو للإله بعل[7]، يعتبر موت رب حصاد المحاصيل، وعلى الأخص القمح[8].

---

(1) حمود، محمود: 2014، ص 156.

(2) هنري، س. عبودي، معجم الحضارات السامية، الطبعة الثانية، منشورات جروس برس طرابلس، لبنان، 1991، ص 424.

(3) الماجدي، خزعل: 2000، ص 86.

(4) دوبون، سومر: 1988، ص 76.

(5) حمود، محمود: 2014، ص157.

(6) هنري، س. عبودي: 1991، ص 424.

(7) المرجع نفسه، ص 820.

(8) شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا، معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دمشق، 1999، ص 170.

يقول فيلون الجبيلي(*) أن اسم هذا الإله يعني الموت ويقرنه بإله الجحيم هاديس الإغريقي أو بلوتون الروماني(1).

كما يعتبر موت حاكم العالم السفلي، حيث تم تصويره بشكل مخيف «شفة إلى الأرض، وشفة إلى السموات، أما اللسان فإلى النجوم»، وشهية موت لا تشبع، إنه في جوع دائم أبدي ويستطيع أن يبتلع كل واحد تسوَّلُ له نفسه أن يقترب منه فعندما أرسل بعل رسله إلى موت حذّرهم: «احذروا يا رسل الآلهة لا تقتربوا من ابن إيل، موتو، كي لا يبتلعكم، كما يبتلع الضأن، كما يبتلع الجدي»(2).

يعتبر الإله بعل عدواً لموت وهما في صراع مستمر، فعندما انتصر بعل على الإله يم(**)، فإن قوته بقيت ناقصة بسبب وجود منافس له بين الآلهة هو موت إله الجدب والفناء والعالم السفلي، وتمثله حرارة الشمس المحرقة والجفاف.

وكان موت يطالب أيضاً بالسيادة على الآلهة الأخرى، ونتج عن التنافس والصراع بين الإلهين انتصار (موت) ونزول بعل إلى العالم السفلي مع غيومه ورياحه وبروقه ورعوده وأمطاره وكل اتباعه.

بعد غياب بعل يتوقف الخصب على الأرض، حيث يعلن إيل الحداد، وتحزن على بعل أخته عناة(***) وتقوم عناة بالثأر لبعل من موت وتقتله.

الفكرة الأساسية في هذه الأسطورة هي الصراع بين موت إله الجدب والفناء وبعل واهب الحياة، وهذا الصراع ما هو إلا انعكاس لتعاقب فصول السنة في سورية التي تعتمد في زراعتها على مياه الأمطار(3).

(*) فيلون الجبيلي(64–161م) : مؤرخ فينيقي ذو ثقافة إغريقية، له كتاب التاريخ الفينيقي Phoinikia Historia الذي هو عبارة عن سجل للأساطير والتقاليد الفينيقية، لم يصل هذا التاريخ كاملاً، بل حفظ البعض منه في عمل المؤرخ البيزنطي يوزيبيوس القيصري في كتابه المدعو (التاريخ الكنسي) .

(1) هنري، س. عبودي: 1991، ص 820.

(2) حمود، محمود: 2014، ص 426، 427.

(**) الإله يم هو إله البحر.

(***) عناة إلهة الحب والحرب.

(3) مرعي، عيد، الإله بعل، الموسوعة العربية، المجلد الخامس، دمشق، 2002، ص 184.

ج – الإله هدد Hadad:

هو إله العاصفة والأمطار، وهو راكب الغيوم وصوته الرعد وسلاحه الصواعق أطلق عليه كذلك اسم رمانو وريمون وهذا الجذر مشتق من الرعد ومعناه المرعد، ومن رموزه الفأس المزدوجة والصاعقة التي تدل على وظيفته كإله للرعد.

وأطلق عليه اسم بعل شمين أي رب السموات، وسماه الكنعانيون بعل، ويقابل زيوس(*) لدى الإغريق وجوبيتر(**) لدى الرومان.

مثل واقفاً على ثور وبيده مطرقة وانتشرت معابده في دمشق وبعلبك ومنبج (هيرابوليس) قرينة هدد هي اترغاتيس الملقبة بالإلهة السورية[1].

وفي العصر الروماني فقد قرن بكبير آلهة الرومان جوبيتر، كما وصلت عبادته إلى العاصمة روما نفسها، وذلك بفضل الجنود والتجار السوريين، حيث تم العثور على الكثير من الآثار الدالة على عبادته في المقاطعات الغربية من الإمبراطورية الرومانية.

أشهر مراكز عبادته في سورية مدينة هيرابوليس /منبج حيث اقترن مع الربة اترغاتيس التي تفوقت عليه بالمكانة (انظر الشكل رقم 2) وكانت أيضاً مدينتا هليوبولس (بعلبك) ودوليخي Doliche في آسيا الصغرى من أهم مراكز عبادته[2].

د – الإله بعلشمين Baalshmin:

يعد بعلشمين سيد السماء، هو إله كنعاني كان يرمز للخصوبة، عبده الأوغاريتيون والآراميون، وكان الآراميون يطلقون عليه بعل شمين، وأيضاً اسم إله متنو، ومما يؤكد ذلك العثور على نقشاً محفوراً على مذبح جنوب شرقي صلخد، وقد كتب عليه (ل ب ع ل / ش م ن / م ت ن و / ب ش ن ت / 33 ل . م ل ك م / م ل ك ا / م ل ك / ن ب ط و / ومعناه : لبعل شمين إله متنو سنة 33 لملك مالك الأنباط .

(*) زيوس – كبير الآلهة في أساطير اليونان (جوبيتر عند الرومان) إله السماء والجو لا يخضع إلا لربات القدر – كان أبوه كرونوس يبتلع أبناءه لكن زوجته «ريا» أنقذت زيوس الذي قاد الآلهة والناس – كانت غرامياته كثيرة.

(**) جوبيتر (المشتري) كبير الآلهة في الديانة الرومانية هو نفسه زيوس عند اليونان – إله السماء والمطر والصواعق زوجته جونو – إلهة كبرى عند الرومان (هيرا عند اليونان) راعية لنساء وحامية الأنوثة والزواج.

(1) عثمان، سهيل، الأصفر، عبد الرزاق، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982، ص 282.

(2) حداد، حسني، مجاعص، سليم، بعل هدد – دار أمواج، دمشق، 1993، ص 37، 38.

وقد جعله فيلون الجبيلي مطابقا للإله اليوناني زيوس ووضعه على هرم الآلهة فغذا رئيسهم[1] ومن أشهر مراكز عبادته في سورية مدينة هيرابوليس/ منبج، كذلك مدينتا بعلبك (هليوبوليس) ودوليخي (Doliche)، وفي آسيا الصغرى وسمي ببعل دوليخي (انظر الشكل رقم 3)[2].

فهو رب العاصفة والأمطار، لذلك يوصف بأنه سيد العالم ، وفي حوران عرف برب الزراعة القدوس ، كما أطلق عليه في بصرى عاصمة الإقليم الروماني صفة ابيكاروس أي منتج الثمار، وانتشرت عبادته في كل مكان فيه زراعة .

كما سماه التدمريون (مره علما) اي سيد الأبدية ، وما استعمالهم لهذا اللقب إلا اعتراف منهم بتفوق هذا الإله على كافة الآلهة[3].

ومن رموزه السنابل كرب للخصب، والزوبعة كرب للعواصف والمطر، ويوصف بالطيب والمثيب والرحمن ومن رموزه أيضاً الثور والنسر[4].

خلال الفترة الهلنستية كان بعلشمين الإله الأعلى في سورية وقد أدى ذلك إلى توسع وانتشار عبادته.

في الفترة الرومانية اعتبر الإله الأعظم في سورية، والتوازن بين زيوس وبعلشمين قد تحقق بعد أن تطورت عبادة الإله زيوس في البلاد السورية، وخلال منتصف القرن الثاني الميلادي غدا كل من هدد وزيوس وبعلشمين آلهة شعبية[5]، وتمت مطابقته مع جوبيتر وانتشرت عبادته في سورية في القرنين الثاني والثالث الميلادي ليصبح أهم الآلهة ذات الطابع العسكري والحامي للجيش الروماني.

كما وصلت عبادته إلى روما وذلك بفضل الجنود والتجار السوريين[6]. ويعتبر معبد بعل شمين في تدمر واحداً من أهم المعابد في سورية[7].

---

(1) BOUCHIER: 1926, P. 245.

(2) ياسين، وعد: 2010، ص 57.

(3) المرعشلي، ميسون: 2005، ص 276.

(4) تيكسدور، كانيفة: 1996، ص 15.

(5) المرعشلي، ميسون: 2005، ص 278.

(6) حسني، حداد، مجاعص، سليم: 1993، ص 37، 48.

(7) BOUCHIER: 1926, P. 267.

5 – الإله بل Bal :

يكتب اسمه باليونانية Belos ولكنه ليس سوى الاسم السامي لزيوس المحلي، ويقول ديون كاسيوس بوضوح فيما يتعلق بالإله بل، إن زيوس هو المدعو بيلوس، هو سيد القدر[1].

كان بل من أهم الآلهة التدمرية الرئيسية، حيث كان رئيس مجمع الآلهة وشركاؤه يرحبول (إله الشمس) وعجلبول (إله القمر).

وكان الإله بل يمثل من خلال المنحوتات برداء عسكري، شعره مصفف بشكل مستدير حول وجهه، وتنتشر منه أشعة الشمس، يرتدي ثوباً قصيراً ويحمل بيده اليسرى كرة أو سيفاً، مستنداً على رمح أو صولجان[2]. (انظر الشكل رقم 4) .

تصور بعض بطاقات «التيسيرا» وهي بطاقات الدعوة للمشاركة في الولائم المقدسة، الإله بل يحمل بيده غصناً أو غصنين من أوراق الشجر، كإله لشجرة الزيتون.

كما أن جميع الأوابد الأخرى أظهرته كإله كوني مطلق يحكم آلهة الشمس والقمر، وتصوره سيداً للنباتات والسماء المرصعة بالنجوم والأبراج وبالنتيجة سيد القدر الذي يقود العالم.

وكانت توجد في تدمر هيئة من الكهنة مكرسة لخدمة عبادة الإله بل، وهي أقدم مؤسسة معروفة في تدمر باعتبارها وردت ضمن أقدم نص عن الموقع والمؤرخ في عام 44 ق.م[3].

وكانت له أكبر المعابد في تدمر، ويظهر أيضاً مع قرينته المعروفة باسم بلتي ومع الربة عشتار[4].

و – الإله إيلاجبالوس Elagabalus:

إله الجبل، أو إله الشمس، اسمان لإله واحد اشتهر باسم إله الشمس الحمصي، لم يكن لهذا الإله تمثال بشري منحوت كما هو معتاد في معابد الإغريق والرومان، أنما بقيت عبادته محافظة على الطابع المحلي للمعبودات التي كانت أحيانا ترمز لإلهتها بحجر طبيعي غير منحوت، غالبا ما يتخذ شكلاً مخروطياً[5].

---

(1) تيكسدور، كانيفة: 1996، ص 14، 15.

(2) عبد الكريم، مأمون: 2008، ص 243.

(3) سيريغ، هنري، المعابد التدمرية، ترجمة غادة الحسين، الأوس للنشر والتوزيع، دمشق، ص 26 .

(4) البني، عنان، تدمر والتدمريون، دمشق، 1978، ص 176.

(5) ياسين، وعد: 2010، ص 57.

وصلت عبادته إلى روما، وكان رمز هذا الإله يظهر على العملة المحلية وعلى الأعمدة.

بالنسبة إلى مراسم العبادة والاحتفال بالإله Elagabalus كان يقوم الكهنة بمناسك العبادة اليومية أمام الحجر(*) مع حركة تقوم على الرقص يصاحبها الطبول والمزامير، وكان الكهنة يلبسون سترة قصيرة من الذهب في عبادة هذا الإله(1).

وصلت عبادة هذا الإله إلى أوجها في عهد الإمبراطور أنطونينوس الملقب بـ إيلاجبالوس وذلك نسبة لمنصبه ككاهن لإله الشمس، والذي قام بنقل الحجر الأسود المخروطي الشكل الذي يمثل هذا الإله من معبده في حمص إلى روما سنة 222 م إلا أن الحجر ما لبث أن عاد إلى موطنه في سورية بعد اغتيال الإمبراطور(2).

ويعد معبد إله الشمس من المعابد الهامة في سورية في تلك الفترة حيث أشار بعض المؤرخين إليه مثل هيروديان(**) الذي تحدث في كتابه عن تاريخ الأباطرة الرومان عن هذا المعبد وأهميته الدينية على مجمل المنطقة.

وترد بعض الإشارات على المسكوكات التي ضربت في مدينة حمص حول عناصره وشكله الكلاسيكي من خلال وجود الرواق الأمامي والجبهة المثلثة(3).(انظر الشكل رقم 5)

ز – الإله أدونيس Adonis:

تختلف الأساطير حول الاسم الحقيقي للإله أدونيس فأحداها تقول: إن الاسم الحقيقي للإله أدونيس هو تموز، أما أدونيس فهي كلمة سامية مشتقة من اللفظ الكنعاني السوري آدون ومعناها (السيد)، وهو لقب احترام كان يطلقه عليه عباده .

(*) كان معبد الإله إيلاجبالوس يتضمن حجراً أسوداً ضخماً مخروطي الشكل بنهايته رأس ناتئ مسنن وقد كان الفينيقيون وفق وصف المؤرخ هيرو ديان – يدعون أن هذا الحجر قد هبط من السماء، وأن شكل الحجر غير المنمق يمثل طبيعة الشمس ولقد أتاحت بعض النقود التي تحمل صورة للحجر تقديم هذا الوصف عنه.(أنظر: ياسين، وعد، ص 56)

(1) BOUCHIER: 1926, P. 261.

(2) التهايم، فرانس، إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، تعريب ايرينا داوود، دار المنارة، دمشق، 1990، ص 39، 40.

(**) هيروديان (**Herodian 170 – 240 م**): مؤرخ روماني يعرف ب هيروديانوس السوري ،له كتاب بالتاريخ بعنوان تاريخ الامبراطورية منذ موت ماركوس ،يتألف من ثمانية كتب تغطي الفترة مابين عامي (180-238م) ولقد وضع هذا الكتاب باللغة الإغريقية(الميداني, محمد, 2015, ص 7)

(3) عبد الكريم، مأمون: 2008، ص 77، 78.

وأخرى تقرنه بالإله السوري بعل إله المطر والسحاب والخصب ، ويعتمدون على ذلك أن كلمة أدون الآرامية والتي تعني السيد أو الرب كانت من الصفات التي تسبق الإله بعل، يعتبر أدونيس إله الخصب والتجدد وجمال الطبيعة .

واشتهرت عبادته في مدينة جبيل وفي أرض كنعان وبلاد الإغريق . وأدونيس هو الإله الفتى الذي يموت ويبعث للحياة بعد موته[1]، كما عُبد عند الفينيقيين على أنه إله النبات والخصب[2]، ويعد أدونيس من الرموز النباتية لأنه يغيب في الشتاء تحت الأرض، ثم يبعث في الربيع فصل الحب فيزدهر ليثمر في الصيف، فهو يمثل الموت والبعث المستمرين في الطبيعة، وكان الحداد يقام لموته والأفراح تقام لبعثه في أعياد فخمة في كثير من المدن ومنها جبيل[3].

أدونيس هو الذي تنازعت عليه كل من أفروديت/ عشتروت ربة الحب والجمال، وبرسيفوني ربة الموت فتدخل زيوس أبو الآلهة وقضى أن يبقى أدونيس عند أفروديت أربعة أشهر وعند برسيفوني أربعة أشهر، وما بقى من السنة فلأدونيس الخيار في انتقاء من يشاء من الإلهتين، فانتقى أفروديت.

أما مصرعه فكان عندما ذهب ذات يوم إلى الصيد في غابة فينيقية فهاجمه خنزير بري وجرحه فهرعت أفروديت/ فينوس لتضمد جراحه ساكبه العطور على الدم المتدفق فانبثقت من هذا الدم شقائق النعمان وأضحى مصرع أدونيس موضوعاً لطقوس الحداد[4].

تأكدت عبادة أدونيس في عدة مناطق من سورية، وكان له معبد في دورا أوروبوس[5].

ح – أترغاتيس Atargatis:

تعد من الإلهيات الرئيسية في سورية خلال العصر الهلنستي، وانتشرت عبادتها في العصور الهلنستية والرومانية في مدينة هيرابوليس (منبج) مدينة الإلهة هيرا زوجة زيوس وتقابلها جونو الرومانية إلهة الآسرة والزواج وزوجة جوبيتر .

وأهم مصدر عن عبادتها هو لوقيانوس السمسياطي في مؤلفه الإلهة السورية حيث يتحدث عن احتفالاتها وطقوسها المقدسة والقرابين التي كانت تقدم لها[6].

---

(1) خلايلي، إبراهيم، تموز/ أدونيس من بابل إلى القدس الإله الذي أذهلت أسطورته المؤرخين القدماء، مجلة مهد الحضارات، العدد الأول، دمشق، 2006، ص 62.

(2) شابيرو، ماكس: 1999، ص 30.

(3) عثمان، سهيل، الأصفر، عبد الرزاق: 1982، ص 37.

(4) لوقيانوس: 1992، ص 23.

(5) SARTER. M: 2005, P. 230.

(6) لوقيانوس: 1992، ص 22– 25.

وهي تشبه الآلهة هيرا(*) بشكلها العام، ونالت أترغاتيس شهرة واسعة في حوران حيث كانت إلهة الحيوانات والطبيعة البرية التي تضمن العودة المستمرة للنباتات ودورة الفصول[1].

كانت عبادة هذه الآلهة منتشرة في تدمر والمناطق الوسطى والشمالية من سورية، كما انتشرت عبادتها أيضاً عند الأنباط فأصبحت تناظر اللات عندهم فهي ربة الحياة النباتية وربة القمح وربة الدلفين وربة الحظ والخصب[2]، أنظر (الشكل رقم 6).

ودخلت هذه الإلهة إلى الأراضي الرومانية في القرن الثاني قبل الميلاد، وعرفت باسم دياسيريا Dea Syria وكانت تقابلها أفروديت[3].

وقد صورت على رأسها تاج وتمسك صولجاناً في يدها ومغزلاً في اليد الأخرى محاطة بالأسود ترفع يدها بحركة مباركة في منبج ودورا أوروبوس[4] حيث يرمز الصولجان دوماً إلى القوة والسلطة أو يرتبط الصولجان بالآلهة كأحد أسلحته المستخدم في القتال بينما المغزل يرمز إلى طرد الأرواح الشريرة والحماية من العفاريت.

وكان لها عدد كبير من الرموز منها السنبلة والسمكة والعجلة والأسد ، فقد كانت السنبلة رمز الزراعة والخصب والمحصول الوافر، أما السمكة فقد كانت رمز الحياة والتكاثر، والعجلة رمز السفر ودفة السفينة، بينما الأسد هو رمز القوة والبطش[5].

وكان معبدها في مدينة هيرابوليس (منبج)، أعظم وأغنى من كل المعابد الأخرى فكان يأتي إليه الكثير من التقدمات والتماثيل والأعمال الفنية، من الجزيرة العربية ومن الفينيقيين ومن بلاد الرافدين ، كما يأتيه الكثيرون من كبادوكيا Cappadocia ومن كيليكيا Cilicia[6].

وكان السوريون يحجون إليه من كل مكان، وكان محاطاً بجدار مزدوج وله أعمدة ورواق من جهة الشمال وارتفاعه حوالي ثمانية أقدام وكانت أبواب المعبد من الذهب[7].

(*) هيرا (Hera): اسمها يعني السيدة، سيدة السماء وزوجة زيوس راعية الزواج والأسرة وأم هيفاستون أنجبته وحدها في لحظة غضب فكان شائها(انظر: بارندر, جفري, 1990, ص383)

(1) سارتر، موريس: 2008، ص 103.

(2) عدنان بن ذريل: 1965، ص 73.

(3) MILLAR. F: 1994, p. 244.

(4) تيكسدور، كانيفه: 1996، ص 20.

(5) الماجدي، خزعل: 2000، ص 95، 96.

(6) تيكسدور، كانيفه: 1996، ص 20، 21.

(7) BOUCHIER: 1926, P. 250.

ط – الإلهــة عشتــار:

إلهة رئيسية في سورية كانت في البداية ربة للأرض وخصوبتها ، ثم نقلت مهامها إلى عالم الإنسان فأصبحت إلهة الحب .

كانت معروفة باسم عشتار البابلية أو ربما عتر الآرامية زوجة الإله هدد ، وعبدت على انها آلهة مؤنثة رمزها كوكب الزهرة عند البابليين والآشوريين والكنعانيين بينما عبدها العرب الجنوبيون على أنها إله ذكوري تحت اسم عثتار وكان يرمز إليه بنجم الصباح [1].

عشتار هي الأصل الشرقي للربة الإغريقية أفروديت ، فكلتاهما إلهتان للحب بينما أطلق عليها الرومان فينوس, واعتبرها العرب سيدة الحرب والحياة الأخرى، ورأوا فيها صورة لآلهتهم اللات التي تناظر اثينا عند الإغريق ومنيرفا عند الرومان، وكانت دائما قرينة الإله ذي الشرى الأوسع انتشار وخاصة في جنوب سورية , ومن صفاتها المساعدة والشامخة والحامية والمثمرة والرفيقة وسيدة الربيع .

انتشرت عبادتها في الأقاليم الرومانية واختلطت مع عدد من الآلهة السورية مثل اللات واترغايتس، وكانت تلقب في تدمر بالطيبة[2]، كما كانت عشتار Ashtar رفيقة الإله بل وكونت مع بل ويرحبول (رب الشمس) وعجليبول(رب القمر) أقدم الآلهة في تدمر، كما أشارت نصوص تدمر لـ هيرتا كإحدى صفات عشتار بمعنى السيدة والعفيفة والحرة والمحاربة[3].

---

(1) حمود، محمود: 2014، ص 70، 71.

(2) ALHARIRI. K: Rituals Religious, Palmyra, Damascus 2009, PP. 119-120.

(3) Ibid, P. 126.

2 – الآلهــة الوافـدة:

إلى جانب الآلهة السورية انتشرت عبادة مجموعة من الآلهة الإغريقية والرومانية في سورية خلال الحكم الروماني .

أ– الإلهة برسيفوني/ بروسيربينا Persephone – Proserpine:

هي ابنة زيوس وديمتر(*) تذكر الأساطير قصة زواجها مع هاديس، بأنها كانت تلعب يوماً مع الربتين أثينة وأرتميس وكن يقطفنّ الزهور حيث ابتعدت برسيفوني عنهما، وفجأة انشقت الأرض عن هاديس (إله الموتى) وهو راكب عربته التي تجرها جياد سوداء داكنة واختطفها(**) وحملها في عربته عنوة(1)، وجعلها زوجته وملكة العالم السفلي ، وبناء على وصية ديمتر وافق زيوس أن تمضي برسيفوني ثلثي السنة في العالم الأرضي والثلث الأخير في العالم السفلي وهكذا انقسمت السنة إلى فصل النمو وفصل الحصاد وفصل الشتاء(2).

وكانت عبادة هذه الإلهة أكثر ما تكون إجلالاً في صقلية ولم يكن عند الصقليين قَسَمٌ يقسمون به أصدق وأقوى من قَسَمهم بالإلهة برسيفوني.

وفي الجنازات يدق الناس صدورهم إجلالاً لها، ويقص الأصدقاء والخدم أحياناً شعورهم ويلقونها في الموقد الجنائزي حتى يلين قلب هذه الآلهة.

وتجلس هذه الإلهة عادة بجانب زوجها، على عرش من الأبنوس حاملة مشعلاً تخرج منه شعلة ممتزجة بدخان ضارب إلى السواد، وفي مشهد الاختطاف، تبدو مغمى عليها من الرعب على مركبة تحملها إلى الدار الآخرة(3).

(*) ديمتر Demeter ابنة كرونوس وريا، وربة الحبوب والزراعة والخصب نظيرتها الرومانية هي سيرس Cerces، كان حزنها على ابنتها كبيرا إذ أهملت الأرض فلم ينبت نبات وانتشرت المجاعة على الأرض، نتيجة ذلك طالب زيوس حاكم العالم أخاه هاديس بإعادة برسيفوني إلى أمها فإن ديمتر فرحت برجوع ابنتها جعلت الأرض خلال الربيع على أزهى ما تكون. ويتجدد حزنها كلما عادت ابنتها برسيفوني إلى العالم السفلي فتتعرى الأشجار وتنضب الثمار وتذهب الخضرة، أنظر: هلال، هيثم، أساطير العالم، دار المعرفة، بيروت، 2004، ص 117، 118.

(**) وقد نسب حادث اختطاف هاديس لهذه الإلهة إلى عدة أماكن، فقال البعض أنه جرى في صقلية على سفح جبل اتنا، وجعله البعض في أتيكا أو تراقيا أو ايونيا واختار البعض مكان وقوع الحادث غابة قريبة من ميجارا مدينة في بلاد الإغريق تقع على برزخ كورنثة.

(1) سارة، خليل: 2011، ص 283، 284.

(2) شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا: 1999، ص 201.

(3) كوملان، ب: 1992، ص 160، 161.

كما عُبدت برسيفوني في سورية وعثر على أنصاف تماثيل لها محفوظة في متحف دمشق وفي هذه التماثيل كان الفنان يعتني بتفاصيل الوجه الذي ظهر جميلاً ومتناسقاً[1]. (انظر الشكل رقم 7)

ب– الإله زيوس Zeus:

زيوس Zeus (جوبيتر عند الرومان) ابن رييا Rhea وكرونوس Kronos، من هنا لقبه كرونيد، أقوى وأسمى آلهة الشعب الإغريقي أبو الآلهة والناس، والآمر الناهي فيهم[2].

اسم زيوس مشتق من لفظ بمعنى الضياء واللمعان أو السماء، فهو إله السماء الذي يقيم في أعالي الجبال ويحكم الطقس والأنواء والنجوم والكواكب[3].

أصبح زيوس في العصر الهلنستي إلهاً كونياً شاملاً ورمزاً لفكرة الألوهية بكل أشكالها وتجلياتها، وهكذا اندمج مع الآلهة المصرية والسورية والشرقية مع سرابيس وآمون وإيل وبعل وغيرهم[4].

انتشرت عبادته في سورية خلال الحكم الروماني وكان له صفات ترافق اسمه، مثل باتروس Patroos (السلفي) و Soter (الحامي)[5]، وظهرت صفة ماجيستوس Magistos (العظيم) مع زيوس في جنوب سورية ترافقها أحياناً لفظة ماجيستوس هيبستوس Magistos Hypsistos (العظيم لأبعد الحدود)، وفي بصرى عرف زيوس بـ كيريوس Kyrios (ضابط الكل)، كما سمي زيوس في تدمر وحوران بالإله المنقذ، وعُرف زيوس في السويداء باسم فوسفوريوس Phosphoros (الإله المضيء).

وكذلك ورد اسم زيوس آمون Zeus Amon في جنوب سورية وانتشرت عبادته بين الجنود الرومان في الفيلق البرقاوي الثالث المقيم في بصرى.

وعُبد زيوس في دورا أوروبوس على أنه زيوس بيتيلوس Betylos أي (المذبح) وكان الإله المعبود فيها هو زيوس ماجيستوس.

كما تمت المطابقة بين زيوس الأولمبي مع زيوس (كيرافينوس) Keravios المعبود في حمص، كما انتشرت عبادته على الساحل السوري في حصن سليمان وأرواد، وعُرف بسيد الصاعقة وإله السموات ورب الزراعة، وفي أفاميا هو زيوس بيلوس Zeus Belos ، وفي دمشق هو زيوس

---

(1) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 216.

(2) نيهاردت، أ. أ: 1994، ص 81.

(3) سارة، خليل، تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق، 2011 – 2012، ص 278.

(4) الزين، محمد، زيوس، الموسوعة العربية، المجلد العاشر، دمشق، 2004، ص 535.

(5) تيكسدور، كانيفة: 1996، ص 22.

داماسكينوس Damaskenos حيث كانت مدينة دمشق مركز عبادته، وكان المعبد في تلك الفترة معروفاً أنه مركز للعرافة، وكان زيوس داماسكينوس معروفاً بأنه المقدس عند المقدسين، ووصفت دمشق بأنها المدينة المقدسة المنذرة إلى زيوس.

وعُثر على تمثالين لزيوس أحدهما يمثله جالساً، والآخر واقفاً وهو شبه عاري يلف الشملة حول جسده، وعثر على رأسين لزيوس أحدهما صور بالقرون والآخر بعصابة حول الرأس(1).

ج– جوبيتر Jupiter:

كبير الآلهة في الديانة الرومانية هو نفسه زيوس عند اليونان – إله المطر والسماء والصواعق(2)، كما أن اسمه مشتق من كونه إله الشمس المشعة هو ابن ساتورن(*) وريبا، وكانت جونون(**) أخته وزوجته في آن واحد . وعندما اتسعت الإمبراطورية الرومانية تم الربط بين زيوس وجوبيتر ولم يقلل ذلك من شأنه السياسي بل ظل حتى نهاية العصر الوثني رمزاً للوحدة الرومانية، وكانت كل مدينة تقيم له معبداً وتحتفظ بتماثيله وكان النسر رسوله والبرق صولجانه(3).

انتشرت عبادته في سورية حيث كان موازياً لزيوس مما جعله من الآلهة العليا في سورية، حيث تمت الاستعاضة أحياناً عن اسم زيوس لصالح جوبيتر، وأطلق عليه عدد من الصفات مثل لوستيتوس Lucetius (اللماع)، كاليسيوس Caelestis (السماوي)، فولغور Fulgurator (الزوبعة) وتونانس Tolans (الرعد) في جنوب سورية(4)، كما وارتبط اسم جوبيتر بأسماء المدن، كما هو الحال مع جوبيتر الهيليوبوليتاني Jupiter Heliopolitanes إله مدينة بعلبك في لبنان(5)، المعبود مع رفيقته جونو ريجينا Juno Regina الذي وصلت عبادته إلى أبيلا (سوق وادي بردى) في سهل الزبداني قرب دمشق وحوران، كما عرف في دورا أوروبوس وتدمر، وعرف في كوماجينة في شمال سورية Jupiter Dolichenos جوبيتر دوليشينوس وكان له معبد في دورا أوروبوس، وغالباً ما عُبد كإله للجنود(6).

---

(1) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 221.

(2) بارندي، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مجلة عالم المعرفة، العدد 173، الكويت، 1993، ص 400.

(*) ساتورن Saturnus رب قديم للانبات والحصاد توحد مع الإله الإغريقي كرونوس.

(**) هي إحدى آلهات الرومان، وهي زوجة جوبيتر وإلهة السماء ومن ألقابها ربة الزواج والولادة.

(3) عثمان، سهيل، الأصفر، عبد الرزاق: 1982، ص 243.

(4) حسن، نورس مرعي، منطقة اللجأ الوعرة، دراسة تاريخية أثرية، 2005، ص 88– 91.

(5) سارتر، موريس: 2008، ص 103.

(6) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 75.

د- الإلهة أفروديت/ فينوس Venus – Aphrodite:

تظهر أفروديت في الأساطير الإغريقية كإلهة للخصب والحب والجمال وهذه خصائص عشتار، إلهة الساميين[1].

تقول رواية هسيودوس[*] أنها ولدت من بذرة مزبدة خارجة من الأعضاء التناسلية لأورانوس التي سقطت في البحر[2].

واعتبرت أفروديت ربة أرضية وسماوية وبحرية، باعتبارها سماوية كانت تحمي المدن، وربة أرضية كانت تحمي المدافن والنبات وسيدة الزواج والحياة الاجتماعية، وربة بحرية كسيدة للملاحة[3].

انتشرت عبادتها في الجزر والموانئ ، وكانت قبرص Cyprus مركز عبادتها حيث كانت ربة الطقس المعتدل الذي يحتاج له المسافر ولاسيما عبر البحر[4].

انتشرت عبادتها بكثرة في سورية فقد عُبدت في عدد كبير من المدن في دمشق وحمص وحماة وأفاميا واللاذقية وأنطاكية، حيث عثر على تماثيل لها ويظهر معها أحياناً ابنها إيروس إله الحب كما في دمشق وحماة[5]. (انظر الشكل رقم 8)

هـ- الإلهة ارتميس Artemis:

هي إحدى الإلهات الكبريات، ابنة زيوس وليتو[**] وشقيقة أبولو، وتدعى الربة أرتميس سيدة الموت المفاجئ، فقد كانت تطلق سهامها فتقتل وترسل الأمراض الفتاكة فتفني المواشي والبشر، وكانت هذه الإلهة تصور هي حاملة قوساً . (انظر الشكل رقم 9)

وتعد ربة الحيوانات البرية وتحمل لقب اغرويترا Agrotera (ذات الحيوانات) وإن ارتميس كانت مقدسة عند النساء بصفتها لوشيا Locheia ربة الولادة حيث كانت تساعد النساء عند الوضع[6].

---

(1) سارة، خليل: 2011، ص 296.

(*) شاعر يوناني كتب أهم قصيدتين تعليميتين هما (الأعمال والأيام) والثيوغونيا (أنساب الآلهة) وتعتبر الثيوغونيا أهم مصدر للميثولوجيا اليونانية.

(2) إلياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق، 1986، ج 1، ص 347.

(3) العش، محمد أبو الفرج، الجندي، عدنان، زهدي، بشير، المتحف الوطني بدمشق، 1969، ص 98.

(4) توكاريف، سيرغي: 1998، ص 419.

(5) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 211، 212.

(**) ليتو Leto وتدعى عند الرومان لاتون. كانت ابنة المارد كويوس من فويبي أحبها زيوس فحملت منه بالتوأمين أبولو وارتميس.

(6) إلياد، ميرسيا: 1986، ص 343، 344.

وقد ارتبط اسم ارتميس بالقمر كما ارتبط اسم أبولو بالشمس.

انتشرت عبادتها في سورية خلال الحكم الروماني حيث اعتبرت الإلهة العظمى في دورا – أوروبوس، وكان معبدها من أهم المعابد فيها، وعُبدت في حوران وكانت عبادتها مألوفة على الساحل السوري مما يدل على ذلك العثور على قاعدة تمثال لها في منطقة اللاذقية يرافقها وعل أو غزال .

وقد مثلت ارتميس على أنها فتاة للصيد ،تحمل الرمح وتنكبت بالقوس والجعبة وترتدي الملابس القصيرة مع غزال إلى جوارها ، حيث مثلت على ذات الشكل في تمثالها المحفوظ في متحف دمشق الوطني بملابسها القصيرة والقوس والجعبة معها[1].

و– الإله أبولو Apollo:

أبولو واحد من أقدم آلهة اليونان، ابن زيوس وليتو، وشقيق أرتميس، هو إله مدمر، حيث يرسل الموت والأمراض والقرحة الفتاكة، ويعتبر إله الشمس والنور وحامي القطيع وحارس الطرق والمسافرين والملاحيين.

كما لقب بموساغيت أي رئيس رباب الشعر، فيما بعد أصبح أبولو حامي الفن والشعر والموسيقا[2].

كما يعتبر أبولو إله الشفاء Apotropaios وإله التطهير وإله النبوءة[3].

انتشرت عبادته في سورية حيث عُبد في تدمر وحوران ودورا أوروبوس وهيرا بوليس، وفي مدينة هيرابوليس/ منبج ارتبط تمثاله بالعرافة والتنبؤ، حيث كان يحمل من مكانه من قبل الكهنة أمام الكاهن الأكبر الذي يسأل عن المستقبل والتمثال يجيب الأسئلة إما بالتقدم مع الكاهن الذي يحمله نحو الأمام كنعم، أو للخلف بلا، وبالتالي لا تقوم أي مهمة في المعبد إلا بعد استشارته، ومن معجزات هذا التمثال أنه يطير في الهواء بحسب لوقيانوس[4].

---

(1) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 206.
(2) نيهاردت، أ. أ: 1994، ص 83، 84.
(3) سارة، خليل: 2011، ص 299.
(4) لوقيانوس: 1964، ص 153 – 157.

ز– الإلهة أثينا / مينرفا Minerva – Athena:

ربـة الحكمـة والمعرفـة، وتعتبر أثينـا الوحيدة بين الأولمبيين التـي لا والـدة لهـا حيث انبثقت من رأس زيوس[1] ، وتقابلها الإلهة منيرفا عند الرومان . وكانت تدعى Parthenos أي العذراء[2]، وكانت معلمة للحرف النسوية الممتازة كالغزل النسيج[3].

كما اعتبرت أثينا ربة حرب ذات صفات عسكرية حيث ارتبطت بربة النصر Nike وهي فكتوريا Victoria عند الرومان[4].

انتشرت عبادتها في سورية خلال الحكم الروماني، وتم الربط بينها وبين اللات حيث عُبدت أثينا – اللات في دورا أوروبوس وتدمر وحوران، ولقبت بالسيدة، وأقيمت لها المعابد والتماثيل في هذه المناطق[5].(انظر الشكل رقم 10)

ح– الإله ديونيسوس / باخوس Bacchus – Dionysus:

واحد من أقدم الآلهة في اليونان هو ابن زيوس من سميلي Semele مات وبعث من جديد.

وقد كرست لـه عدة أعياد مرحة كانت تقام منذ أواخر الخريف وحتى الربيع، وفي بعض الأحيان كانت هذه الاحتفالات تأخذ طابع الطقوس الدينية والباطنية وغالباً ما كانت تتحول إلى حفلات تهتكية (باخوسية)[6].

وكان القدماء في موسم جني الكرمة يحتفلون بأعياد ديونيسوس ويقيمون الولائم، واتصفت أعياده بالمجون[7].

وعُبد على أنه إله الخمر والخصب، كما توحد ديونيسوس مع الإله باخوس حيث اطلق عليه لقب ليبر Liber[8].

---

(1) إلياد، ميرسيا: 1986، ص 345.
(2) شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا: 1999، ص 54.
(3) إلياد، ميرسيا: 1986، ص 345، 346.
(4) سارة، خليل: 2011، ص 291 – 294.
(5) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 207، 208.
(6) نيهاردت، أ. أ: 1994، ص 88.
(7) إمام، عبد الفتاح إمام، معجم الأساطير، مكتبة مدبولي، القاهرة، المجلد الأول، ص 304.
(8) شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا: 1999، ص 87.

وصلت عبادته إلى سورية فقد عُبد في هيرابوليس وجنوب سورية ولاسيما بالسويداء (ديونيسياس Dionysias) التي حملت اسمه على اعتبار أنه إله الزراعة الكبير وكانت الكرمة من رموزه[1].

ط- الإله اسكليبوس Asklepios:

هو إله الطب وفن الطب، هو ابن أبولو، لم يكن اسكليبوس يقوم فقط بشفاء الأمراض، بل كان يحيي الموتى أيضاً، بهذا أغضب هاديس حاكم عالم الأموات، وكذلك زيوس لأنه أخل بالتوازن والقانون، الذي سنه على الأرض، فقتله زيوس بصاعقة ولكن الناس ظلوا يتعبدون لابن أبولو باعتباره الإله الشافي[2]. ومعنى اسم اسكليبوس (اسكلاب) أي الشافي لكل الأمراض[3] ، ومن أهم رموزه الأفعى المرافقة له، حيث ارتبطت الأفعى بآلهة الطب لأنها ترمز للشباب الدائم وتجدد الحياة على اعتبار أنها تغير جلدها سنوياً، كما أنها منحت اسكليبوس نبات الشباب الأبدي وهي حارسة هذا النبات[4].

فقد عُبد اسكليبوس مع ابنته هوجيا Hygeia في عدد من المدن السورية ولاسيما في أفاميا وأنطاكية وحماة واللاذقية وحوران[5].

ي- الإله هرمس / ميركوري Hermes – Mercury:

واحد من أقدم آلهة اليونان، إله الفصاحة والمكر والدهاء[6] ، هو ابن زيوس والحورية (ميا) في الأساطير اليونانية.

كان رسول للآلهة ويدخل البشر في تيه بتوجيهاته إذ كان قائداً للأرواح (سيكوبومبوس)، وكان يرافق الموتى إلى العالم السفلي مقر هاديس، هو نفسه ميركوري عند الرومان.

كان هرمس إلهاً للحظ السعيد والثروة وحامي التجار واللصوص على حد سواء، وقد اخترع القيثارة وكان إله الطرق[7], إن هرمس يجسد «هيرما» بلا شك وهي كومة أحجار أو عمود من

(1) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 220.

(2) إمام، عبد الفتاح إمام: 1995، ص 125.

(3) AL HARIRI. K: 2009, P. 124.

(4) زهدي، بشير، آلهة الطب ومشاهدها، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 25، الجزء الأول والثاني، دمشق، 1975، ص 89.

(5) المرجع نفسه، ص 83، 84.

(6) شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا: 1999، ص 118.

(7) كورتل، آرثر، قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريفي، بيروت، 1993، ص 174.

الحجر، كانت تقوم في اليونان بدور معالم على الطريق، وقد جرى تصويره عادة على شكل جذع حجري برأس آدمي كما أصبح هرمس إله التجارة وحامي المسافرين والدروب, ومن رموزه الصولجان أو العصا والقبعة المجنحة والصندل المجنح[1], انتشرت عبادته في سورية حيث كان معبوداً في حمص وتدمر حيث عثر على تماثيل له ومنها تمثاله الموجود في متحف حمص الذي نحت على شكل الهيرما، ويظهر على يده الهيرما اليسرى جلد نمر، مما يشير إلى أنه من حيوانات هرمس المقدسة، وهناك تمثال برونزي له يحمل مفاتيح الحياة ورأس تظهر منه الاجنحة[2].

ك– الإلهة تيكة (Tyehe):

تعد الإلهة تيكة حامية المدينة إلهة السعادة والحظ والثروة والخصب، وانتشرت عبادتها في سورية، وهناك تشابه بين مفهوم تيكة ومفهوم الربة التدمرية جاد Gad التي كانت ربة الثروة والسعادة والحظ والمصير, كما توحدت تيكة مع أترغاتيس حيث تم العثور على تماثيل للربة تيكة في مناطق عدة منها تدمر وحماة وغيرها، ومثلت على رأسها تاج له شكل أسوار مدينة ، وكان من أهم مهامها تأسيس المدن وحمايتها، وتقدير الأقدار ومن أبرز رموزها شيوعاً قرن الوفرة وسنابل القمح . (انظر الشكل رقم 11)

وقد وجدت لها معابد في سورية في كل من أفاميا ودورا ولعل أشهر تماثيلها تمثال تيخي أنطاكية[3]

م– الإلهة نميسيس (Nemesis):

ربة العدالة والانتقام عند الإغريق ، وهي تشترك بكثير من الرموز مع ربات القدر مثل الربة تيكة وتوحدت مع الإلهة أترغاتيس, وقد انتشرت عبادتها في عدة مدن في سورية كأنطاكية وأرواد وهيرابوليس/ منبج ودورا أوروبوس وجرش وغيرها من المدن.

ومن أهم رموزها حمل الميزان أو المقياس ومسك الدولاب أو العصا ورفع الأصبع إلى جهة الفم، وعثر على تماثيل لهذه الربة في تدمر ودورا أوربوس واللاذقية وغيرها[4]. (انظر الشكل رقم 12)

---

(1) توكاريف، سيرغي: 1998، ص 420.

(2) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 220.

(3) زهدي، بشير، تيكة وتماثيلها في المتحف الوطني، الحوليات الأثرية السورية، مج 16، دمشق، 1966، ص 16 – 23.

(4) زهدي، بشير، نميسيس وآثارها المكتشفة في سورية، الحوليات الأثرية السورية، مج 12، دمشق، 1961، 1962، ص 79.

3 – العبادة الإمبراطورية في سورية:

ترجع عبادة الإمبراطور والحكام والملوك إلى الشرق، كما أن هذا التقليد أوجده الإسكندر منذ العام 334 ق.م، وقد سار عليه كل الملوك السلوقيين في البداية بالنسبة للملوك الأموات، ثم بالنسبة للملك الحاكم وزوجته[1].

كان من تقاليد العبادة السورية إطلاق صفات الآلهة على الملوك الأحياء أو الأموات مثل كلمة سوتير Soter (الحامي) وثيوس Theos (إله)، وثيوس إيبفانيس Epiphanes Theos[2].

ربما أخذ الرومان هذه العبادة من الإغريق الذين عبدوا الحكام والملوك بصفتهم مخلصين أو مؤسسين للمدن، كان التكريم إما بصنع تماثيل أو تأسيس ألعاب على شرفهم وباسمهم أو عبادتهم، ويخصص لهم معابد وكهنة وأضاحي.

حيث تأثر الرومان بهذه العبادة في أواخر العصر الجمهوري[3]، بدأت العبادة الإمبراطورية بشكل بسيط في عهد سولا Sulla الذي اعتبر محبوب الآلهة، لكن التأليه الحقيقي كان ليوليوس قيصر Julius Caesar بعد موته ، وأوغسطس Augustus الذي أقيم له معبد في روما على شرفه وعُبد منذ عام 29 م[4].

حيث فرض الرومان العبادة الإمبراطورية في مختلف الولايات الرومانية لتكون هذه العبادة رابطاً يوحد الشعوب المتباينة التي ضمتها الإمبراطورية الرومانية، وكان من ضمنها ولاية سورية[5].

وقد اعتمد في نشر العبادة الإمبراطورية على إقامة مهرجانات وألعاب رياضية مترافقة مع الشعر والموسيقى مع أيام للعطل، ويكون للكاهن الأعلى دور كبير في هذه الألعاب كحكم وكموزع للقمح، أما دوره كحُكم فيعود إلى كونه ممثل الإله – الإمبراطور، أما دوره كموزع فيربطه مع الإلهة نميسيس، وبالتالي كان هناك ربط بين العبادة الإمبراطورية وعبادة نميسيس[6].

ونظمت هذه العبادة في سورية منذ عهد أوغسطس وكانت العبادة الإمبراطورية في سورية موزعة على ثلاثة مراكز – المركز الأول في أنطاكية، والثاني في طرسوس Tarsus في كيليكيا التي

(1) سارتر، موريس: 2008، ص 108.
(2) تيكسيدور، كانيفة: 1996، ص 34، 35.
(3) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 77.
(4) توكاريف، سيرغي: 1998، ص 495.
(5) ياسين، وعد: 2010، ص 116، 117.
(6) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 78، 79.

كانت جزء من المقاطعة السورية، والثالث في صور Tyr، وفي عهد هادريان Hadrian أصبح هناك مركز في دمشق، وكان لكل مركز معبد خاص بها وكاهن أعلى مهمته الاشراف على طقوس عبادة الإمبراطور[1].

وكان لمركز أنطاكية سلطة على بقية المراكز حيث نظمت عبادة الإمبراطور فيها منذ حكم أوغسطس، وكان كساندروس Dexandros أول كاهن كبير في المقاطعة، قد حصل من أوغسطس المؤله على لقب «صديق وحليف الشعب الروماني»[2].

واعتمدت أنطاكية على سلطتها السياسية في نشر العبادة الإمبراطورية، وحاز كاهنها على لقب كاهن المراكز الأربعة الكبير، مما يفرض عليه أن يكون عادلاً ونزيهاً ولاسيما بقيامه بعمليات توزيع القمح والأضاحي والزيت المقدمة للعبادة الإمبراطورية، وكانت التماثيل الإمبراطورية في مدينة دورا أوروبوس توضع في المعابد مثل معبد زيوس ماجيستوس وحدد وأرتميس.

ومن المؤكد وجود معبد مخصص للعبادة الإمبراطورية في تدمر من خلال وجود نقشين في المدينة يذكر أحدهما تكريم أحد المواطنين في المعبد الخاص بالإمبراطور ليس فقط معبد الإله بل والمعابد القبلية الأربعة[3].

مما تقدم يلاحظ القيمة العالية للعنصر الديني في الديانة السورية في الفترة الرومانية التي ارتبطت بمنظومة السلوك الاجتماعي في المجتمع السوري، واستطاعت أن تهضم وتكيّف الكثير من المؤثرات الخارجية بما فيها الدينية، وهذه الديانة لم تظهر فجأة للوجود بل كان لها وجود مؤكد منذ الألف الثالث ق.م، أو قبل ذلك ومن الأمثلة على ذلك عبادة الإلهة أترغاتيس وتقديس الأسلاف وغيرها.

كما لعب التنوع الثقافي والاجتماعي والحضاري في سورية دوراً كبيراً في تمازج الأفكار والعقائد الدينية.

(1) الملكي, هيا محمد حسان: 2012، ص 80.

(2) سارتر، موريس: 2008، ص 108.

(3) الملكي، هيا محمد حسان: 2012، ص 80.

الفصل الثالث

الطقوس والممارسات الجنائزية في سورية خلال الحكم الروماني

تمهيـد

أولاً – الممارسات والشعائر الجنائزية لدى السكان المحليين (السوريين):

1 – تحضير المدافن وملكيتها.

2 – عادات الدفن:

أ – الدفن العادي.

ب – حرق الجثث.

3 – القرابين الجنائزية.

4 – الولائم الجنائزية.

5 – الحداد والمراثي.

6 – المرفقات الجنائزية.

7 – الشواهد الجنائزية.

ثانياً – الممارسات والشعائر الجنائزية لدى الفئات الوافدة

1 – اليونانيين:

أ – معتقداتهم حول الموت.

ب – الطقوس والشعائر الجنائزية:

– تحضير الجثة.

– الموكب الجنائزي.

– الدفن.

– الاحتفال الجنائزي.

– الحداد والمراثي.

– المرفقات الجنائزية.

– شواهد القبور الإغريقية وأهميتها التاريخية.

2– الرومان :

أ – معتقداتهم عن الموت والعالم الآخر.

ب – الطقوس والشعائر الجنائزية:

– التحضيرات الدفن.

– الموكب الجنائزي.

– عادات الدفن:

– الحرق.

– الدفن العادي.

– التجهيز الجنائزي.

– المائدة الجنائزية.

– أقنعة شمع الأجداد.

– الحزن والحداد.

– الاحتفال الجنائزي.

– شواهد القبور اللاتينية وأهميتها التاريخية.

3 – اليهود:

أ – معتقداتهم حول الموت.

ب – المراسم والشعائر الجنائزية:

– الإطار الزمني من أجل الدفن.

– تحضير الجثة.

– الموكب الجنائزي.

– عادات الدفن:

– الدفن العادي.

– الحرق.

– الوليمة الجنائزية.

– التفجع والرثاء والحزن.

– شواهد القبور اليهودية وأهميتها التاريخية.

الفصل الثالث

الطقوس والممارسات الجنائزية في سورية خلال الحكم الروماني

أولاً – الممارسات والشعائر الجنائزية لدى السكان المحليين (السوريين):

كان الاعتقاد السائد لدى سكان المشرق القدماء بأن الموت أمر حتمي ومن نصيب الإنسان .

ففي ملحمة جلجامش الشهيرة تأكيد على حتمية الموت كما ورد في اللوح العاشر منها نقرأ ما يلي:

عندما خلقت الآلهة البشر
قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة[1]

غير أنه لا يعني النهاية المطلقة، أو الفناء بل أن الموت في تصورهم انقسام الكائن الحي وانفصال الروح عن الجسد وانتقال الروح إلى عالم الأرواح .

ولكن دوام هذه الصلة بين الروح والجسد، والتي تبقى حتى بعد الموت الذي يمثل راحة الروح واستقرارها في عالم الأرواح يتوقف على دفن الجسد أولاً ، وإقامة الشعائر والطقوس الجنائزية للميت ثانياً وذلك من خلال تقديم القرابين، وما يودع معه من حاجات ومأكولات وأدوات وغيرها [2].

هذه الحقيقة دفعت الإنسان إلى الاعتقاد بأن الموت هو اختفاء مؤقت عن الحياة ، وبعد ذلك يعود الميت إلى الحياة، مما أدى إلى إيمانهم بوجود علاقة جدلية بين الحياة والموت قائمة على أساس لا حياة من دون موت ، أو ليس هناك موت من دون حياة وقد رمز إلى هذه العلاقة باللون الأحمر الذي لا يزال يستخدم للدلالة على الحب واستمرارية الحياة ، وكذلك للدلالة على الخطر الذي هو الموت[3].

---

(1) بوتيرو، جان، الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، بغداد، 1970، ص 89.

(2) سليمان، عامر: 1993، ص 138، 139.

(3) رشيد، فوزي، «الديانة» حضارة العراق، ج 1، بغداد، 1985، ص 177.

من هنا جاء الاهتمام بالطقوس الجنائزية التي كانت تختلف بحسب اختلاف مكانة الشخص، ومنزلته الاجتماعية كأن تكون قصيرة وبسيطة للفقراء وذوي المكانة الدنيا في المجتمع، لكنها كانت أكثر فخامة وتستغرق وقتاً أطول للأغنياء والموسرين.

1 – تحضير المدافن وملكيتها:

جرت العادة أن يقوم الشخص بتحضير مدفنه قبل وفاته ، سواء كان مدفناً بسيطاً مجرد حفرة في التراب أو الصخر ، أو صرحاً ضخماً له ولعائلته ، وكان شكل المدفن يتعلق بالمستوى المادي للشخص.

إذا كان المدفن من النوع الجماعي المخصص للعائلة ، يقوم رب العائلة بتحضير المدفن وتجهيزه ، فيتم حفر القبرين المخصصين للأم والأب في المكان الأهم (الصدر مثلاً) ثم قبور بقية الأولاد ، إذا تم إدخال أفراد جدد إلى المدفن كالأحفاد حفرت قبورهم في باحة المدفن ، وأحياناً في المدخل حيث جرت العادة أن يستمر دفن أفراد العائلة في نفس مدفن الآباء والأجداد سواء كان مخصصاً لذلك أم لا[(1)].

وفي تدمر تؤكد النقوش التدمرية على عملية تجهيز المدفن وملكيته ومنها على سبيل المثال: النقش رقم CIS ,2 ,4214 جاء في النص ما يلي: (لقد بنيتُ هذا المدفن وكرسته لأولادي وأحفادي الذكور بحيث لا يقبلون فيه أي شريك معهم كما كتب).

وهناك نص تدمري آخر شبيه به: « هذا القبر qbr الذي شيدته لأبنائي وأحفادي الذكور وليس لهم الحق ببيعه أو التصرف به أو قبول شركاء لهم فيه حسب ما كتبت ».

كما توجد صيغٌ مماثلة في النقوش CIS ,2 ,4215 توصي بعدم التصرف بالمدفن، وقد ورد في هذا النص : «لا يسمح لأحد أن يتصرف به» ومن الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لم تكن ظاهرة تدمرية خاصة بل سورية بشكل عام[(2)].

ففي مدفن الأزواج الثلاثة الموجود في منطقة صيدنايا التي كانت إحدى حواضر منطقة القلمون المزدهرة في العصر الروماني، ويعرف هذا المدفن بمغارة الأصنام، قام أحد الأزواج (وهما يوليوس ديمتريوس وزوجته سعدني أعطوا المال لكل شيء) من أجل أعداد وتجهيز المدفن وبجانبهما هناك

(1) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان: 2013، ص 310.

(2) شيفمان: 1987، ص 64، 65.

زوجان آخران، العلاقة بين هذين الزوجين وبين الزوج الأول غير واضحة هل هما أب وأم يوليوس ديمتريوس، أو أب وأم سعدني، أم غير ذلك لا شيء مؤكد حول هذا الموضوع .

وفي المدفن المسمى مغارة الخوري يوسف (معلولا) يذكر النص : (في عام 509 سويموس بن ديودوروس فيليبون، من أجل عافيته حفر هذه المغارة) طبعاً لا يعني ذلك أنه حفرها بيديه إنما بتمويل منه أثناء حياته[1].

وإذا ما اتجهنا إلى سورية الجنوبية (حوران) يوجد الكثير من النصوص الجنائزية التي تتحدث عن ملكيةِ المدفن، وتحريم إدخال جسد آخر إلى المدفن ، وكمثال (فعلي) عن هذه النقوش نذكر النقش الآتي من قنوات ورد فيه:

« إذا فتح بعد موتي المدفن ودفن شخص آخر، سيدفع للخزينة... دينار »[2].

وملكية المدافن وعدم التصرف بها لم يكن سنة متبعة عند كل العائلات السورية في تلك الفترة، فقد أجبر الوضع الاقتصادي الذي كان جيداً، وأصبح سيئ لبعض العائلات صاحبة المدفن على استخدام المدفن نفسه ، وعدم قيام كل منهم بتحضير مدفنه الخاص .

ويوجد هناك الكثير من المدافن التي استخدمت لعدة أجيال علماً أنه ليس هناك ما يؤكد أن المدفونين كلّهم من العائلة نفسها أم لا[3].

وهذه الصروح الجنائزية سواء القبور الفردية أو الصرحية أصبحت تعرف تحت اسم نفش (Nefesh) حيث أن كل أنواع المدافن الجنائزية التي يتم تجهيزها سواء المبنية من الحجارة غير المنتظمة أو المشذبة، أو الأبنية الجميلة كان قد أشير إليها بعبارة نفش Nefesh ، ومفهوم هذه العبارة كان سائداً لدى السوريين الذين كانوا يخصون فيها المدفن الأرضي بصرح يخلد ذكراه.

وفي اللغة الآرامية تعني هذه الكلمة (شخص) وبالتالي فإنها كانت تدل على أن روح المتوفى تندمج مع الصرح من خلال مدفنه ، وهذا يعنى أن الصرح الجنائزي كان ينوب عن الشخص المتوفى، وأصبحت هذه الكلمة تدل على المدفن الذي أصبح يضم العديد من الموتى[4].

---

(1) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص 310.

(2) SARTRE and FAURIAT :Des Tombeaux Et Des Morts, Beyrouth, 2001, P 190.

(3) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص 310.

(4) سعد، همام، مفهوم الموت عند التدمريين، مجلة مهد الحضارات، العددان 13 – 14 ، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2011، ص 134.

علماً أن الاعتقاد السائد عند السوريين القدماء كان يقول أن المساس برفاة الميت، وسلب ما في قبره من محتويات تعتبر من الآثام الكبيرة، وتعرض مرتكبها إلى أشد اللعنات، والمحافظة عليها من الأمور الضرورية التي تؤدي إلى تجنب العذاب الأليم مع أهلَك في الحياتين الدنيا والآخرة[1].

ومن أجل هذا كانت المدافن تبنى في المناطق المأهولة بالسكان وغالباً ضمن أملاكهم، لحمايتها من السلب والانتهاك ومراقبتها بشكل دائم[2].

فيما يتعلق بتحضير وتجهيز المدافن من حيث الشكل وموادها وكيفية استعمالها فلم تكن مقيدة بقواعد واضحة، ويلاحظ عدم وجود تقليد واحد في المنطقة[3].

أما فيما يخص المكان الذي بنيت فيه هذه القبور والمدافن ، فيمكن الحديث عن عدد من النماذج:

1 – مدافن وقبور نفذت خارج منطقة السكن أو بعيدة عنها ، ربما تعود هذه المدافن إلى الجماعات الرعوية المتجولة.

2 – مدافن وقبور جهزت داخل المناطق السكنية ، أو داخل البيوت أو بجوارها ملاصقة لها تماماً.

3 – مدافن وقبور الدولمن (Dolmen)[*] والأبنية الحلقية (Tumulus)[**] التي أعيد استخدامها وتجهيزها من جديد ، لم يتم التعرف على هوية أصحابها [4].

إضافة لذلك لم يكن هناك اتجاه ثابت لوضعية المدافن أو القبور، أو لوضعية مداخلها أثناء تجهيزها، بل لها اتجاهات متغايرة تختلف من مكان لآخر وكان أكثر الاتجاهات شيوعاً في الدفن اتجاه الشرق والغرب[5].

---

(1) دوبون، سومر، 1988، ص 190.

(2) SARTRE and FAURIAT : 2001, P 191.

(3) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص 28.

(*) مدافن الدولمن (Dolmen): يتألف من حجرة صغيرة بني كل جدار من جدرانها بحجر واحد كبير أو حجرين، وكذلك السقف.. وتبنى الحجرة عادة على مرتفع صناعي مؤلف من كومة من الحجارة هذا النوع انتشر منذ الألف الرابع قبل الميلاد واستمر استخدامه حتى العصر البيزنطي.

(**) المدافن الحلقية (Tumulus): يتألف المدفن من مبنى يضم عدة قاعات حول بهو أو ممر، يطمر ضمن كومة من الحجارة الصناعية.

(4) حمود، محمود، شعائر الدفن وطقوسه القديمة، في منطقة دمشق والجنوب السوري، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 218 .

(5) المرجع نفسه، ص 219 .

2 – عادات الدفن:

كانت في سورية القديمة طريقتان للتعامل مع جثة الميت أولاهما الدفن العادي، أما الطريقة الثانية فهي الحرق.

آ – الدفن العادي:

لقد كانت هذه الطريقة هي الطريقة المفضلة والمتبعة عند السوريين ، وكان يتم تجهيز الجثة من قبل عائلة الميت بعد أن تغسل ومن ثم تمسح بالزيت توضع بكفن من النسيج أو الحرير ومن ثم يتم دفن الميت بالقبر(1).

ويمكن القول أن التكفين كان من الطقوس المتبعة في تدمر حيث تم العثور على بعض الجثث المحفوظة بشكل جيد، وعليها بقايا لقطع من النسيج أو الحرير حول جسد المتوفى قبل استقراره في مرقده الأخير(2).

وفي حالات قليلة اتبعت طريقة تحنيط الموتى هذه الحالة كانت معروفة بشكل جيد في مصر ، إلا أنها استخدمت في سورية وبالأخص في تدمر، وذلك في سبيل المحافظة على جسد هذا الميت الذي قدم الكثير من أجل مدينته وازدهارها وكان محباً للآلهة والمواطنين ، ولدينا العديد من المحنطات التدمرية المعروضة في متحف تدمر الوطني حالياً، وقد كانت اكفانها مطرزة بخيوط من الحرير الصيني أو القطن أو الصوف المحلي وبأبهى الألوان المشرقة(3). (انظر الشكل رقم 13)

بعد الانتهاء من الدفن كان يكلل القبر بأكاليل الغار، ويتم حرق البخور ، حيث كانت تجهز القبور بأحواض صغيرة يتم فيها حرق البخور(4).

ب – حرق الجثث:

كان حرق الجثة كتقليد من تقاليد الدفن أمر معروف في المواقع السورية منذ الألف الثاني قبل الميلاد مثل ماري وآلالاخ (تل عطشانة)، كما عرف في الألف الأول قبل الميلاد في المواقع الآرامية ومنها تل حلف (جوزن) وزنجرلي (شمأل) وقد استمرت هذه الممارسات على ما يبدو خلال الفترات اللاحقة.

---

(1) أبو عساف، علي، الآراميون، دار أماني، طرطوس، 1987، ص 270.

(2) GAWLIKOWSKI. M :Monuments Funeraire De Palmyre, Warszawa, 1970, P. 177.

(3) البني، عدنان، تدمر والتدمريون، دمشق، 1978،ص 202

(4) الأسعد، خالد، عادات وشعائر الموت عند قدماء التدمريين، مجلة مهد الحضارات العددان 21 – 22، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق ، 2015، ص 21

استمر ممارسة هذا الطقس من قبل السكان خلال العصر الروماني ، مثال على ذلك مدافن بلدة داريا في ريف دمشق التي عثر فيها على عدد من القبور العادية الفارغة إلا من بعض الرماد وبقايا العظام المتفحمة، وكان يتم حرق الجثث بعد وضع الجثة في القبر مستلقية على الظهر وصب كمية كبيرة من الزيت عليها عبر فتحه في غطاء القبر بعد الانتهاء من عملية الحرق, ومن ثم يتلوها رمي الأتربة من خلالها حتى امتلاء القبر [1].

ومن المحتمل أن لا يكون الحرق ناجماً عن إتباع طقوس دينية موروثة بقدر ما يمكن أن يكون اختيارياً أو اجبارياً تم اللجوء إليه بسبب طبيعة الموت الذي قد يكون ناتجاً عن وباء معد ، أو ربما لوصية المتوفى أو انحداره من أصول غير محلية لها تقاليدها التي تبيح هذه الممارسة ، أو نتيجة تأثر السوريون بثقافة جيرانهم التي ترجع إلى أصول حثية[2].

وهنا يلاحظ اختلاف بين السوريين والرومان في طريقة التعامل مع حرق الموتى، كان الحرق عند السوريين يتم داخل القبر بعد وضع الجثة فيه وبعد الانتهاء من عملية الحرق يردم القبر بالتراب ، بينما عند الرومان واليونان كان هناك مكان مخصص للحرق يعرف بالمحرقة، وبعد الانتهاء يجمع الرماد ويوضع في جرة فخارية التي توضع في القبر فيما بعد.

بالنسبة لبعض الشعوب فإن الدفن الطقوسي وحده يؤكد الموت فمن لم يدفن حسب العادة هو غير ميت، وزد على ذلك أن موت أحدهم غير معترف بصحته إلا بعد إكمال الطقوس الجنائزية[3].

وهذا ما أخذه السوريين بعين الاعتبار حيث اهتموا بدفن موتاهم واعتنوا بهم ، وحرصوا على القيام بكل ما اعتقدوه مفيداً لأجلهم.

---

(1) حمود، محمود : 2014, ص 193 .

(2) المرجع نفسه، ص 193 .

(3) الياد، مرسيا، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص 135، 136 .

3 – القرابين الجنائزية:

كانت القرابين الجنائزية تدفن مع جثث الأموات في داخل القبور ، أو توزع على الناس بعد الانتهاء من عملية دفن المتوفى ، وفي كلتا الحالتين كانت كميات الطعام المقدمة كقرابين جنائزية تختلف باختلاف مكانه المتوفى، ومقدرة عائلته الاقتصادية .

وبعد الانتهاء من الدفن والرجوع إلى بيت الميت تقدم ولائم الطعام والشراب عن روح الميت ، وتذبح الذبائح كالخراف والأكباش تضرعاً للآلهة والتبرك بها وطلب الرحمة منها للميت[1].

وكانت هذه القرابين تقدم من قبل اسرة الميت من أجل أن ترتاح روحه، فإذا رضيت روحه عن أبنائه وخلفائه رضيت الآلهة عليهم أما إذا لم يقوموا بهذه الإجراءات فسوف تثير سخط الآلهة عليهم[2].

وهذه الإجراءات التي تقوم بها أسرة الميت كانت من أجل منع انقطاع ذكر المتوفى ، حيث كان انقطاع ذكره خطر يتمثل في احتمال صعود روحه من العالم السفلي على شكل شبح يسعى للانتقام من الأحياء[3].

ومن ضمن المعتقدات أن أرواح الموتى تحصل في أوقات مختلفة على الطعام والشراب المقدم لها ضمن الشعائر الجنائزية .

وإنَّ انقطاع القرابين والماء عن الأرواح يؤدي إلى جعلها أمام أمرين ، إما أن تبقى غارقة في بؤس العالم السفلي تقتات على التراب والطين والماء العكر[*]، وربما تحصل على فضلات الأطعمة[4]، أو أنها تخرج من العالم السفلي إلى عالم الأحياء لتأكل مما يلقيه الناس من بقايا الطعام في الشوارع ، وتتربص بالأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها وإيفائها حقها وإلا فإنها ستلحق الأذى بهم أو تنتقم منهم ، لأن الأحياء كانوا السبب في حرمانهم من الطعام والراحة في العالم السفلي .

---

(1) حمود، محمود، 2010، ص 207، 208.

(2) حمود، محمود، 2014، ص 474 .

(3) سعد، همام، 2011، ص 133.

(*) يسري اعتقاد عند بعض العامة في المجتمع السوري الحالي إلى أن أرواح الموتى تقف على أبواب منازل ذويهم يوم الخميس طلباً للتصدق من أجلها، لذلك نراهم مساء كل خميس يقومون بتوزيع الأطعمة والحلويات من أجل أرواح الموتى من أهليهم.

(4) حنون، نائل، الحياة والموت في بلاد الرافدين القديمة، دار الخريف، دمشق، 2005، ص 219.

وهكذا فإن الأرواح التي لم تكن تحظى بنصيبها من المراسم، والقرابين الجنائزية كان بإمكانها أن تنطلق من قبورها هائمة تطالب بحقها، وهذا ما يفهم من إحدى التعاويذ التي ذكر فيها :

لقد خرجت الآلهة القابضة على البشر من القبور

وهبت رياح الشر العاصفة هي الأخرى من القبور

تطلب أداء الفرائض وتقديم قرابين الخمور

لقد خرجت من القبور[1]

لم تكن القرابين الجنائزية تقدم لميت فحسب من أجل إسعاد روحه، وإنما كانت تقدم للآلهة أيضاً من أجل أن تحيط الميت برعايتها وعنايتها ، وتعزيز مكانته في العالم السفلي .

وكانت القرابين المقدمة مختلفة الأنواع ، مثل الخبز والزيت والعطور والبخور والنبيذ وأنواع الفواكه والملح ، فضلاً عن الحيوانات كالأغنام والماعز والخنازير والثيران والأسماك والطيور[2].

وكان هناك احتفال سنوي بالموتى يتميز بالشراب وتقديم القرابين الجنائزية والأضاحي للموتى ، وكان الهدف من هذا الاحتفال التخفيف عن الميت، وإرضاء الروح كي لا تترك العالم السفلي وتعود إلى الأرض.

خلال هذا الاحتفال يتم إحياء ذكرهم من خلال المناداة بأسماء الأموات على الملأ بشكل شفوي[3].

ويبدأ هذا الاحتفال في اليوم السادس من شهر نيسان من كل عام، ولأنه يعتبر بداية للعام الجديد والدورة السنوية ، حيث تجدد الحياة مع بداية الربيع بعد فصل الشتاء القارس الذي يختفي فيه الإله ، فيخاف الإنسان على مصيره المجهول واختلاف نظام الكون باختفاء الآلهة ، فيقدمون التقدمات والأدعية والأضاحي .

من المحتمل كانت لهم تراتيلهم وأدعيتهم الخاصة بزيارة القبور في المناسبات المعتادة، ولكن لم يتم العثور على نصوص تروي لنا هذا الجانب المهم من حياتهم[4].

(1) طومسون، كامبل، دولة بابل أيام حمو رابي، موسوعة تاريخ العلم، مجلد 1، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقي، مصر، ص 616.

(2) محمد أمين، سعد عمر، القرابين والنذور في العراق القديم، الموصل، 2005، ص 27.

(3) SCHMIDT. T. E; In Early Romon Stale, Evidence From Josephus, Duke University, 1996, P. 152.

(4) الأسعد، خالد : 2015, ص 22

4 – الولائم الجنائزية:

كان من أهم مظاهر التكريم للميت هو إقامة الوليمة الجنائزية التي تتم في مناسبات معينة يشترك الأهل فيها بأكل طعام معين على روح الميت.

كما يشارك في هذه الولائم الجنائزية أشخاص مدعوون يحملون بطاقات دخول تسمى تيسيرا Tesera، وأن إقامة الولائم الشعائرية بهذا الشكل مأخوذة عن العالم اليوناني .

لا شك أن تأثير الحضارة اليونانية كان كبيراً في سورية خلال القرون السابقة للميلاد، فقد أخذت هذه الولائم معنى جنائزياً وطابعاً مميزاً في سورية ، مما يشير إلى أن أصول هذه الولائم ليست يونانية فقط ، إنما ترجع إلى طقوس احتفالية كانت سائدة في العراق القديم خلال آلاف السنين السابقة.

الولائم الجنائزية : هي ولائم عائلية تحضرها دوما امرأة المتوفى وأولاده ، ويُظنُّ أن مشاهد الولائم لا تضم غير الموتى.

ولكن الباحث ج . ب . شابو ، الذي درس النصوص التدمرية ، يشير إلى أن صور الأحياء تختلط بصور الأموات في هذه الولائم، فصورة الزوجة مع الزوج هذا لا يعني أنها في كل الحالات سبقت زوجها للقبر.

ولا يمكن أن تكون مشهداً لما سوف يجري في الحياة الأخرى، لأن جميع مظاهرها مدنية وليست دينية.

تمثل المنحوتات الجنائزية في المدافن التدمرية مشهداً واضح للوليمة الجنائزية، أو بشكل عام لعادة إقامة وليمة تفرش أرضاً، ويجلس الرجال مستندين يتناولون الطعام ويشربون الشراب، وتشاركهم عائلاتهم(1).

بالإضافة إلى أدوات المأدبة الجنائزية، يلاحظ أيضا أفراد العائلة منهم من يحمل اواني ومنهم من يحمل إبريق ، وعلى كلا جانبيهم خادم وخادمة واقفان يحملان ستارة ظهرت في المدافن التدمرية لتميز الأموات عن الأحياء.

(1) سيريغ، هنري، طعام الموتى والوليمة الجنائزية في تدمر، تلخيص وتعريب الحوليات الأثرية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد 1، ح 1، 1951، ص 128, 129 .

لو كانت هذه المشاهد للحياة الأخرى لما أمكن تصوير مشهد الصيد على سرير الثري مقاي الذي كان من وجهاء مدينة تدمر وعضو في مجلس السيوخ التدمري حيث يرى في التابوت الأوسط الثرى مقاي في لباس فاخر مع خادميه اللذين يقود أحدهما الحصان ، ويحمل الثاني الجعبة المملوءة بالسهام ، أما التابوتان الجانبيان فإنهما يمثلان الخدم وهم يحملون ما يلزم للوليمة، وللمدعوين المضطجعين على الأسرة والماسكين للشؤون الحياتية والدينية.

وهذا ينفي أن تكون الوليمة مشهداً للعالم الأخر لأن تصوير مشاهد الصيد هناك غير ممكن الحدوث(1).

وإنَّ الكأس الذي يحمل بيد الشخص الممثل على المشهد الجنائزي كان بداخله حبات تشبه حبات اللوز التي تزين بها الأطعمة الشرقية، من هذه الأطعمة طعام خاص ما زال يصنع للجنائز هو ما يسمى (السليقة) بالإغريقية (كوليفا).

السليقة هي عبارة عن القمح المسلوق ، وعادة ما كانت السليقة تمزج بالسكر والقرفة ويوضع على وجهه حبات اللوز والفستق والرمان ، غير أنه لا يؤكل يوم الدفن بل أيام الذكرى والمواسم بعد الوفاة ولاسيما في اليوم الأربعين ، وأغلب الظن أن هذا الطعام كان يقدم في تدمر يوم الجنازة . (انظر الشكل رقم 14)

وخلاصة القول : إنَّ الوليمة الجنائزية هي صورة أرضية وعائلية يبدو فيها رب الأسرة وزوجته والأولاد في وضع أسري محبب وأليف يدل على حياة الأسرة المشتركة ، ويلبس فيه الرجال ثيابهم الثمينة وتتزين النساء بمجوهراتهن، ويطفون جميعاً على التخوت الجميلة، ويتم هذا الترف أحياناً الخدم والكؤوس الفضية وما شاكل ذلك، وهو ما كان يحرص على إظهاره الأغنياء أصحاب القوافل الذين يؤلفون الطبقة الحاكمة في تدمر (2).

في النتيجة إن الوليمة الجنائزية هي عمل إنساني وليس كهنوتياً أو إلهياً .

(1) COLLEDGE. M. A. R: The Art of Palmyra, Thames and Hudson, London, 1976, P. 178.
(2) سيريغ، هنري، 1951، ص 128، 129.

5 – الحداد والمراثي:

إن الحداد على المتوفين، والمراثي التي يندبهم بها الأحياء يعبران عن المشاعر التي كان الموت يثيرها لدى الأحياء ، كما يعبران عن العاطفة التي كانوا يكنونها لأقربائهم ومعارفهم المتوفين .

وفي الوقت نفسه يمثل الحداد والمراثي تعبيراً بشكل أو بآخر عن مفهوم الموت والنظرة إليه في ظل المعتقدات الدينية القديمة.

إذ أن هذا التعبير كان بحسب تلك العقائد عاملاً مؤثراً على كلا الطرفين ، الأحياء الذين فقدوا أحد أقاربهم أو معارفهم من جهة ، والميت من جهة أخرى.

بالنسبة للأحياء من عائلة المتوفى وأقاربه كان الحداد عاملاً مساعداً على تخفيف الحزن والقلق والإحساس بالتوتر الذي يغمرهم .

وأما بالنسبة للميت فقد اعتبر الحزن والحداد عليه بعد وفاته بمثابة ضمان بعدم انقطاع ذكره بين الأحياء[1].

ومن الجدير بالذكر أن عائلة الميت كانت تقوم بالنواح والعويل على الميت ويشارك فيه الجميع حتى الأطفال، ويذكر النص المكتوب على مسلة جنائزية عثر عليها في النيرب حلب، يبلغ طولها نحو المتر تمثل الكاهن (شاجبار) أن هذا الكاهن كان يتباهى بذلك العويل والنواح، الذي كان يرافق جنازته مع المراسيم الرسمية[2].

وتوضح الميراثي أهمية البكاء على الميت، وتلطيخ الجسد بالتراب ، مما لا شك كان التمرغ بالتراب، وتمزيق الثياب تكشف عن جانب طقسي يهدف إلى إرضاء الموتى .

حيث كان هناك اعتقاد أن دموع الأحياء وميراثيهم يمكن أن توفر للموتى بعض الراحة لأن النواح على الميت يقدم راحة لأولئك الذين ماتوا، ويجعلهم يقتنعون أن الأحياء ما زالوا يهتمون بهم .

والدليل على ممارسة هذا الطقس الجنائزي هو العثور على أوان زجاجية متطاولة الشكل، وهذه الأواني كانت تملأ بالدموع وتعرف عند المنقبين باسم دماعات ، كان يستخدمها أقارب المتوفى عند زيارتهم للقبر للتعبير عن حزنهم وحدادهم[3].

---

(1) حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، الجزء الأول، دمشق، 2006، ص 199.

(2) الماجد، خزعل، 2000، ص 160.

(3) حنون، نائل، 2006، ص 200.

وكذلك شكلت المنحوتات التي عثر عليها بأعداد كبيرة داخل المدافن شاهد على وجود هذا الطقس في تدمر، وذلك من خلال المنحوتات النسائية التي تظهرهن بالقرب من المتوفى، وهن يعبرن عن حزنهن أحياناً بعدم التزيين بالمجوهرات، وأحياناً بترك الشعر دون تسريح [1].

مما سبق يلاحظ أن البكاء والحزن على الموتى يمثل جزء من ذكرى الأحياء إلى أولئك الذين افتقدوهم ، وفي الوقت نفسه يمثل جزء من واجبات الإنسان تجاه الميت.

(1) GALIKOWSKI: 1970 , P. 158.

6 – المرفقات الجنائزية:

ويلاحظ في هذا الشأن تمايزاً كبيراً بين مدافن الميسورين من الناس، وهم أفراد الطبقة العليا في المجتمع، وبين مدافن الطبقات الدنيا من الشعب، وهذا ما يعكس الفروق الاجتماعية بين طبقات المجتمع، وعادة ما تكون الأشياء الموضوعة في القبور بسيطة وقليلة، منها ما هو ملكاً للميت تدل على مهنته، أما القسم الآخر فهو يمثل قرابين جنائزية قدمت له[1]. حيث ساد اعتقاد بأن المتوفى يجب أن يأخذ معه هدايا لآلهة العالم السفلي، لذلك يمكن تفسير وجود أشياء في القبر لا علاقة لها بالطعام والشراب، مثل الحلي أو بعض أدوات المهنة أو التماثيل أو غيرها.

هذه المرفقات الجنائزية قدمت لنا معلومات مهمة عن حالة الميت وأهمية مكانته ، وغالبا ما كانت تشير أيضاً إلى الذي ما يقوم به في حياته .

أهم المرفقات الجنائزية التي شوهدت في القبور:

1 – الأواني الفخارية بكافة أشكالها (جرار، صحون، أباريق) والأسرجة الفخارية[2] ، ويعتبر تقديم الأسرجة الفخارية من الطقوس الجنائزية المتبعة حيث تم العثور على العديد منها مدفونة مع الميت أو بجانب رأسه أثناء عملية الدفن، لكي لا يضل المتوفى طريقه في الظلام أثناء انتقاله للعالم السفلي[3].

2 – الأواني الزجاجية بكافة أشكالها (كؤوس، صحون، أباريق، بكائيات أو مدامع، مباخر) والأساور الزجاجية.

3 – الحلي المعدنية (نحاس، حديد، برونز، ذهب) مثل السلاسل، الخواتم، الأساور، الأطواق، وبعضها مصنوعة من أحجار كريمة أو شبيهة بالكريمة وخاصة خرز العقيق[4].

4 – الأكسسوارات المتعلقة بالثياب (أبازيم، مشابك، حلقات وبكلات للأحزمة، أزرار).

5 – النقود البرونزية والفضية والنحاسية والذهبية.

6 – الخرز بكافة أشكاله وأنواعه المصنوعة من الحجارة أو الزجاج أو الخشب أو الأحجار الكريمة.

---

(1) حمود، محمود، 2010، ص 220.

(2) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص 308.

(3) SATO. K, The Study On Funerary Practices and Socal Backgrounds in Palmyra, 2005, P. 149.

(4) حمود، محمود، 2010، ص 220.

7 – فلك المغازل ، أدوات معدنية[1].

8 – أدوات حربية (حراب، خناجر، نبال، سهام، سيوف).

9 – عظام حيوانات هي بقايا الولائم الجنائزية الرمزية المقدمة للميت لحاجته لها في الحياة الأبدية .

10 – وبشكل قليل تماثيل وقلادات[2].

مما تقدم يلاحظ المبالغة والاسراف في استخدام الأثاث الجنائزي في قبور الدفن كمرفقات جنائزية، ذلك يعود إلى جوهر العقيدة الدينية السورية وعن نظرتها العميقة للحياة الأخرى، التي ركزت على الجوانب المادية أكثر من الجوانب المعنوية .

---

(1) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص 308، 309.

(2) حمود، محمود، 2010، ص 221.

7 – الشواهد الجنائزية:

كانت الشواهد الجنائزية منحوتة بدقة، وأحياناً بشكل عشوائي، يمكن أن تكون الشاهدة بدون كتابة أو عليها بعض الرسوم أو يمكن أن تضم الشاهدة بعض الزخارف الهندسية إضافة إلى الكتابة[1].

هذه الشواهد كانت توضع فوق القبر الفردي لتشير للأحياء على مكان الدفن، وأن كلمة نفش Nefesh التي عرفت بها هذه الشواهد كانت تشير إلى الشخص المدفون ورمز لحضوره بين عالم الأحياء.

في تدمر كانت الشواهد الجنائزية معروفة باسم Nefesh في البداية تحمل اسم المتوفى، وفيما بعد أضيفت إليها تمثيل لأغصان نخيل يتدلى منها ستار مثبت بواسطة مسمار من كل جانب.

وفيما بعد أصبحت تضم الشاهدة إلى جانب الاسم والستار المدلى صورة القسم العلوي للمتوفى، بينما يغطى قسمه السفلي الستار (الشكل رقم 15) ، وهذه الرموز كان لها دلالات معروفة مسبقاً لدى السكان وليس هناك أي سبب لتفسيرها في تلك الفترة.

وفي الوقت الحاضر فسرت أغصان النخيل على أنها رمز للانتصار على الموت فالنبات الأخضر رمز منذ بداية الزراعة على الانبعاث الجديد ، أما فيما يخص الستار المدلى فإنه يرمز للعالم الآخر الذي سينتقل إليه الشخص المتوفى، وبالتالي أن الستار يخفي وراءه هذا العالم غير المعروف بالنسبة للأحياء[2].

يمكن أن تقدم الشواهد من قبل البعض للمتوفى سواء بناء على طلبه بعد أن يكون قد دفع تكليفها أو بدون مقابل[3].

وخلاصة القول تعتبر الشواهد الجنائزية بمثابة رمز مميز للروح.

---

(1) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص 291.

(2) سعد، همام، 2011، ص 133.

(3) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان: 2013، ص 311.

ثانياً – الممارسات والشعائر الجنائزية لدى الفئات الوافدة:

1 – الإغريق :

آ – الموت وما بعد الموت:

بالغت الأساطير الإغريقية في تضخيم فكرة الموت، وأعطت للعالم السفلي صوراً مرعبة إلى حد ما، وربما يعود ذلك إلى نوع من التراكم الأسطوري، لكن تطور الفكر الأسطوري قد ساهم بدوره في زيادة حدة التوتر والقلق والخوف تجاه الموت، فكلما زاد وصف العالم السفلي دقة وتفصيلاً ومبالغة كلما زاد الخوف وتغلغل الرعب في النفوس[1].

في الديانة الإغريقية كان هاديس Hades هو إله العالم السفلي المظلم التي تذهب إليه أرواح الموتى حسب التصور اليوناني، ويتبين من وصف الأدباء والشعراء أنه كان إلهاً متجهم الوجه صارماً لا يرحم، وكان عقابه شديداً على المجرمين، وإنه يحكم مملكة الموتى بحزم وبقبضة من حديد، فلا يسمح لأحد بالخروج من مملكته بعد دخولها.

أما اسم عالم الموتى فيسمى بيت هاديس، والمرشد إليها هو الإله هرميس Hermes[2].

وكان هناك اختلافات في وجهات النظر في المعتقدات الدينية عند الإغريق حول الموتى وأرواحهم ومصائرها، فمن وجهات النظر كان هناك اعتقاد أن أرواح الموتى تنفصل عن الجسم بعد الموت وتصبح طيفاً في العالم السفلي (هاديس).

ويفهم من أقوال هوميروس أن الأرواح إذا كانت قد ارتكبت ذنوباً شنيعة و كبيرة في الدنيا فسوف تعذب في العالم السفلي ، أما أرواح الأشخاص الذين لم يرتكبوا جرائم وذنوب كبيرة فمصيرها الطواف حول مملكة هاديس المظلمة في العالم السفلي[3].

ومن وجهة نظر أخرى كان هناك اعتقاد آخر لدى الإغريقيين أن روح الميت لم تكن تذهب إلى عالم غريب منفصل عن هذا العالم لكي تمضي فيه وجودها الثاني، بل تبقى قريبة من الناس وتستمر تعيش تحت الأرض، أي أن الروح تبقى مرتبطة بالجسم في ذلك الوجود الثاني، فلا يفصلها الموت عنه، حيث كان يتم حبس الروح بالقبر[4].

---

(1) منصور، محمد منير، الموت والمغامرة الروحية من الأسطورية إلى عالم الروح الحديث، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، 1987، ص 28.

(2) سارة، خليل، 2012–2011، ص 282،283

(3) ديورانت، ول: 1963، مجلد 3، ص 367.

(4) كولانج، فوستيل: 1950، ص 12.

لم يكن هناك على الإطلاق توحد أو انتظام لمفهوم الآخرة لدى الإغريق، ولكن كانت هناك أفكار ووجهات نظر على خلود الروح والقضايا المرتبطة بها خلال الحقبة الكلاسيكية، كانت وجهة النظر السائدة على وجود الآخرة: إنّ الروح لحظة الموت تغادر الجسد حوالي الشهر أما الجثة فإنها تبقى لكي تتحلل[1].

وكان هناك تصور للعالم الآخر على أنه مكان كئيب تلجأ إليه أرواح أولئك الذين ماتوا وأنهوا وجودهم في الحياة[2].

الوافد إلى الجحيم الإغريقي لا يصل إليه مباشرة ، فهناك مرحلة وسطى ينبغي الدخول فيها واجتيازها والتوقف فيها مدة ، انتظاراً لقرار هاديس إله الموت حيث يتوجه المحكوم عليه بعد ذلك إلى مصيره المحتوم[3].

تبدأ الرحلة عندما يموت الشخص وعلى الفور يصل إلى غابة بيرسيفوني حيث يودع آخر مظاهر الحياة الدنيا ثم يدخل منطقة الألم ، فتعرض عليه العلل والأمراض والجوع والهزل وسط جو مشبع بالهلع، وبعد ذلك يدخل إلى منطقة فيها ثعابين، ويقطر منها الدم والسم، ويقف أمامه عملاق له خمسون فم ومائة يد يقذف اللهب.

وداخل العالم السفلي تجري أنهار منها نهر افيرن تتزاحم عنده أرواح الموتى ، وعبور النهر له شرط يتوجب على الميت تنفيذه ، فعلى كل ميت أن يحمل معه غصناً من ذهب ينبت على شجرة فريدة لا يصل إليها إلا من يقع عليه اختيار الإلهة بيرسيفوني وهي لا تختار أي شخص كان ، وهذا ما يضاعف من تزاحم الأرواح عند ضفتي النهر.

وحين يعبر الميت حاجز النهر يصل أخيراً إلى مملكة الظلام ، حيث يستقبله كلب الجحيم كيربير ، وخلف الكلب مكان فسيح ينبعث منه أنين أطفال ماتوا في سن مبكرة ، يليه سهل حشرات فيه أرواح الضحايا البريئة ، وفي وسط هذا الحشد يقف قاضي الجحيم يحاكم الأرواح ويصدر قراره بالثواب أو العقاب[4].

إن هذه المعتقدات التي وصلت إلينا عن الحياة بعد الموت هي من حيث الجوهر تصورات مبهمة ومتناقضة .

حيث كان الموت أول الأسرار ، وهو الذي وضع الإنسان أمام هذه التصورات والمعتقدات والأفكار عن العالم الآخر فهو بداية النهاية .

---

(1) GARLAND. R, The Greek Way Of Death, Newyork, Cornell University, 1985, P. 4-12.

(2) مبروك، أمل، المرجع السابق، ص 37، 38.

(3) كوملان، ب: 1992، ص 156.

(4) منصور، محمد منير: 1987، ص 30.

ب – التلوث الذي يحدثه الموت:

إن فكرة الموت كشكل من التلوث والتدنيس الديني كانت عامة وسائدة بشكل أساسي في العالم القديم ، وهذه الفكرة كانت مبنية من وجهة نظر بأن الموت كان مثيراً للاشمئزاز بالنسبة للآلهة ، وهكذا فإن الموت لم يكن مسموحاً له أن يتم في الأماكن المقدسة مثل المعابد.

إن تلوث الموت يؤثر على الناس فردياً ، ولكن ليس بشكل دائم فالتلوث الذي ينطوي عليه الموت يمنع الأفراد من الاتصال بالآلهة حتى يتم تنقيتهم بشكل صحيح ومناسب ، والمنزل الذي يحصل فيه الموت يعتبر أيضاً ملوث ويتم التعامل معه وفقاً للقانون[1].

يعتبر الماء في المنزل بشكل تلقائي ملوثاً، ومكان النار أيضاً عندما يحدث الموت في الشوارع فإن كل منطقة حدث فيها الموت يجب أن تنقى وكل شخص يلمس الجثة أو يدخل منزلاً حصل فيه الموت كان يعتبر أيضاً ملوثاً وأعضاء العائلة القريبين جداً من الميت كانوا أيضاً بشكل تلقائي متأثرين بالموت ومتلوثين به .

وساد اعتقاد أن الأشخاص الغريبين عن المدينة والعبيد والأطفال فإنهم يصابون بتلوث أقل[2].

أما فيما يتعلق بالجنود والقادة ومؤسسي المجتمعات الذين ماتوا في ساحات المعركة يصابون بتلوث اقل، أو يمكن القول بتلوث قليل .

وكانت القبور تصاب بتلوث أقل ، ولكن العظام والقطع الجنائزية التي توضع في قبر الميت ربما تكون ملوثة والاحتفالات والأعياد للشخص الميت يمكن أن تكون مصدراً للتلوث[3].

ج – الطقوس والشعائر الجنائزية:

كان التقليد المتبع أن يدفن الإنسان في موطنه الذي ولد فيه ، حيث يعتبر دفن الميت في مكان غير موطنه عقوبة قاسية وشديدة .

من خلال الاكتشافات الأثرية في القبور نستطيع معرفة الكثير عن الدفن لدى الإغريق، ويمكن أن نعدد الطقوس الجنائزية التقليدية لدى الإغريق كالآتي:

(1) PARKER, Pollution and Purificution In Early Greek Religion, Oxford, 1983, P. 32.
(2) Ibid, P. 41.
(3) GARLAND: 1985, P. 3.

– تحضير الجثة:

وفقاً للقانون يجب أن يكون التحضير داخل منزل الشخص الميت ، حيث كان الجسد يغسل ويكفن بشكل نموذجي باللون الأبيض ، وتستخدم أيضاً مواد ذات لون أحمر ويزيّن بتاج وشرائط وأزهار ومجوهرات التي كانت نادراً ما تستخدم في التكفين ، و مهمة تحضير الجسد تؤدى من خلال أقرباء الميت ذوي الصلة القريبة به وممن تجاوز أعمارهم الستين .

وكانت الجثة توضع على سرير مصنوع من ألواح خشبية وتغطى الجثة بثوب على الرأس وتوضع وسادة تحت القدمين اللتين كانتا توجهان مباشرة نحو الباب(1).

ثم تترك الجثة في هذا الموضع لمدة يوم كامل ليتم التأكد بان الشخص قد مات بالفعل، بالنسبة لجثة الرجل كانت توضع يده اليمنى فوق يده اليسرى ، أما بالنسبة للنساء فلقد كان يغطى رأسها وصدرها بشكل مثالي .

وكان يستخدم في غسيل الجثة ماء نظيف يوضع في جرة ضخمة توضع بجانب الباب ، بحيث يغسل كل شخص ملوث نفسه عندما يخرج من البيت(2).

– الموكب الجنائزي:

يبدو الاختلاف واضحاً بين الإغريق والرومان في الموكب الجنائزي ،فالرومان كانوا يحملون موكب موتاهم ليلاً كما سوف اذكر لاحقاً ، أما عند الإغريقيين كانت عائلة الميت أو أصدقاؤه تحمل الجثة إلى القبر خارج أسوار المدينة في ساعات الصباح الباكر في اليوم الثالث من وفاة الميت.

ولكن لاحقاً تم استئجار أشخاص معينين لحمل الجثة إلى القبر ، وكانت الجثة تغطى بثوب ما عدا الرأس، وكان الموكب الجنائزي يتجنب الطرق الرئيسية ولا يتوقف أبداً خلال الطريق إلى القبر .

وكان الرجال يمشون في المقدمة والنساء اللواتي يفترض أنهن من أعضاء العائلة المقربين ويبلغن من العمر الستين فقد كن يمشين خلف الرجال.

ولم يكن هناك قيد عمري على مشاركة الذكور في الموكب الجنائزي أما النساء فقط لمن تجاوز عمرهن الستين ومن أسرة المتوفى كان مسموح لهن المشاركة بالموكب الجنائزي، ولم يكن يسمح للرثاء أو الألحان الحزينة بأن تصدر خلال الموكب الجنائزي .

أما الكهنة فقد كانت مشاركتهم في الموكب الجنائزي محظورة تماماً، وذلك بسبب الخوف من التلوث الذي يحدثه الموت(3).

(1) GARLAND: 1985, P. 34.
(2) PARKER: 1983, P. 36.
(3) Ibid, P. 36.

– عادات الـدفن:

إن اقدم النصوص الإغريقية التي تأتي على ذكر الطقوس وعادات الدفن الجنائزية نجدها في الالياذة ، عندما يصف هوميروس Homerus جنازة باتروكلوس Patroclos ابن عم أخيل Achille وصديقه الذي قتل في حرب طروادة ، حيث يذكر : كيف تمت طقوس الجنازة من خلال الباسه ثياب نظيفة معطرة، وتجهيز المحرقة و تجميع الحطب من كل مكان حتى تصبح كومة عالية، و يوضع الجثمان فوقها ، وكان أصدقاء الميت يقصون شعرهم ويلقونه على الجثة في ذلك إشارة منهم إلى أهمية الشخص المفقود عندهم وتكريماً له، والدليل على ذلك قص أخيل شعره أثناء مراسم جنازة ابن عمه باتروكلوس . وهذا الطقس الجنائزي الرمزي يشير إلى إن فقدان الشعر هو فقدان جزءاً منهم .

وعندما تكون المحرقة جاهزة فإن الجسد يجلب إليها من خلال موكب من الناس ، ومن ثم تضرم النار، وكانت المحرقة تستمر حتى الصباح ويشاهدها الموجودون، وبعد الانتهاء من حرق الجثة فإن الرماد يجمع ويخلط مع الخمر وتجمع العظام لتوضع في جرة فخارية ، وتجمع أغراض الميت وتدفن معه في القبر من أجل أن ترافقه إلى العالم السفلي ، وبعدها تنثر الحبوب على القبر بعد الانتهاء من الدفن[1].

أما طقوس الدفن العادي، كانت الجثة تغسل بالماء وتعطر وتلبس أحسن الثياب وتكلل بالأزهار ثم توضع في تابوت ويكون الميت ممدد على ظهره ، ويديه إما مضمومتين فوق البطن ، أو ممددتين بشكل ملاصق للفخذين وغالباً ما يكون الرأس موجه للأعلى ، كما أنه لا يوجد اتجاه معين لوضع الجسد ، وهذا الأمر مرتبط بأماكن الدفن نفسها وآلية توزعها داخل المدفن .

وعند الانتهاء من الدفن ، يقومون بصب الخمرة على التراب الذي يغطي القبر لتروي به روح الميت غليلها ، وقد تذبح بعض الحيوانات لتكون طعاماً لها , كما يضع الأقرباء أكاليل الزهور على القبر ثم يعودون إلى البيت [2].

وبالنسبة للمجرمين لا يدفنون بعد الإعدام وإنما يلقون في البحر أو النهر أو يعلقون على الجدران، وفي حالات الانتحار فقد كانت اليد اليمنى تقطع قبل الدفن .

أما العبيد فقد كان يحق لهم إجراءات الدفن كاملة وكانت قبورهم بسيطة جداً ، لم تكن هناك عطايا أو منح تقدم على قبورهم ، والسبب في ذلك أن هناك اعتقاداً شعبياً أن العبيد لا يملكون آخرة ، ولم تكن توجد مقبرة خاصة بهم حيث كان يتم دفنهم ضمن مقبرة الأسرة المالكة لهم.

---

(1) أنظر: الألياذة 22: 187.

(2) ديورانت، ول: 1963، مجلد 3، ص 367.

أما الجنود الذين ماتوا في القتال فقد كانوا بشكل اعتيادي يمنحون مرتبة الشرف احتراماً لهم.

أما الجثث الغير معروفة والتي توجد على حافة الطرق فإن مجلس المدينة هو من يتولى مهمة دفن هذه الجثث في مقبرة المدينة التي تقع خارج أسوارها ، ويتولى مجلس المدينة كل تكاليف الجنازة من حيث إعدادها وتجهيزها ودفنها[1].

– الاحتفال الجنائزي والقرابين الجنائزية:

كان الاحتفال الجنائزي بالميت يبدأ في اليوم الثالث، وأحياناً في اليوم التاسع من وفاة الميت وذلك في فترة الصباح ، ويختلف ميعاد هذا الاحتفال من منطقة إلى أخرى .

ويصاحب تلك الاحتفالات تقديم الخمور من أجل الميت والآلهة و ذلك في المنزل الذي حدثت فيه الوفاة ، يتم الاحتفال بمغادرة الميت الحياة و إحياء ذكره ومدح أفعاله ، ويتم ارتداء التاج والأكاليل خلال الاحتفالات، وساد اعتقاد بأن روح الميت سوف تكون حاضرة، وموجودة خلال ذلك الاحتفال[2].

وخلال الاحتفال الجنائزي تقدم الأزهار والأكاليل وشرائط واشياء أخرى كانت توضع على القبر مع بالغ الاحترام والتبجيل للميت[3].

يعتقد الإغريقيين أن الميت لا يقبل القربان إلا من أهله، ولا يقبل عبادة إلا من ذريته ، لذلك كان من الواجب تقديم هذه الوجبات الجنائزية من ذرية الميت لا من الآخرين .

وكان يظن أن الأرواح في مقرها كانت تردّد هذه الأمنية «ألا ليته يولد من سلالتنا أبناء على التوالي يقدمون لنا على مر الزمان الأرز المسلوق في اللبن والعسل والزبد المصفى».

ومن الواجب على الابن في بلاد الإغريق أن يريق السوائل، ويقدم القرابين لروح والده وأرواح جميع أجداده ، والتقصير في هذا الواجب هو أخطر وزر يمكن ارتكابه ما دام قطع العبادة من شأنه أن يسقط سلسلة من الموتى ويقضي على سعادتهم.

مثل هذا الإهمال لم يكن سوى قتل حقيقي للأب يتكرر عدة مرات بقدر ما للأسرة من أسلاف ، أما إذا كانت الأضاحي تقدم دائماً طبقاً للشعائر ، والأطعمة تحمل إلى القبر في الأيام المحددة ، فإن السلف يصبح إلهاً حامياً لأهله.

(1) KURTZ AND BOARDMAN, Greek Burial Customs, London, 1971, P. 150.
(2) Ibid, P. 150-198.
(3) GARLAND: 1985, P. 34.

من هنا نشأ تبادل الخدمات بين الأحياء والموتى من كل أسرة ، فالسلف يتلقى من ذريته سلسلة الواجبات الجنائزية، وهي المتع الوحيدة التي يستطيع الحصول عليها في حياته الثانية ، ويتلقى الخلف من السلف العون والقوة اللتين كان يحتاج إليهما في هذه الحياة فلم يكن في استطاعة أحدهما الاستغناء عن الآخر[(1)].

وكانت طقوس إعادة احياء ذكرى الميت تعتبر من أهم اجراءات الاحتفال الجنائزي[(2)].

(1) كولانج، فوستيل: 1950، ص 40– 42.

(2) KURTZ AND BOARDMAN: 1971, P. 149.

5 – الحداد والمراثي:

الحداد والمراثي هو الجزء الرئيسي لكل طقس جنائزي ، لأنه تظهر فيه محبة الشخص للمتوفى من خلال الحزن والبكاء عليه ، الذي يعبر عنه بشكل فردي مع أيادي مرفوعة على الرؤوس حول النعش أو حول القبر .

كان الرثاء خلال الفترة الكلاسيكية يؤدى في أعقاب الموكب الجنائزي وعلى القبر نفسه، ويعتبر من وظيفة النساء على وجه الخصوص ومن أهل بيت الميت.

وعلى الرغم من أن تقليد الرثاء لدى الإغريقيين مقتصر على النساء إلا أن هناك أدلة تؤكد أن الرثاء والحزن والبكاء كان موجوداً أيضاً عند الرجال للتعبير عن حزنهم على أصدقائهم المقربين ، حيث كان الرجل يدس يده في الأرض وينثر التراب على رأسه.

علماً أن ردة الفعل العاطفي هذه كانت غير مرغوب فيها لدى الإغريق، وهذا يرجع إلى شخصية وهوية المواطن الإغريقي خلال تلك الحقبة الزمنية.

لقد كان الحزن والتفجع عبارة عن تقاليد تقوم بها النساء تؤديه بصورة إفرادية أو مع بعض النسوة بحيث إذا فقدت إحداهن السيطرة على نفسها تتدخل البقية من أجل مساعدتها، فيمزقن الثياب اللواتي حول صدورهن وأعناقهن للتعبير على مصيبتهن.

وكان الرجال أيضاً يعبرون عن حزنهم على أشخاص قد ماتوا ، مثلهم مثل تعابير النساء ، وغالباً ما يكون الحزن متصاحباً مع الموسيقا.

وتطور الرثاء أيضاً ليشمل إحياء ذكرى الميت وكذلك مدح أفعاله ، وتم الاعتراف به على أنه تقليد فلكلوري، وكان الرثاء لدى الإغريق يؤدي وظيفة على مستويين مختلفين فيزيولوجي وتواصلي : فمن الناحية الفيزيولوجية كان الرثاء يقدم واجهة للألم والفقد الذي يعانيه الإنسان، وذلك عندما يفقد رجل عزيزاً على قلبه.

أما من ناحية التواصل والاتصال حيث تطورت هذه الوظيفة في المجتمع عندما أصبح الرثاء مرادفاً للموت، ومن يضبط ويسيطر على هذا المجال والحقل يؤمن سلطة قوية على الشعب، ويعطي أيضاً من يقوم بالرثاء والتفجع فرصة من أجل أن يؤثر على المجتمع .

لم تتغير الطقوس الجنائزية و مواسم البكاء و الرثاء كثيراً لدى الإغريق، ولم يكن الرثاء وطقوسه مدعوماً دائماً من قبل الحكومة والدولة وكانت هناك محاولات لتقييده، وخاصة دور النساء في هذا الرثاء وأصبح ممنوعاً أن تمزق جسدها أو تضرب صدرها [1].

(1) STEVANOVIC. L: Funeral Ritual and Poewr, Inistiute of Enthograpy, 2009, P. 38-44.

وفقاً للتقليد الإغريقي كان هناك مجموعة من الاجراءات يقوم بها المشاركون أثناء الحداد:

1- يمنع التفجع بالميت بشكل دائم وبصوت عالي ، وكانت الألحان الحزينة ممنوعة سواءً في اليوم التالي للدفن وكذلك في اليوم العاشر أو في الذكرى السنوية للدفن.

2- لم يكن مسموحاً للنساء بأن يمشين في مقدمة الموكب الجنائزي بل يمشين بالخلف وبالنسبة فقط للنساء ذوات الصلة القريبة جداً بالميت ويبلغن من العمر الستين .

3- الالتزام بألوان محددة في اللباس عند الرجال والنساء ، فالنساء يجب أن يكون لباسها ذا لون رمادي أو بني أو مزيج من الأبيض والأسود ، أما الرجال فيمكن أن يرتدوا اللون الأبيض خلال الموكب الجنائزي.

4- تحديد عدد النساء ودورهن في الطقوس الجنائزية من أجل أن يكون الموكب الجنائزي أكثر هدوءً .

5- منع التحدث عن الميت بسوء ، ويجب أن يكون صوت الأمهات والزوجات والأخوات خلال الرثاء خافت بحيث لا يسمع(1).

مما سبق يلاحظ أن المراثي عند الإغريقيين توضح أهمية البكاء على الميت وتلطيخ الجسد بالتراب وتمزيق الثياب تكشف عن جانب طقسي يهدف إلى إرضاء الموتى ويجعلهم يقتنعون أن الأحياء ما زالوا يهتمون بهم .

– المرفقات الجنائزية:

درجت العادة على وضع مجموعة من المرفقات الجنائزية في القبر ، تعتبر مظهراً من مظاهر الاهتمام بالميت، وكانت هذه المرفقات الموضوعة في القبور بسيطة وقليلة والبعض منها ما هو ملكاً للميت تدل على مهنة الميت ، ومنها ما يقدم للميت كقرابين جنائزية من قبل عائلته وأصدقائه .

ويتضمن الأثاث الجنائزي ما يلي:

1 – الجرار الفخارية الضخمة.

2 – الثياب المتنوعة.

3 – المجوهرات مثل السلاسل والخواتم والأساور والأطواق سواء كانت مصنوعة من النحاس، الحديد، البرونز، الذهب.

4 – كميات من الطعام والشراب تساعد المتوفى في رحلته في العالم الأسفل.

---

(1) STEVANOVIC. L : 2009, P. 40.

5 – الأسلحة (سيوف، خناجر عريضة، تروس).

6 – القطع النقدية من الذهب والفضة.

7 – الأواني الفخارية وأسرجة فخارية.

8 – المشغولات والحلي الذهبية المميزة كالخواتم والحلق والأساور والأطواق[1].

– شواهد القبور الإغريقية وأهميتها التاريخية والحضارية :

تتميز الشواهد الإغريقية بقيمتها التاريخية المهمة لأنها تشير إلى اسم الميت وعمره مع وجود نصوص شعرية معروفة في الأدب الإغريقي كتبها شعراء محليين، ونذكر بعض الأبيات الشعرية التي نقشت على الشواهد(برج براق ككوكب ذري) وهي من المدائح التي تميز المرقد، (لا تدفعوا لأهلهم ثمن الأبدية) نقشت على شاهدة شاب مقتول، (والسمعة الطيبة لا تموت أبداً) يمدح بها المتوفى[2].

كما كانت على شواهد دلالات رمزية تشير الى المهنة التي كان يشغلها المتوفى في حياتهم، ومنها لفافة الورق التي كان يحملها المتوفى تشير إلى مهنة الكتابة والتعليم بالإضافة إلى انها تدل على المكانة الاجتماعية وثقافة الشخص, أما ادوات الغزل والحياكة فإنها تدل إلى عمل المرأة في البيت وهي تقوم بأعمال الحياكة، كما يشير الطائر الذي يمسكه الشخص إلى مهنة الصيد ويوجد تمثيل للمحاربين كالرجل الذي يمسك بمقبض السيف أو نحت خنجر للدلالة على أنه محارب، بينما طائر النسر الذي يظهر على بعض الشواهد فإنه يدل على روح الميت تصعد إلى السماء.

هذه الشواهد كانت تكتب باللغة اليونانية التي نقشت إلى الأسفل من النحت النصفي للمتوفي أو بجانب الرأس والكتفين[3], كما تشرح الشواهد الحالة الاجتماعية للمتوفى ومنها شاهدة جنائزية عثر عليها في منطقة حنية بريف دمشق طول الشاهدة 92سم وعرضها 33سم عليها كتابة يونانية مؤلفة من ثلاثة عشر سطرا ،ترجمتها (في عام 1491 سلوقي /186م في يوم السابع عشر من شهر بانيموس، هنا استريح، اسمي اغروبينوس ابن امادوروس توفيت باكرا عندما كان عمري 22عاما، كنت يتيما ربتني جدتي وأعمامي[4].

---

(1) همام، سعد، المدافن التدمرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2007، ص 46

(2) Sartre and Fauriat, A: Des Tombeaux et des Morts, Beyrouth, 2001, P. 200-203.

(3) سادورسكا، آنا، الفن والمجتمع، بحوث في علم البحث الجنائزي التدمري، ترجمة بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، مجلد 42، دمشق، 1996، ص 231.

(4) عميري، ابراهيم، روبه، سوزان، 2013، ص64.

2 – الرومـان:

يعتبر الموت بالنسبة للرومان غير نظيف، وملوث للحياة بشكل عام، حيث يغطي التلوث أجزاء من المكان والأثاث لمدة تسعة أيام، ولا ينتهي إلا عن طريق عملية تنقية خاصة.

كما كان يُعتقد أن الموت يجلب تأثيراً سلبياً على العلاقات الشخصية، بين الأشخاص، وحتى يمكن أن يكون أكثر خطورة فكل من تلوث بالموت يحجب بشكل مؤقت إمكانية الاتصال بالآلهة، والقيام بسائر الوظائف المقدسة الأخرى كزيارة المعابد وصنع عطايا ومنح وتقديمات إضافية من أجل الآلهة وعلى سبيل المثال : افتتاح الأبنية العامة حيث يعتبر عملاً في غاية الأهمية للكهنة ، ولذلك كان يمنع على الكهنة أن يدخلوا منزل الشخص الميت، وأن يذكروا اسمه ، والأكل من الطعام المخصص من أجل الميت،كما يمنع عليهم أن يلمسوا الميت حتى لا يتلوثوا بالموت(1).

لم ينظر لموت الأطفال على أنه ذو أثر ملوث طالما جثثهم كانت تدفن بسرعة أو تحرق خلال الليل .

وفي زمن الحرب كانت جثث الضباط والقادة العسكريين غير ملوثة للآخرين وهكذا لمنع التلوث بالموت تأتي معاملة ومعالجة الجثث والطقوس الجنائزية(2).

آ – الطقوس والشعائر الجنائزية:

– التحضيرات للدفن :

كان الطقس الجنائزي يعتبر علامة مميزة ويعطي إشارة لبداية المسار بين الموت وما بعد الموت ، حيث كان هذا الطقس يبدأ في منزل المتوفى، وكان مجال الطقس الجنائزي مرتبطاً بالحالة الاجتماعية، والوعي الثقافي للعائلة.

فقد كان التقليد الروماني يشير إلى إلقاء النظرة الأخيرة على الميت، وتوديعه من خلال إلقاء بعض الكلمات الأخيرة لهذا الشخص الميت بحيث كانت تحمل هذه الكلمات وزناً وأثراً كبيراً جداً ، هذا التقليد كانت تقوم به كل الطبقات في المجتمع الروماني سواء الطبقات العليا أو الوسطى.

ويتلخص هذا التقليد عند الرومان بالخطوات التالية :

الخطوة الأولى: كانت تتعلق بتقبيل الميت من خلال أقاربه المقربين جداً عليه من أجل إمساك الروح، وجعلها ترقد بسلام .

(1) LINDSAY. H: 2000, P. 154.
(2) BODEL. J, Dealing With The Dead, London, 2000, P. 128.

والخطوة الثانية: يتم فيها إغلاق عيون الميت من خلال أحد أفراد العائلة ، وفي نفس الوقت كان يتم مناداة اسم الشخص بشكل متواصل من أجل أن تعطى إشارة البدء باجراءات الدفن .

والخطوة الثالثة: تتضمن مجموعة من الإجراءات من أجل دفن الميت دفناً يليق به.

أولها: القيام بتحريك الجثة ورفعها من السرير ، ومن ثم توضع على الأرض من أجل أن يحمم ويغسل ويلبس بملابس وليس بكفن ويعطر، وكأنه في الحياة العادية، من خلال أفراد عائلته حصراً ، وإذا تَّم تحنيط الجسد والذي كان يعتبر غريباً على الرومان فإنه كان يتم بالفعل أيضاً من خلال أقارب المتوفى هذا لتحنيط ينحصر في إيداع الجثة مدة سبعين يوماً في محلول قلوي من النطرون, وتستخرج منه بعد ذلك وتلف الجثة في لفائف بسيطة وتسلم لأهلها لدفنها [1].

وثانيها: وضع قطعة من النقود في فم الشخص المتوفى كفائدة، وأجر وخدمة للميثولوجيا الدينية لدى الرومان .

وثالثها: تغطية الجسد بغطاء أسود، ولكن اللون الأبيض كان محبباً أيضاً .

ورابعها: يوضع الميت في قاعة الزوار (Atrium) بحيث كانت أقدام الميت تتوجه نحو الباب بشكل رئيسي .

وخامسها: دخول الأصدقاء ليعرضوا تعازيهم تجاه هذا الشخص الميت مع وضع باقة من الأزهار حول الجثة .

وسادسها: تتعلق بعض العائلات الثرية التي عادة ما تستأجر بكائيين وموسيقيين ، وعلماً أن القانون الروماني منع مثل هذا التكلف الذي من شأنه أن يؤثر على إجراءات الجنازة .

ويمكن القول أن رد الفعل العاطفي كان يتم النظر إليه بشكل مجمل على أنه غير مناسب من قبل الرجال ، اما من قبل النساء والبكائيين فقد كان مقبول بحيث كانوا يرتدون اللون الأسود للتعبير عن حزنهم[2].

– موكب الجنازة الرومانية:

تكون بداية الموكب الجنائزي عادة في اليوم الثاني بعد الموت بحيث كانت الجثة تحمل خارج المنزل من خلال الأصدقاء المدعوين إلى مكان المدفن[3].

(1) TOYNBEE. J. M. C; Death and Burial In The Roman World, London, 1971, P. 42.
(2) LINDSAY. H: 2000, P. 164.
(3) Ibid, P. 165.

وكان هذا الموكب يعتمد على حالة الميت الاجتماعية والمادية، ففي جنازات الأشخاص الذين هم من الطبقة العليا فقد كان يخرج هذا الموكب إلى المقبرة في كرنفال عام تصاحبه الطبقة العامة في المجتمع ، وكان أيضاً يتم استئجار أشخاص ليؤدوا رقصات على طريق الموكب الجنائزي، وذلك من أجل إخافة الأرواح الشريرة، وإبعادها عن الموكب الجنائزي.

وكان الناس أيضاً يرتدون أقنعة الشمع التي كانت تصور أسلافهم وكافة من تقلدوا مناصب في الدولة.

وفي زمن الإمبراطور أوغسطس (27 ق.م – 14م) كانت أقنعة الشمع تستبدل أحياناً من خلال تماثيل للمتوفى يحملها الناس[1]، وأثناء الطريق كان هؤلاء ممثلين يقلدون خطاب وحياة المتوفى بشكل صامت.

وعندما يتم الوصول إلى المقبرة ، كانت الجثة توضع على الأرض، وهنا يتم إلقاء المديح الذي غالباً ما كان يلقيه الابن الأكبر للميت .

وبعد فترة الإمبراطور أوغسطس فإن مجال الموكب والمدح خلال الموكب استبدل باحتفال يتم بالقرب من قبر الميت.

ثم يحمل النعش إلى المثوى الأخير، والتقليد الروماني المتبع بعدد الأشخاص الذين يحملون النعش يعود إلى حالة المتوفى المادية، فالثري يحمل نعشه من قبل ستة إلى ثمانية أشخاص، وكان يصحب بموسيقيين يدفع لهم .

أما الفقير فقد كان النعش الخاص به يحمل من خلال أربعة أشخاص .

وكان الموكب الجنائزي يتم خلال الليل مستخدمين مشاعل تؤمن لهم الضوء على الطريق، ولإبعاد الأرواح الشريرة عنهم[2].

وهنا يلاحظ اختلافاً بين الموكب الجنائزي الروماني والموكب الجنائزي اليوناني ويكون الأول أثناء الليل، بينما الثاني في ساعات الصباح الباكر .

---

(1) TOYNBEE: 1971, P. 46.
(2) LINDSAY. H: 2000, P. 155.

– عادات الدفن:

كان الدفن والحرق هما الطريقتان الأساسيتان المطبقتان في التخلص من الجثة في الثقافات الكلاسيكية ، ولكنهما لم يمارسا بشكل متشابه في هذه الثقافات ، ولم يظهر بأن هاتين الطريقتين تطابقتا وتوافقتا مع المعتقدات والاختلافات في المعتقدات الآخروية، في بعض الحالات يبدو أنها نشأت من اختلافات عرقية وعنصرية.

تمكن الرومان من التعامل الجيد مع هذا الخيار، وأنه كان شيئاً ضرورياً أن يدفن الجسد بالأرض سواء حرق أم لم يحرق .

التعريف الروماني للجسد المحروق إنه يجب ألا يبقى فوق الأرض، وأنه من الواجب أنّ يدفن داخل الأرض[1].

بحيث كان كل الرجال والنساء البالغين والأطفال يدفنون ويحرقون في نفس الوقت، ولم يكن للتوجه الديني أو الفلسفي أو التفضيلات الشخصية أي أثر في تحديد الدفن أو الحرق بالنسبة للميت ، ومع ذلك يمكن القول: إن التفسير الوحيد المحتمل لهذا السؤال بأن الأشخاص الأحرار وافراد العائلة كانوا يدفنون ، بينما العبيد والأشخاص غير الأحرار كانوا يحرقون[2].

ولكن هذا الأمر ليس مؤكداً، وذلك لأن الحرق كان مكلفاً جداً حيث كان يتم خارج أسوار المدينة في مكان مجهز بكافة الوسائل من أجل أن تحرق الجثة بشكل كامل، وذلك في سبعة أو ثمانية ساعات، وأحيانا كان يتم الحرق بشكل جماعي ، كانوا يضعون مع كل عشرة جثث ذكور جثة أنثى على الأقل حيث كان يعتقد أن أنسجة الأنثى تساعد في أن ترفع درجة حرارة النار من أجل إجراء عملية سليمة بنجاح.

وكما توضع مع الميت في هذه العملية ممتلكاته الشخصية وكذلك حيوانه الأليف بعد احتراق الجثة تماماً تطفأ النار ويجمع الرماد ، ويوضع في جرة خاصة ذات لون رصاصي مميز من أجل أن تحفظ في المنزل أو في القبر بناء على رغبة أقرباء الشخص الميت أو بناء على رغبة شخصية من الشخص الميت قبل وفاته[3].

(1) Oxford Classical Dictionary (Oxford 1949) D. V. Dead, p. 256.
(2) JOSEPH. L, Life and Death At S Part In Roman G6reece, The American school of classical Studies, Athens, 2006, P. 164-167.
(3) LINDSAY. H: 2000, P. 168.

أما في حالة الدفن العادي من دون الحرق كان الجسد يوضع في نعش أو تابوت، كان يستخدم بشكل أساسي ويصنع من الحجارة وينحت بشكل متقن ، حيث أصبح شائعاً جداً للذين يستطيعون تحمل ثمنه وعبئه، وإن الميت يوضع في هذا التابوت مع أغراضه ومحتوياته .

وإذا لم يتم العثور على الجثة كانت تستخدم دمية أو تمثال ليسد مكانه .

وأما من يبقى من دون دفن هم فقط المجرمون المعدومون، فالقانون الروماني سمح بشكل منتظم بدفن المجرمين المعدومين مع بعض الاستثناءات .

أما في حالة الانتحار لا يتمتع الميت بدفن كامل الطقوس، أو حتى يبقى أحياناً بلا دفن .

وكان هناك أماكن مخصصة للدفن ، وكانت تستخدم من خلال حجمها ونمطها في احتواء عدد من الجثث ، وفي نظر الرومان لا يعترف بالميت في العالم السفلي من دون الدفن.

إنه كان تصرفاً عالمياً من التقوى لدى الرومان أن يتم دفن الميت، أو على الأقل أن يسمح بدفنه سواء كان صديقاً أم عدواً[1].

وسواء اتبعت طريقة الدفن العادية أو طريقة الحرق فقد كانت بقايا الميت تدفن في القبر، وأضحى فيما بعد مزاراً ومكاناً للعبادة[2].

– التجهيز الجنائزي:

كانت التجهيزات الجنائزية ودفنها سويةً مع الميت طريقة من أجل إحياء ذكرى الميت داخل المجتمع، وتعزيزاً للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

إن دراسة التجهيز والأثاث الجنائزي في المقبرة الرومانية يشير إلى الثقافة المادية التي لعبت دوراً جوهرياً في الطقوس والممارسات الجنائزية لدى الرومان.

وكان التجهيز الجنائزي يحتوي بشكل عام على الفخار والمصابيح التي تعكس نشاطات إحياء ذكرى الميت .

على حين كان التجهيز الجنائزي كالمجوهرات والنقود تمثل سلوك خاص من قبل العائلات الثرية أثناء وقت الدفن[3].

(1) Oxford Classical Dictionary (Oxford 1949) D. V. Dead, p. 257, 258.

(2) ديورانت، ول، المجلد الثالث: ص 176.

(3) JOSEPH: 2006, P. 165.

على الرغم من الاختلافات الكبيرة في حجم المواد المستخدمة في التجهيز الجنائزي التي تم العثور عليها في المدافن الرومانية يمكن أن نميز مجموعتين:

المجموعة الأولى: تمثل فترة الاستخدام الأول للقبر، والتي تعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي والثاني الميلادي ، وتشتمل على أباريق وأكواب وقوارير من الفخار وقطع من العملة .

وتمثل هذه المجموعة الاستخدام الأول لهذه البنية والهيكلية المتبعة في تجهيز القبر وفرشه جنائزياً، وهذه المواد الفخارية تعكس أحياء ذكرى الميت بعد الدفن وطقوس الطعام حول القبر [1].

وكانت القبور تحتوي على أطباق خزفية مع وجود أواني خمر ومزهريات ، ويمكن القول أن استخدام المزاهر والمصابيح داخل القبور ترجع بالمقام الأول إلى دورها الفعال في إحياء ذكرى الميت.

المجموعة الثانية: مجموعة الفخار والمصابيح الثانية التي كانت موجودة في القبور لتؤكد على الاستخدام المستمر للقبر، ولهذه التجهيزات الجنائزية في القرنين الثاني والثالث الميلادي ، وكانت تشتمل القوارير وأواني الطبخ وأواني الطاولة والمصابيح وكانت هذه التجهيزات من أصل شرقي[2].

هذه التجهيزات الجنائزية التي توضع في القبور والمدافن دليل على إيمان الرومان واعتقادهم بوجود حياة ما بعد الموت.

– المائدة الجنائزية الرومانية:

كانت الموائد الجنائزية تلعب دوراً هاماً وضرورياً في العلاقة بين أعضاء المجتمع الروماني، وخاصة النخب الاجتماعية والأشخاص التابعين لهم والداعمين لهم داخل المجتمع الروماني من ناحية التفاعل بين أفراد المجتمع ، ومشاركة مشاعر الحزن والأسى على فقدان أحد أفراد المجتمع ، وكانت هناك مشاركة جماعية من قبل النخب والأحرار وأحياناً من قبل العبيد ساهمت هذه المشاركة الجماعية للمائدة الجنائزية على تقوية الروابط الدينية داخل أفراد المجتمع .

وتكررت المائدة في مظاهر مختلفة في الطقوس الجنائزية وذكرى إحياء الميت وخلال الاحتفالات الدينية صغيرة كانت أم كبيرة.

كما تَّم العثور على نصوص وجدت في أعمال ورسائل يوليوس قيصر تصنف الطعام الجنائزي الذي كان يقدم خلال المائدة الجنائزية وعادات وثقافة الطعام الجنائزي.

(1) JOSEPH: 2006, P. 168 , 169.
(2) Ibid, P. 165.

هنا نستخدم كلمة وليمة لمفهوم استهلاك الطعام الاحتفالي والجنائزي للطعام والشراب في المجتمع الروماني[1].

كانت مشاهد المائدة الجنائزية معلقة وموجودة على الجدران في المنزل ، وكما كانت تلك المشاهد ترسم على جدران القبر.

وكانت هناك أيضاً صور الفسيفساء، وتماثيل النحت لتخليد المائدة الجنائزية وكانت المواد المستخدمة في إعداد المائدة مثل أكواب الشرب والمزهريات والأطباق الفضية تؤدي الوظيفة المخصصة لها[2].

إن الكثير من المعلومات مثل نماذج السلوك على المائدة والتواصل الاجتماعي ومتناولي الطعام مأخوذة من النصب التذكارية .

حيث كانت المائدة الجنائزية تنسق على شكل نصف دائرة ، وأصبح هذا الشكل هو النموذج المنتظم للطعام الرسمي في الإمبراطورية الرومانية .

وتعتبر الموائد الجنائزية أول تشريف للميت بحيث تتم بعد الدفن.

وكانت الوليمة الجنائزية التي تقام مرتين كل سنة تعطي أولوية للاتصال والتواصل بين المشاركين المختلفين حيث تقدم كافة أنواع المشروبات خلال المائدة الجنائزية متضمنة الخمر والماء[3].

تعتبر هذه المائدة الجنائزية الحركة المفتاحية من أجل انتقال الميت من الجسد الملوث إلى السلف المقدس، وهذا التغير في الحالة من التلوث إلى القداسة لم يكن ممكناً حتى يتم الدفن .

ويعتبر الطعام مع الميت في العالم الروماني نشاطاً جنائزياً لافتاً للنظر، وخاصة بالنسبة للميت وتأكيد لروح السلف التي ستنتقل إليها روح الميت.

وكانت المائدة الجنائزية تساعد على خلق الذاكرة وخاصة عندما تقام بجانب نصب الميت، يتم تشجيع الأصدقاء على المشاركة وتناول الطعام من خلال مناشدة خاصة من أقارب الميت وحثهم على أخذ الجانب المريح في المائدة الجنائزية ، وذلك كله من أجل أن يذكر الأصدقاء الميت ويشاركوا الطعام مع روحه.

(1) KATHERINE. M; The Roman Banquet, Memaster university, Camberidge,2003, P 10, 11.
(2) Ibid, P. 12.
(3) REGINA. G, The Role of Tombside Dining, Montana State university USA,2000, P. 60.

كان الرومان وخاصة أفراد العائلة والأصدقاء وباقي أفراد المجتمع يزورون القبر بشكل منتظم مع الأضواء والأزهار في الذكرى السنوية لوفاة الميت ، ويقدمون الطعام والشراب خارج منطقة القبر في مكان عالي ومرئي للجميع ، وكان الطعام على القبر عبارة عن أداء فعال من أجل توضيح وتثبيت العلاقة بين الأحياء والأموات.

وكانت حالة الميت و ثراؤه تلعب دوراً في نوعية ما يقدم على المائدة من الطعام الجنائزي من أجل إعادة ربط الميت بالحياة من خلال طقس احتفالي .

وكانت النقوش الجنائزية تدعو الميت ايضاً ليشارك في وجبات الطعام الجنائزي من خلال المضيف المشرف على إعداد المائدة الذي يدعو الضيوف للطعام على قبر الميت .

وكانت التحضيرات لإعداد المائدة وتجهيز الطعام تقام بالقرب من القبور ليلاً لذلك كانت القبور تضئ بمشاعل ومصابيح خاصة[1] .

عندما يذهب الرومان إلى القبر من أجل المائدة فأنهم يجلبون معهم الاسلوب الاجتماعي الذي اعتادوا عليه عندما يتناولون الطعام في بيوتهم لأنهم يحافظون على نفس القيم في تناول الطعام سواء على المائدة الجنائزية أو في بيوتهم .

وكان القانون الروماني يمنع العرض الفخم للطعام والشراب خلال المائدة الجنائزية حيث اعتبر الطعام والشراب الثقيل على القبر والمائدة سلوك غير مناسب، وكذلك أيضاً أدوات العزف والرقص والغناء على القبر[2].

– أقنعة شمع الأجداد:

لقد كان لتقليد شمع الأجداد دوراً هاماً في الفهم الروماني للذاكرة الشعبية والحفاظ على القيم الاجتماعية، حيث كان امتلاك قناع شمعي للشخص داخل العائلة الرومانية، وانتقال هذا القناع إلى الأجيال القادمة، واحدة من أكثر الطقوس الجنائزية ذات الأهمية للثقافة الأرستقراطية الرومانية ، ويضمن للميت أيضاً أن يقام لهُ مأتم جنائزي عام على نفقة الدولة.

وكان الحق في امتلاك قناع شمعي فقط للأشخاص الذين بلغوا على الأقل واحدة من المراتب العليا في الدولة كالقنصل والقاضي والمراقب ومن يشرف على إحصاء الناس داخل الولايات الرومانية.

(1) REGINA. G, The Role of Tombside Dining, Montana State university USA,2000, P. 60, 62.
(2) Ibid, P. 65, 66.

وهذه الأقنعة تكون على شكل الشخص المتوفى، ومصممة على غرار خصائص وملامح وجهية فردية للشخص المتوفى .

وعلى أية حال فإن أقنعة شمع الأجداد في الثقافة الرومانية كانت اقنعة للحياة وليست للموت ، معظم اقنعة شموع الأجداد كانت اقنعة حياة ، ولكن بعضها كان وما يزال أقنعة للموت حيث أن القليل من النبلاء الرومان الذين ماتوا ولم تصنع لهم في حياتهم أقنعة شمع، بل صنعت لهم هذه الأقنعة بعد وفاتهم مما يؤكد على أن هذه الأقنعة هي للموت .

وكانت هذه الأقنعة تحمل قيماً مدنية في داخلها ، وأن وجود هذه الأقنعة في المنزل من شأنه أن يكون حافزاً لأفراد العائلة من أجل تحقيق هذه القيم، والوصول إلى المكانة التي وصل إليها أجدادهم في المجتمع والدولة.

وإلى جانب أقنعة الشمع وجدت أيضاً تماثيل نصفية وصور توضع بالقرب من هذه الأقنعة، وتعرض معاً في نفس الغرفة بالإضافة أيضاً إلى شجرة العائلة مع أسماء وصور لأعضاء العائلة.

وبالنسبة لوظيفة هذه الأقنعة في الموكب الجنائزي للمتوفى، حيث كان يرتدي هذه الأقنعة أشخاص يختارون على أساس التشابه القائم بينهم وبين الرجل المتوفى، وكان القناع يغطي فقط الوجه، ويعمل هؤلاء خلال المراسم الجنائزية على تقليد أصوات الأشخاص المتوفين[1].

ومن الاكتشافات الأثرية في مقبرة جورة أبو صابون وتقع المقبرة على تل أبو صابون في مدينة حمص ، قناع جنائزي مغطى بالفضة (انظر الشكل رقم 16) يمثّل ملامح وجه يظهر أنه لقائد من الأسرة الملكية المحلية ، وغطاء الرأس حديدي عليه بقايا قماش ، ويزيّن جهة الجبين نطاق معيّن بزخرفة نباتية نافرة ويوجد على الغطاء زخرفة مؤلفة من عناصر نباتية .

هذا القناع مصمم مثل قسمات الوجه بما فيها استدارة الأذن وتفاصيل الشفاه، وينسب هذا القناع إلى ورشة سورية على الأرجح في مدينة أنطاكية حسب رأي هنري سيريغ[2].

هذا القناع الذي عثرَ عليه في مقبرة تل أبو صابون، دليلاً على تأثر السوريين بالعادات والتقاليد الجنائزية الرومانية.

(1) NICALA. L, Performing Death, Chicago, 2007, P. 237 - 242.

(2) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 103.

– الحزن والمراثي:

لقد حافظت المجتمعات الرومانية على الرابط مع الشخص الميت من خلال تجسيدها لمشاعر الحزن والمراثي تجاهه.

فمن خلال اللوحات المنحوتة والمرسومة يمكن لنا الوقوف على مراحل الحزن على الميت حيث تبدأ النساء بالعويل والبكاء ويضربن صدورهن ويمزقن شعورهن ويخدشن خدودهن حتى تنزف، وفي بعض الأحيان يمزقن ثيابهن إلى شرائط وينثرن التراب على رؤوسهن كتعبير عن حزنهن، وكن يصرخن بأن الحياة أصبحت رخيصة وحقيرة بعد موت أحبتهن ويضربن رؤوسهن بينما الميت هادئ ووسيم ومسجى وراقد في قبره.

وكانت الأم والأب يأتيان بالمقدمة حتى يتقدمون حشد الناس المكون من الأقارب والأصدقاء، ويرمون أنفسهم على الجثة من أجل تصعيد الموقف ورفع درجة حساسية الحزن.

وعندما يكون الميت شاباً وسيماً فإن الأب يبكيه، ويصف الموت بتعابير غريبة تنم عن عدم رضاه لوفاة ابنه.

وكانت مشاعر الحزن جياشة على كل من يموت قبل أن يتزوج ، وعلى كل من يموت ولديه أولاد صغار، وكذلك من يموت ليس لديه أولاد ، أو قبل أن يخدم في الجيش فقد كانت مشاعر الحزن على هؤلاء كبيرة، وكان البكاء والصراخ العلامة المميزة للحزن[1].

إنَّ الشعور بالحزن لدى الرومان كان شعوراً خاصاً، وكان هذا الشعور يولد بشكل خاص لدى الثكالى حيث كانت تتجسد عواطفهن ومشاعرهن تجاه الميت، وبشكل خاص ضمن سياق اجتماعي نظمه القانون الروماني بشكل عام مع وجود لبعض الاستثناءات التي تراعى فيها الظروف البشرية، وعدم القدرة على التحكم فيها[2].

وكانت الأرامل وآباء الأطفال الميتين في الغالب يتراءى لهم أولادهم وأزواجهم الميتين في الأحلام على صورة شخص حي ، وما يتبعها من هلوسة ومحادثة مع طيف هذا الميت ومع بقية الأولاد الآخرين، وذلك من أجل إعادة لم الشمل مع ذلك الميت .

وكانت الأرامل يحلمن أو يأملن بأن أزواجهن لم يموتوا بالفعل أو أنهم ما زالوا على قيد الحياة، ويعملن على زيارة الأماكن القديمة التي كان يتردد ويزورها أزواجهم قبل وفاتهم من أجل أن يحفظوا الاستمرارية لذكرى أزواجهن الميتين .

(1) HOPKINS. K , Death and Renewal, Cambridge University Press, P. 221-224.
(2) Ibid, P. 223.

ويمكن القول أن العادات الجنائزية وزيارة القبور وتغدية الميت والاحتفال بالذكرى السنوية للوفاة واقتران هذه المناسبات بالحزن والرثاء والنواح ساعدت في تزويد وتقديم دعم اجتماعي كبير لعائلة المتوفى، ولكل الأشخاص الذين يحزنون على الميت من أجل مراعاتهم وتقديم كل احتياجاتهم(1).

الخلاصة أن الحزن والتعبير عن الحزن يعتمد على طبيعة المعتقدات حول الحياة بعد الموت ومدى تأثير الإيمان على مشاعر الحزن بشكل عام ، وكان هناك اختلاف بين الرجال والنساء في التعبير عن الحزن والبكاء على الميت، فالنساء مسموح لهن ذلك لأن الحزن والبكاء من تقاليد النساء، بينما الرجال لم يكن مسموح لهم ذلك نظراً لطبيعة وشخصية الرجال في المجتمع الروماني، لأن هذا السلوك غير مرغوب فيه من قبلهم.

– الاحتفال الجنائزي:

اعتبر هذا الإجراء عبارة عن عبادة رومانية خاصة ، وكانت تقام بشكل مستمر من أجل احترام وتكريم الميت ، ويشتمل هذا الاحتفال أيضاً زيارات منتظمة للقبر واحتفالات وأعياد وكان يزود فيها الميت بالطعام والمنح والعطايا.

وكانت القبور تزار برفقة المصابيح والأزهار وذلك في منتصف الليل من أجل استرضاء الأرواح الشريرة(2).

وكانت الولائم الجنائزية تعدّ بالقرب من النصب التذكارية للميت في أجواء مفعمة بالحياة والفرح(3).

– شواهد القبور الرومانية وأهميتها التاريخية والحضارية :

تعددت أشكال الشواهد الرومانية في سورية وهذا التعدد يدل على وجود حس فني وابداعي لدى الحرفي الذي قام بتشكيل هذه الشواهد الجميلة، وكما ظهرت بعض الإبداعات الفنية في التلاعب بأشكال الشواهد الجنائزية، بالإضافة لوجود إبداع فني تمثّل في تمثيل المتوفى على الشواهد، بالإضافة لوجود بعض الزخارف الهندسية على بعض الشواهد .

معظم الشواهد تخص افراد عسكريين كانوا يخدمون في الجيش الروماني التي كانت تستقر في المدن.

(1) HOPKINS. K, Death and Renewal, Cambridge University Press, P. 224.
(2) TOYNBEE: 1971, P. 50.
(3) REGINA. G: 2000, P. 60.

وقد قدمت شواهد قبورهم معلومات هامة عنهم ولاسيما إن كل شاهدة تحمل صورة المتوفى بلباسه الحربي مع نص كتابي باللغة اللاتينية تشير إلى اسمه وعمره وعمله وأحياناً مدة الخدمة التي قضاها في الفرق العسكرية الرومانية .

ويمكن تميز ثلاثة نماذج للشواهد الجنائزية الرومانية منها ما يأخذ شكل قاعدة في الأسفل يعلوها حقلاً مستطيلاً يحتوي صورة المتوفى ونص كتابي والجزء العلوي على شكل هرم، اما النموذج الثاني فيأخذ شكل مذبح ويحتوي على نص كتابي في المنتصف مع صورة المتوفى، والنموذج الثالث على شكل مستطيل حيث يلاحظ أن القسم السفلي مخصص للنص الكتابي بينما يعلوه مثلث يحوي صورة المتوفى إلى جانب بعض الرموز, ففي منطقة دمشق عثر على مجموعة كبيرة من الشواهد هذه الشواهد تخص جنود من مناطق مختلفة وكل شاهدة تحمل اسم المتوفى ورمز الفرقة التي ينتمي لها أو رمز البلد[1], حيث كانت شواهد القبور طريقة من أجل شرح الهوية العسكرية والحالة والنجاح الشخصي وشعور الاختلاف أو التفوق والقيادة التي يمتاز بها المتوفى عن زملائه .

وشواهد القبور الرومانية تمثل مستوى معين ومحدد من الاستقرار والاستمرارية للجنود العسكريين مقارنة مع عناصر أخرى في المجتمع لأن الجنود كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية ومالية وكانوا يتمتعون بدخل ثابت وكانوا يدفعون للخزينة الجنائزية مبلغ محدد من المال من أجل الحصول على شواهد جنائزية وقبور لائقة بهم[2].ويلاحظ من خلال دراسة الشواهد الجنائزية أنها حافظت على تقاليد المتبعة على الرغم من بعد المنطقة الجغرافية لكل جندي، وبالتالي إن الشواهد التي صنعت في سورية تحمل تقاليد المناطق التي ينتمي لها الجنود الرومان، ولهذا كانت الشواهد الجنائزية التدمرية تختلف عن شواهد المناطق الأخرى كونها تعكس التقاليد والمفاهيم المحلية.

(1) .J .BALTy C: Apamee de syrie, Bruxelles, 1993, P. 14 - 15.
(2) Hope. M: Trophies and Tombstones commerncrating The Roman Soldier, P. 86, 87.

3 – اليهود:

آ – معتقداتهم حول الموت:

ساد اعتقاد لدى اليهود أن الموت هو عمل إلهي فكما خلق الإنسان من تراب فإلى التراب يعود: (بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض، فمن تراب أخذت، وإلى تراب تعود)[(1)].

ويعطينا التقليد اليهودي بأن الموت بداية الانفصال بين الروح والجسد هذا الانفصال لا يعتبر كاملاً حتى يدفن الجسد[(2)].

وهناك تصور بأن الروح ترفرف محلقة حول مكان الدفن ثلاثة أيام لربما تسنح لها الفرصة وتتمكن من العودة إلى الجسد لكن بتغير ملامح الجسد تنسحب وتتخلى عنه[(3)] .

لم يكن الموت نهاية الشخص بل يبقى للميت شبح في «شاؤول» وهو مكان مظلم تحت الأرض لكنه أعمق من القبر "المقر الأسفل" تحت الأرض و تحت الماء ، تستقر فيه أرواح الموتى ويتميز بالمساواة التامة بين نزلائه لا فرق بين كبير وصغير ، ولا بين حر و أسير ، ولا أسياد وعبيد .

و«شاؤول» التي من معانيها «الهاوية»، مكان غير مرغوب نظراً للتشاؤم الذي يسود بشأنه ، والغموض الذي يحيط بجوهره ، فالكلب الحي أفضل من الأسد الميت و الأحياء يعرفون مصائرهم أما الأموات فلا يعرفون أي شيء، ولم يعد لهم أجر، لأن ذكرهم طويت صحائفه[(4)].

وفي «شاؤول» تنقطع صلة الميت بإلهه: «هل يحدث في القبر برحمتك ، أو بحقك في الهلاك، هل تعرف في الظلمة عجائبك وبرك في أرض النسيان»[(5)].

ومع ذلك ترد نصوص في التوراة تشير إلى أن السعادة أو الشقاء في شاؤول يتوقفان على أعمال المرء في الدنيا، فجزاء الصديقين والمستقيمين «أن يرقدوا على سررهم بسلام»[(6)].

---

(1) الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، منشورات دار المشرق، بيروت، 1984، سفر التكوين 19:3.

(2) المصدر نفسه، سفر التكوين ، العدد29:16.

(3)H ASTING.J AMES:Encyclopaedia Of Religions And Ethics,Edinburgh, T&Tclar , V 4, P.497.

(4) الإمام ، سامي ، الفكر العقدي اليهودي ، منشورات جامعة الأزهر، القاهرة، ص 30.

(5) انظر الكتاب المقدس، سفر المزامير 13-12:88.

(6) المصدر نفسه، سفر أشعيا 37:2.

ويعتقد اليهود أن عناصر الحياة في الجسد «نفش ، نشاماه ، روح» تنفصل عند الموت وتنتظر مصيرها فإذا كان الشخص صالحاً تكافأ ال "نشمة" بالعودة إلى مصدرها الإلهي الذي فاضت منه لتستقر إلى الأبد متمتعة بنور الرب.

أما الـ "روح" فتصعد إلى جنة عدن السفلى و تدخل في الجسد الذي كانت تستقر فيه في الدنيا وتبقى متمتعة بنور الجنة.

وأما الـ "نفش " فتبقى في القبر و تستقر على الأرض و ترفرف حول الجسد إلى أن يتحلل[1].

ب – المراسم والشعائر الجنائزية عند اليهود:

– الإطار الزمني من أجل الدفن:

كان تأخير الدفن ينظر إليه على أنه فعل من عدم الاحترام تجاه الشخص الميت[2].

في بعض المجتمعات اليهودية عندما يموت الشخص في الصباح أو فترة الظهيرة فإن الجنازة والدفن ربما يحدث ويتم قبل غروب الشمس، والأكثر شيوعاً لدى اليهود بأن تتم الجنازة في اليوم التالي للوفاة.

وعندما تحدث الوفاة في يوم الجمعة فإن الجنازة تؤجل حتى يوم الأحد لأن الجنازة لا يمكن أن تتم في يوم السبت ومن أجل إعطاء فرصة للأشخاص الذين يرغبون بالمشاركة والقادمين من مناطق بعيدة ، وفي هذه الحالة يمكن أن تؤجل الجنازة حتى 48 ساعة حتى يحضر هؤلاء الأشخاص[3].

– تحضير الجثة:

يتم تحضير الجثة في المنزل الذي حدثت فيه الوفاة من قبل متطوعين يهود ومن أجل احترام القيم اليهودية فإن أشخاصاً من نفس الجنس يحضرون الجسد من أجل الدفن من خلال عملية تعرف بالتطهير والتنقية[4].

وأثناء التطهير يصب الماء على الجسد بشكل متدفق من أجل أن يشمل كل أجزاء الجسم ، وبعدها يعلن الجسد على أنه قد نقي من الآثام التي كانت قد أثقلت كاهله وهو على قيد الحياة ، وأن الروح أصبحت حرة وغير مرتبطة وأصبح بإمكانها أن تدخل العالم الإلهي[5].

---

(1) عبد المجيد، محمد بحر ، اليهودية، منشورات جامعة عين شمس، القاهرة، 1978، ص153.

(2) APOPOVSKY .R .M:Jewish Ritual ,Duke Institute Caralina , 2007, P. 30.

(3) WWW, Jewish Funerals, Org .

(4) WWW, Jewish Funerals, Org .

(5) APOPOVSKY: 2007, P. 32.

ومن ثم يوضع الجسد النقي بكفن الذي يصنع من قماش أبيض من مادة الكتان وليس له جيوب بحيث يذكر هذا الكفن أن لا أحد يأخذ معه شيئاً إلى العالم الآخر.

وكما ترتدي عائلة الميت والبكائيون لباساً يناسب هذه الحالة الحزينة ويكون لون هذا اللباس هو اللون الأسود ، وفي نهاية تحضير الجسد يقوم المصلون نيابة عن الميت سائلين الله المسامحة الإلهية والقبول في مملكة الخلود(1).

– الموكب الجنائزي:

الجنازة اليهودية تكون هادئة وبسيطة حيث تتضمن رثاء ومدائح، والمدائح عبارة عن صلاة لله مملوءة بالدعاء والشفقة للميت(2).

وعندما تنتهي هذه المدائح يدعى حاملو النعش للتقدم للأمام ، ويمكن استخدام عربة لحمل النعش، ومن ثم تتبعه العائلة والأحبار وأخيراً الضيوف، ومن يحمل النعش يكون ذا صلة قريبة جداً بالميت أو من عائلته المقربين ، وحالما يوضع التابوت في القبر فإن الأحبار يعلنون بأن الشخص الميت قد ذهب إلى مكانه أو مكانها في مملكة السلام، وبعد ذلك فإن عائلة الميت يرتبون أنفسهم في خطين لتلقي التعازي .

بعد ذلك يغادر الجميع المقبرة وخارج المقبرة يوضع دلو من الماء مع فنجان من الماء ليستخدم الماء في الشراب أو الغسيل لكل من شارك بالجنازة ، وكل من اتصل بالميت لا تنطوي عليه فكرة التلوث بل أن الموت طاهر ومقدس لا يلوث أحداً(3).

على خلاف اليونانيين والرومان الذين يؤكدون هذه الفكرة .

– عادات الدفن:

– الدفـن العادي:

وفقاً للتقليد اليهودي أن الإنسان سوف يرجع إلى التربة التي قد أخذ منها ، وأن الإنسان مخلوق من التراب وسوف يعود للتراب، وقد فسروا هذا بشكل تقليدي أن هذا تفويض من أجل أن يرجع الجسد إلى الأرض بعد الموت .

---

(1)APOPOVSKY: 2007, P. 32 .
(2) Ibid, P. 32.
(3) WWW, Jewish Funerals, Org .

وفي الدفن التقليدي يجب أن يكون الجسد سليم لأن اليهود يؤمنون بالقيامة الجسدية حيث يبعث الجسد بشكل كامل ، وهذا ما يعكسه المعتقد اليهودي بأن الجسد يجب أن يكون مقدس ويجب العناية به وأن يرجع للإله بشكل كامل ومن ثم يتم وضعه بالقبر (1).

كما ليس هناك وجود للتحنيط أو تزين أو تجميل للجسد بالنسبة للميت لدى اليهود.

كذلك أيضاً يعتبر ممنوعاً كل ما من شأنه أن يعيق تحلل الجسد وفقاً للتقليد اليهودي ، وأن الموت يجب أن يكون واجهة مباشرة لفقدان الألم ، والأجساد يجب أن تدفن بشكل مباشر .

حيث يوضع الميت في تابوت ، ظهره جهة الأرض ووجهه للأعلى، ويغطى التابوت بلوح ، ولا يهال التراب على جسد الميت لأن في ذلك إهانة له بحسب المعتقد اليهودي، ومن المعتاد حرق البخور ساعة الدفن .

ولا يدفن ميتان إلى جوار بعضهما في قبر واحد ، ولا ميت إلى جوار عظام ميت أخر، ولا توضع عظام ميت بجانب عظام ميت آخر.

ولا يجوز الدفن في مقابر مدينة أخرى إذا كان في مدينة الميت مقابر ، لأن موتى مدينته يغضبون من ذلك ، ويعدون هذا التصرف احتقاراً لهم .

بعد الانتهاء من الدفن يخلع المشيعون نعالهم ويبتعدون قليلا عن المقبرة و يقرؤون "القديش" وهو عبارة عن دعوات يقرأ أغلبها باللغة الآرامية ، ويعتقد أن قراءة القديش تنجي الميت من العذاب .

وبعد الانتهاء من الصلاة على الميت وفي طريق العودة من المقبرة ، يتناول العائدون حفنات من التراب والعشب ويلقون بها خلف ظهورهم ويقولون "تذكر أننا من تراب"، أما العشب فهو رمز لإحياء الموتى ،ثم تغسل الأيدي بالماء(2).

– الحـرق:

لا تحرق جثث الموتى إلا إذا كان الحرق هو عقوبة على جرم ارتكبه أو تنفيذاً لوصية من قبل الميت نفسه .

واليهود الذين يختارون الحرق يفعلون ذلك على الرغم أنه غير مسموح به بموجب التعاليم اليهودية، لأن الجسد ينظر إليه على أنه يخص الإله ونحن نستعير الجسد في الحياة من أجل أن نحميه بشكل

(1) APOPOVSKY: 2007, P. 33.

(2) الإمام، سامي، المرجع السابق، ص182، 183.

أفضل قدر الإمكان، والتقليد اليهودي يقول نحن لا نملك سلطة لأن نغير أو ندمر هذا الجسد بطريقة أو أخرى. بعض اليهود يفضل الحرق على الدفن.

وهناك تقليد بأن الشخص الذي يحرق لا تكون له أي طقوس جنائزية، لا يبكى عليه ولا يتفجع عليه بشكل رسمي[1].

- الوليمة الجنائزية :

عند اليهود يحرم على أهل الميت أن تكون وجبتهم الأولى بعد الدفن من بيته ، أو من ماله لذا يجب على جيرانه أن يجهزوا له الطعام وتسمى "وجبة المآتم" يتناولونها عند عودتهم, وهناك مكان مخصص لتلك الوجبة يسمى "بيت الوليمة". وتعد هذه الوجبة فريضة دينية يقدمها الجيران لبعضهم البعض في مناسبات عدة و تسمى "الوليمة الواجبة" وتقدم المرأة الجارة للمرأة تلك الوجبة، ولا يجوز أن يقدم الرجل الجار للمرأة تلك الوجبة وذلك من أجل احترام القيم اليهودية والحفاظ عليها.

وإذا لم يقدم جيران الميت هذه الوجبة حتى حلول الليل يجوز أن يأكل أهل الميت من بيتهم، ويجب أن تقدم هذه الوجبة حتى لو تم الدفن في منتصف الليل، ومن آداب الجلوس في بيت الوليمة الصمت وعدم الكلام ، ويجوز في تلك الوجبة تناول جميع الاطعمة بما في ذلك اللحوم واحتساء الخمور[2].

ويجب احياء ذكرى الميت و ذلك من خلال تقديم أهل الميت وليمة جنائزية عند القبر حيث يتشارك الموجودون الطعام الجنائزي ، كما أنهم يتشاركون الطعام نفسه على القبر خلال حفلات التأبين التي تجري في اليوم التاسع والحادي عشر والثلاثين أو الأربعين ، ثم بعد مرور سنة على وفاة الميت، وتقدم فيها جميع الاطعمة والشراب للمشاركين فيها .

في حين يصبح يوم الوفاة ذكرى التأبين ، التي يحتفل بها كل سنة وتعاد فيها الوليمة على القبر والندب[3].

في اعتقاد اليهود كانت ارواح الموتى من مصادر الشر والضرر الذي يصيب الأحياء لهذا السبب اعتقدوا أن تقديم القرابين والولائم الجنائزية للميت وكذلك وضع وسائل اعاشة وادوات للزينة ،

---

(1) APOPOVSKY: 2007, P. 33.

(2) الإمام، سامي، المرجع السابق، ص31.

(3) المرجع نفسه، ص 185-184.

وحتى اسلحة بجوار الميت في قبره ، هذه القرابين كانت كفيلة باتقاء شر أرواح الموتى وتجعلها سعيدة في مرقدها وهنا يلاحظ أن اليهود قد تأثروا بالرومان في هذه الناحية .

وصل الامر في بعض المناطق التي يسكن فيها اليهود إلى زيارة القبور بغية الحصول على شفاعة الميت أو الشفاء من الأمراض والعلل[1].

– الحزن والحداد لدى اليهود:

يدخل اليهود بعد الوفاة مرحلة من الحزن والبكاء الشديدين، والتقليد اليهودي يزودنا باسم لهذه المرحلة تسمى التفجع والرثاء والبكاء وهذا الاسم يعزز مكانة الرثائيين في تلك الحقبة والرثائيون أنفسهم في هذا الوقت يدعون بالبكائيين .

حيث يؤمن اليهود بأن الحزن والعاطفة لا يمكن أن يتم إخفاؤها بعد حدوث الوفاة[2].

حيث ينص العهد القديم ويشرح "ابك وأرث موتك وموتاك ولا تخبأ حزنك ولا تكتم حزنك وتفجعك".

والغرباء أيضاً لابد من أن يظهروا مشاعرهم الحزينة المتقاربة من مشاعر عائلة المتوفى، ليظهر العزاء بشكل فعال.

ومن المظاهر التي لم تحرمها التوراة في التعبير عن الحزن على الميت: شق الثياب، والجلوس على الأرض، وذر التراب على الرؤوس وكشفها، والتمرغ في التراب والصراخ[3]. والتأبين من المظاهر الرئيسية في الحداد و يبدأ يوم الدفن، ولتأبين الموتى مكان خاص يسمى "بيت الحزن".

يوصى بذكر محاسن الميت دون المبالغة لأن المبالغة– خاصة لو كانت منافية للحقيقة – تضر بالحي والميت على حد سواء، وإذا لم يكن للميت صفات حميدة أو أعمال تذكر لا يذكر له شيء.

كما يلزم المحددون بيوتهم ، فلا يخرجوا منه خلال الأسبوع الأول حتى لا يسمعوا بركات الزواج والختان، ويبدؤون بالخروج اعتباراً من الأسبوع الثاني ولكن لا يسمح لهم بالمكوث بالمعبد والحديث فيه، ويسمح لهم في الأسبوع الثالث الجلوس بالمعبد ولكن من غير الحديث فيه، في الاسبوع الرابع ينتهي الحداد ويصبح المحددون كسائر الاشخاص .

---

(1) المرجع نفسه، ص 31.

(2) CATTER. W, HOUSE. B: The Jewish Mourners, Hand book, North Carolina, 1992, P. 52.

(3) الإمام، سامي، المرجع السابق، ص183.

وخلال فترة الحداد لا يجوز استمرار البكاء على الميت لأكثر من ثلاثة أيام ، كما لا يجوز الندب ولا التأبين لأكثر من سبعة أيام، ويجب أن يلبس لبس الحداد عند اليهود لمدة ثلاثين يوماً، ويفهم من ذلك أن مدة الحداد في اليهودية وهي على اقصى تقدير ثلاثين يوماً[1].

وتتحدث النصوص التوراتية عن صوم اثناء الحداد لكنه غير محدد المدة[2]. ولكن الالتزام الوحيد الذي يطلبه التقليد اليهودي من المتفجعين والبكائيين أن يتم تعظيم وتشريف الموت والميت.

والمتفجعون معفون من كل الالتزامات الدينية الأخرى مثل الصلاة وكل ما يجب عليهم فعله هو احترام وتشريف الميت من خلال طقوسهم الحزينة[3].

– شواهد القبور عند اليهود :

تعتبر شواهد القبور لدى اليهود ذات أهمية كبيرة، لأنها تظهر لنا تاريخ وفاة الميت وتاريخ ولادته بالشهر واليوم وفقا للتقويم العبري بالإضافة لاسمه واسم والده، وهذه تسمح لنا بأن نعود إلى الخلف لجيل واحد ومعرفة الشخص المتوفى ومعرفة اسم والد الميت.

وفي نهاية الشواهد الجنائزية اليهودية سوف نجد الاختصارات والتي هي عبارة عن اختصار لآية من الكتاب المقدس من سفر صموئيل 29 : 25 (ربما روحه تكون ملزمة حتى في رباط الحياة الأبدية).

وتوجد على الشواهد أيضاً رموز وصور تدل على (اللاويين) الذين كانوا مسؤولين عن تنظيف المعبد في العصور القديمة .

وغالبا ما تستخدم الشمعة على شواهد قبور النساء ، والنجمة على شواهد قبور الرجال مع رسم لغصن مكسور أو شجرة مكسورة حيث أن هذه الرموز في المعتقد اليهودي ترمز لشاب مات وهو يافعاً[4].

---

(1) الإمام، سامي، المرجع السابق، ص184.

(2) انظر الكتاب المقدس، سفر صموئيل الأول12:1.

(3) APOPOVSKY: 2007, P. 30.

(4) -Jewish Online Worldwide Burial Registry (JOWBR)

Http:WWW. Jewishvan . Org/databases/ Cemefery

وهكذا نجد أن الطقوس الجنائزية تعتبر أحد أكبر مظاهر الثقافة الإنسانية منذ ظهور الإحساس بالموت، باعتباره معطى من معطيات الواقع البشري.

إن الموت شكل ولا زال يشكل أحد أكبر الأسباب المؤدية للطقوس الجنائزية على مر التاريخ، والبحث في هذا المعطى الإنساني من زاوية معرفية يلقي بالكثير من المعطيات على فهم تصورات المجتمع البشري للموت وما يرافقها من طقوس تمثلها على أرض الواقع.

وصفوة القول: إن نظرة الفئات السكانية في سورية خلال الحكم الروماني عن معتقداتهم عن الموت والطقوس الجنائزية تتلخص بما يلي:

1 – الإيمان المطلق بحتمية الموت بالنسبة إلى البشر مهما طال بهم الأمد.

2 – عدم الإيمان بإمكانية عودة الميت للحياة.

3 – نظرتهم الموحدة عن العالم السفلي، الذي يتصف بالظلام الدائم والأفكار عن حياة ما بعد الموت غامضة ومبهمة نوعاً ما.

4 – الاهتمام بالموتى من ناحية الدفن والقيام بالطقوس والشعائر الجنائزية الضرورية من أجل تشريف الميت وتحقيق سعادة الموتى وراحتهم.

الفصل الرابع

مجالات الدفن والعمارة الجنائزية خلال العصر الروماني في سورية

أولاً – مجالات الدفن

1- المقابر والقبور الفردية

2- المدافن الأرضية:

آ – مدفن الأخوة الثلاثة.

ب – مدفن يورفا ويولحا.

ج – المدافن الأرضية في دورا أوروبوس.

د – مدافن عازار.

هـ – المدافن الأرضية في الكتلة الكلسية شمال سورية.

و – المدافن الأرضية في الجنوب السوري.

3 – المدافن الصرحية (Mausoleum):

1 – المدافن البرجية.

2 – المدافن المعبدية.

3 – المدافن الهرمية

4- المدافن الكهفية :

أ – المدفن الملكي

ثانياً – طرق الدفن :

1 – الدفن من خلال المصاطب

2 – التابوت الجنائزي(sarcophagus)

آ – تابوت الرستن .

ب – تابوت ميلياجر.

ج – تابوت اللاذقية.

3- الدفن من خلال المعازب الجدارية

4- نظام القبور الحجرية المعقودة (Arcosolium)

ثالثاً - الزخارف والتأثيرات:

1- الزخارف الهندسية.

2- الزخارف النباتية:

آ – نبات الأكانتوس (Acanthus).

ب – نبات الكرمة وعناقيد العنب.

ج – الزهور والورود.

د – غصن النخيل.

3- الصور الجدارية (الفريسك).

4- الزخارف الإنسانية.

5- الزخارف الحيوانية

رابعاً - دلالات المدافن:

1 - الدلالة الاجتماعية.

2- الدلالة الاقتصادية .

3- الدلالة الدينية.

مجالات الدفن والعمارة الجنائزية
خلال العصر الروماني في سورية

الدفن والمدفن لغة واصطلاحاً:

المدفن هو الموضع الذي يدفن فيه الميت سواء كان حفرة أو تجويفاً في الأرض أو في الصخر، وقد يكون تابوتاً حجرياً أو فخارياً، أو جرة فخارية ويظهر المدفن على شكل كومة أو تلة تبرز فوق سطح الأرض، أو لا تظهر في غالب الأحيان ، وربما يكون المدفن عبارة عن بناء من الحجر أو اللبن أو الآجر أو يشتمل عليها جميعاً ، كما قد يكون المدفن في منتهى البساطة أو صرحاً ضخماً[1].

والدفن : الستر والمواراة ، نقول : دفنه يدفنه وادفنه فاندفن وتدفن فهو مدفون ودفين ودفن الميت واراه[2].

والقبر : مدفن الإنسان ، وجمعه قبور ، والمقبرة : موضع القبور، وهي موضع دفن الموتى، واقبره جعل له قبراً يوارى ويدفن فيه ، والمقبر موضع القبر[3].

كان يوجد في سورية القديمة في العهد الروماني مجالات كثيرة للدفن ومنها المقابر التي تضم عدداً كبيراً من القبور الفردية ، حيث يوضع المتوفى في تابوت خشبي و من ثم يدفن في القبر وإلى جانبه شاهدة بسيطة كما هو الحال في الجنوب السوري (حوران) وتدمر.

ومن مجالات الدفن في سورية المقابر البرجية كما في تدمر ودورا أوروبوس وحلبية زلبية وجبل الباغوز والجنوب السوري.

وأيضاً كان هناك الدفن في المدافن الهرمية والمدافن التي تشبه المعابد كما في تدمر وحوران وريف دمشق والشمال السوري .

وانتشر أيضاً مجال الدفن في المدافن الأرضية التي تحت الأرض كما هو الحال في تدمر ومعظم المناطق السورية .

---

(1) معاوية، إبراهيم، المدافن في الشرق القديم، دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، تونس، 1987، ص109.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج 1، بيروت، (د. ت)، ص 994.

(3) المصدر السابق، مج 3، ص 5.

وتتميز سورية بالغنى الكبير في العمارة الجنائزية فقد أحصيت مئات المدافن المختلفة العائدة إلى العصر الروماني وتتشابه هذه المدافن في بعض العناصر المعمارية، وتختلف في بعضها الآخر سواء كان على مستوى حجم الفراغات الداخلية وتوزعها أو في العناصر الزخرفية المستخدمة فيها.

من الصعب الإحاطة بكل هذه الأشكال ، لذلك نكتفي بإعطاء بعض الأشكال الرئيسية من العمارة الجنائزية التي تتوزع في جميع المناطق السورية ، ولا ننسى الخصوصيات التي تتميز بها كل منطقة بسبب نوع المادة المستخدمة فيها ، أو وجود تقاليد فنية محلية تركت أثراً في إعطاء سمات معينة لعمارتها الجنائزية، لكن هناك في أحوال كثيرة تشابهات بين منطقة وأخرى.

يمكن تصنيف مجالات الدفن إلى عدة أنماط :

1- القبور الفردية.

2- المدافن الأرضية.

3- المدافن الصرحية.

4- المدافن الكهفية.

أولاً – مجالات الدفن :

1- المقابر والقبور الفردية :

سميت المقابر بدار الأموات وتقع في نهاية الشارع الأعظم ، وكالعادة كان يتم دفن الأموات خارج المدينة والأسوار وتنتشر المقابر في الشمال وفي الشمال الغربي للمدن في سورية ، نظراً لازدياد عدد السكان في المدن وبالتالي ازدياد عدد الأموات ، ورغبة في دفن الموتى في مقابر لائقة تتصف بالهيبة والاحترام فقد أكثر الناس من تهيئة المقابر الجماعية التي تتكون من مجموعة كبيرة من القبور[1] .

هذه القبور من أبسط أنواع المدافن ، وكانت تعود ملكيتها للناس الفقراء أو العامة أو الذين لا يرغبون بدفع أموال كبيرة على قبورهم .

وهي قبور بسيطة محفورة في الصخر الكلسي أو البازلتي أو في التربة تكون أبعاد القبور متناسبة مع أحجام الأشخاص الذين تعود إليهم هذه القبور أما العمق فيتراوح عادة بين 1,5 إلى خمسة أمتار ، وتسمى في الحالات التي تكون عميقة باسم قبر على شكل بئر ، ينتشر هذا النمط في أغلب مواقع سورية[2].(الشكل رقم 17)

وتكون هذه القبور إما مجتمعة بجانب بعضها لتشكل تجمعاً كبيراً كما هو الحال في مقبرة أم حوران التي تقع على بعد 5 كم شمال قرية نوى في محافظة درعا [3]، وكذلك في دورا أوروبوس التي عثر فيها على أكثر من 100 قبراً فردياً تحت الأرض خلال التنقيبات التي أجريت في المدينة[4]، أو تكون متفرقة كما هو الحال في أغلب المناطق في سورية (الشكل رقم 18).

وتحفر هذه القبور إما على شكل طابق واحد يتسع لجثة واحدة ، أو يحفر على شكل طبقتين توضع الجثة في القسم السفلي الذي يكون أضيق قليلاً من القسم العلوي ، وتكون المسافة الناتجة عن

---

(1) كلينغل، هورست: 1985، ص 117.

(2) Vegas and Mileto : Hypogeum Tombs in The Roman and Byzantine Necroplis at Deyr ALzor, Syria, university of Valencia, 2005. P 165.

(3) البني، عدنان، صليبي، نسيب ،دراسة اولية عن حفريات مقبرة أم حوران وآثارها ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، المجلد 6،دمشق 1956 ، ص 8- 22

(4) Rostovtzeff, M: 1946, P 1.

التضيق حوافاً لوضع بلاطات التغطية عليها، وتوضع جثة أخرى في القسم العلوي، أما إذا لم يرد وضع جثة في القسم العلوي فيمكن أن يردم بالتراب[1]. (انظر الشكل رقم 19)

إن القبور الفردية من القبور الأكثر شيوعاً في تدمر وهي عبارة عن حفرة في الأرض تتسع لدفن شخص واحد ، يبلغ طول القبر 2 م تقريباً تكون مبنية من الداخل بألواح من الحجر المنحوت ، يوضع الميت في هذه الحفرة داخل تابوت من الأجر أو الخشب أو الرصاص أو الخشب والفخار... الخ يعلو القبر شاهدة على شكل نصف دائري أو هرمي منقوشاً عليها تمثال يشير إلى الشخص المدفون داخل القبر وأيضاً اسمه وكلمة اسفاه[2].

في مقبرة عازار يوجد قبر ذو أهمية كبيرة ويحتوي القبر على هيكل عظمي مسجى على طبيعته (الشكل رقم 20) يوجد انحناء في عموده الفقري لعله عاهة حملها صاحبها طيلة حياته ، ووافته المنية في سن متأخرة من العمر وهو أحدب الظهر .

لم يتم العثور على لقى أثرية ولكن شكله العام يشير إلى أنه يعود للقرنين الثاني والثالث الميلادي[3].

وكانت تقتضي تقاليد وشعائر الدفن وضع وتقديم الكثير من الهدايا كقوارير العطور الزجاجية والحلي الذهبية ، وأدوات أصحاب المهن كالأطباء والصيادلة والمحاربين ، عثر على أمثلة باهرة في مقبرة أم حوران[4].

ولقد عثر داخل القبور على الكثير من الأثاث الجنائزي المرفق مع المتوفى ، وخير مثال على ذلك ما تم اكتشافه في مقبرة أبو صابون في مدينة حمص التي ضمت الكثير من المكتشفات الرائعة كالمجوهرات المختلفة العائدة إلى القرن الأول الميلادي ، وهي تعود على الأغلب للأسرة الملكية التي حكمت حمص خلال القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي .

كتب هـ. سيريغ الذي درس الأدوات المكتشفة في المقبرة ما يلي : «كل الدلائل تشير إلى أن الدفن كان يتم في النصف الأول من القرن الأول الميلادي»[5].

(1) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان: 2013، ص 265.

(2) البني، عدنان، الأسعد، خالد: 2003، ص 116.

(3) صليبي، نسيب: مقابر عازار جنوب طرطوس ، الحوليات الأثرية العربية السورية ،المجلد 26، دمشق ، 1976 ص 128، 129.

(4) البني، عدنان، صليبي، نسيب، مقبرة تل أم حوران، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 6، دمشق، 1956

(5) Seyrig. H: Antiquité De La Nécropole D' Emèse, Antiquités Syriennes, Tome V, Paris, 1958, P48 .

ويدل هذا الأثاث الجنائزي على القوة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها المتوفون.

ومن خلال تحليل هذه القبور نجد البساطة، والعمل على انقاص حجم هذه القبور من أجل توفير مساحات أخرى للدفن، بحيث كان القبر المحفور والمطمور بنجاح يؤدي إلى ضمانة ومتانة كبيرة ، وشكل نمطاً يجب اتباعه من قبل باقي البنائين الآخرين للقبور .

وكانت الأدوات المستخدمة في الحفر بسيطة تتمثل في معاول بسيطة تستخدم في أعمال الأرض الزراعية، وكما وجدت علامات على السطح الداخلي للزوايا الأكثر خفية التي تمكننا من تصور الأداة المستخدمة في رسم هذه الزوايا والقبر ككل والتي تجسد الثقافة المادية للبناء والعمل .

ومن المرجح أن شخصين ساهما في بناء القبر الفردي حيث كان صاحب القبر هو الذي يشرف على عملية بناء القبر، والعامل هو الذي يستخرج التراب من الأرض أثناء الحفر مع تزويده بالضوء ومصابيح الزيت إذا لزم الأمر، من أجل إخراج قياسات القبر الداخلية والحجم والتجاويف بغاية الدقة وذلك من أجل انزال جثة الميت براحة داخل القبر الذي يتميز بأشكال مختلفة من شبه المنحرف والمستطيل وأشكال منحنية مع وجود زوايا أكثر قوة ومتانة[1].

(1) Vegas and Mileto. C: 2005. P 161-162.

2 – المدافن الأرضية:

هذا النمط من المدافن يكون جماعياً بشكل عام، إذ يضم المدفن الواحد أفراداً ينتمون لأسرة واحدة.

تتنوع أشكال المدافن الأرضية، ويكون المخطط بشكل عام مؤلفاً من درج منحدر نحو بوابة خارجية وممر أو ردهة وبوابة داخلية وفناء ، ويكون الفناء على شكل ممر مستطيل تقع المعازب على جانبيه أو على جانب واحد تكون أسقف هذا النوع من المدافن إما مستوية، أو مقوسة.

تكون الأبعاد الداخلية في المدافن الأرضية بحسب عدد الأفراد أو مرتبطة بالحالة الاقتصادية للعائلة المالكة لها، أما الجدران الداخلية لغرفة الدفن فتكون مكسوة بمادة الجص، كما زينت برسومات جميلة وبألوان مختلفة تمثل الأشخاص الذين دفنوا في المدفن، أو تمثل مواضيع أسطورية مختلفة، وتوجد أيضاً زخارف ذات مواضيع كلاسيكية ومحلية مختلفة.

يوجد نوع آخر من المدافن الأرضية التي تتميز بوجود درج منحدر نحو باب الدخول حيث تليه غرفة واحدة أو عدة غرف، كما توجد في سماكة جدران الغرف أماكن مخصصة للدفن، وتتميز هذه المدافن بالغنى بالعناصر الزخرفية توجد أمثلة عديدة منها في تدمر وبصرى ودورا أوروبوس والشمال السوري...

آ – المدافن الأرضية في تدمر :

– مدفن الأخوة الثلاثة:

يقع هذا المدفن في المنطقة الجنوبية الغربية لمدينة تدمر، يعتبر المدفن الأكثر شهرة بين المدافن الأرضية.

أسّس المدفن حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي، من قبل الأخوة الثلاثة (مالئ، سعدي، ونعماي) قد أقاموا هذا المدفن على شرف أبيهم في العام 160 م لهم ولأبنائهم وأحفادهم.

وثمة كتابات باللغة التدمرية توثق عمليات بيع للمعازب والسماح للغير بالدفن فيها لقاء ثمن محدد، التي جرت من قبل المالكين عام 191، 241 م لم يرد في هذه الكتابات ثمن الدفن في هذا المدفن[1].

صمم مخطط هذا المدفن على شكل حرف T(انظر الشكل رقم 21) وكانت هذه الممرات الثلاثة تحتوي على صفوف من المعازب من كل جانب، وهذه المعازب مخصصة لاحتواء رفات الأموات ويبلغ عدد تلك المعازب 390 معزبة وتغلق تلك المعازب بلوحة حجرية تحمل نحتاً بارزاً للنصف العلوي للراقد في المعزبة ، بالإضافة إلى وجود توابيت حجرية تكثر المنحوتات الفنية على أسطحها الخارجية.

ومن الملفت للنظر كثرة عدد الراقدين في هذا المدفن، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن الأخوة الثلاثة قد أسسوا هذه المقبرة لتكون مثواهم الأخير وأفراد عائلتهم وورثتهم بعد الموت، ولكنهم فكروا في استثمارها تجارياً أثناء وجودهم على قيد الحياة وذلك لدفن العامة من الناس مقابل مبلغ معين من المال لم يرد في النقوش الكتابية كم كان هذا المبلغ[2].

ويعتبر هذا المدفن من أهم وأجمل المدافن بسبب ما يحتويه من الفريسكات الملونة ذات الألوان المشرقة التي تبعث في النفس السكينة والاطمئنان في موضع مليء برموز الموت والفناء ، التي نفذت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي من أشكال حيوانات في أسفل الصورة ومن شكل معين داخل مستطيل في أعلى الصورة ثم أشكال بشرية، وفي وسط المساحة المستديرة شكل نصفي لرجل أو

(1) همام، سعد: 2007، ص 51.

(2) Gawlikowski: 1970, P 119.

امرأة ، ثم يرى في يسار الصورة شكل امرأة وطفل وكان سقف المدفن مزيّن بالرسوم الجدارية الملونة التي تمثل الفن الهلنستي السوري، رسم الفنان جانباً من اسطورة أخيل وعوليس التي تتصل بمعتقدات الحياة والموت وسعي الإنسان للخلود ، كما رسم صوراً لربات النصر تحمل صور الموتى لتنقلها إلى جنات الخلود، بالإضافة إلى مجموعة من الزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية المتنوعة.

بالرغم من الاسلوب الهلينستي العام للرسوم إلا أن الذوق المحلي، والتقاليد الفنية الشرقية يتجليان بوضوح تام وخاصةً الميل رسم الأشخاص في وضع امامي [1].

– مدفن يورفا ويولحا:

اكتشف هذا المدفن عام 1992 م في المقبرة الجنوبية الشرقية من تدمر. أسس هذا المدفن عام 128 م من قبل الأخوين يورفا ويولحا، يتألف المدفن من درج منحدر يؤدي إلى المدخل يعلوه ساكف يحمل نقوش كتابية تتعلق بعمليات بيع للمعازب، وطنف مزخرف، المدخل مركب من قطعة حجرية واحدة.

أما مخطط المدفن من الداخل مؤلف من رواقين جانبيين ورواق مركزي يقع مقابل المدخل ، ويضم الرواق المركزي سريرين جنائزيين متقابلين وفي نهايته مصطبة يعلوها ثلاثة توابيت (الشكل رقم 22). الرواقين الجانبيين غير مستخدمين بشكل كامل، وقد بلغ عدد الأماكن المخصصة للدفن 72، دون الحفر الصغيرة المخصصة لدفن الأطفال ضمن ارضية المدفن[2].

مما يميز هذا المدفن عن غيره هو الأسرة الجنائزية كعادة تدمرية تبرز صاحب القبر في منتصف السرير الجنائزي محاطاً بأقرب أقربائه (زوجته، أولاده، وأخوه) في مشهد احتفالي.

(1) كريلنغ، كارل، الصور الفوتوغرافية الملونة للوحات الجدارية في مدن الأخوة الثلاثة بتدمر، ترجمة عدنان البني، الحوليات الأثرية العربية السورية مجلد 11 – 12، دمشق، 1961 – 1962، ص 133، 134.

(2) همام، سعد: 2007، ص 50، 51.

ب – المدافن الأرضية في دورا أوروبوس:

عثر في دورا أوروبوس على حوالي 950 مدفناً من المدافن الأرضية الجماعية منتشرة خارج الأسوار من الشمال إلى الجنوب[1].

مخطط هذه المدافن يتألف من درج منحدر يؤدي إلى المدخل الذي يأخذ شكل مستطيل أو على شكل قوس من الأعلى، يلي المدخل الغرفة الجنائزية مغطاة بقبو نصف اسطواني، وتحتوي جدران المدافن على عدد من المشكوات[*] توضع فيها الأواني الفخارية التي يوضع فيها رماد الميت، تسد فتحاتها بشواهد من الرخام أو الحجر الجبري، وكان اسم الميت يحفر على اللوحة أو الشاهدة التي تغلق القبر.

فعادة حرق الموتى، كانت موجودة في سورية خلال القرن الثاني قبل الميلاد وقد بدأت تتلاشى في نهاية القرن الأول الميلادي[2].

حصلت تغيرات في مدافن دورا أوروبوس في القرنين الثاني والثالث الميلاديين من حيث مخطط الغرفة المركزية وعدد المعازب، كما تم تدعيم الغرفة بدعامة كبيرة الحجم تقع وسط الغرفة من أجل تدعيم السقف، ومخطط الغرفة أصبح أكثر انتظاماً وأقرب للشكل المربع ،هذا الأمر ساعد على انتظام صفوف المعازب التي أصبحت أكثر عدداً ضمن الجدران الجانبية للغرفة. وأصبحت المعازب أكثر عرضاً كما هو الحال بالنسبة للمدفن (رقم 6)(انظر الشكل رقم 23) ، وشكل المعازب يأخذ شكل قبوة مخصص لدفن شخص واحد. [3]

هذه المدافن الأرضية عرفت نوعاً من الدفن، هو الدفن بالمعازب التي كانت أكثر عرضاً من المعازب التدمرية ولا تتسع إلا لشخص واحد، بينما المعازب في المنطقة الجنوبية تتسع لدفن اثنين فقط وكانت المعازب تغلق في دورا أوروبوس بشاهدة أو لوح رخامي بينما في تدمر بتماثيل نصفية تنوب عن المتوفى.

---

(1) ROSTOVTZEFF. M: 1946, P 1.

(*) المشكوات: مفردها مشكاة، وهي كوة غير نافذة أو محراب صغير يختص عادة لوضع تمثال أو مصباح.

(2) عارف، عائدة سليمان، مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت، 1972، ص 357.

(3) ,II, Oxford University, London ,TOLL. N. P :Excavations at Dura Europos 1946, P 17.

ج – مدافن عازار:

حفرت هذه المدافن ضمن الصخور الرملية وقد بلغ عدد هذه المدافن أربعة أشير إليها بالأحرف التالية (أ – ب – ج – د)، نظراً لعدم وجود نقوش كتابية على سواكف أبوابها للتعرف على أصحابها(1).

حيث جرت العادة في المدافن التدمرية الأرضية أن يكتب على الساكف أسماء المؤسس أو اسم صاحب المدفن ومثال على ذلك مدفن الأخوة الثلاثة ومدفن يورفا ويولحا(2).

يتألف مخطط هذه المدافن من :

1 – منحدر محفور ضمن الطبقة الرملية القاسية يحل محل الأدراج.

2 – المدخل المصنوع من حجر واحد خالي من أي زخرفة وكانت عملية الفتح تتم بطريقة السحب إلى الأعلى ، من خلال ثقب عند أطرافه العلوية يتدلى منه الحبل الذي يوضع لرفع الباب (الشكل رقم 24)، وتعتبر أبواب هذه المدافن نموذجاً جديداً في فن العمارة الجنائزية حيث لم يشاهد مثيل لها في تدمر وحوران وغيرها من المدن(3).

3 – البهو الداخلي: بني البهو على شكل مربع تحيط به القبور على طابقين في كل جهة من جهاته الثلاثة (الشكل رقم 25).

وقد أغلقت هذه القبور بحجر مربع الشكل(4)، حلت هذه الحجارة مكان التماثيل النصفية التي تمثل الميت مع ذكر اسمه واسم أبيه وجده في بعض الحالات مع كلمة واسفاه التي تغلق بها القبور ضمن المدافن الأرضية في تدمر(5).

وكان نظام الدفن ضمن هذه المدافن هو نظام الدفن ضمن القبور التي شيدت على طابقين. حيث يوضع الميت خلال مراسم الدفن بالقبر وكانت تغلق القبور بحجر منحوت وكانت جثة الميت موضوعة ضمن التابوت.

---

(1) صليبي، نسيب: 1976، ص129.

(2) البني، عدنان، صليبي، نسيب، مدفن شلم اللات في تدمر، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 7، دمشق، 1957، ص 25.

(3) صليبي، نسيب: 1976، ص 132، 133.

(4) المرجع نفسه, ص 131.

(5) GAWLIKOWSKI: 1970, P .

وعثر في القبر رقم 8 ضمن الطابق الأرضي في المدفن (د) على تابوت من الرصاص كبير الحجم بلغت مقاييسه 192×48×44 وضع داخل القبر، ويضم التابوت رفاة امرأة زينت عصبتها بوريقات ذهبية صغيرة لوجودها على مقربة من جبهتها، والرفاة عليها آثار ثنيات الثياب التي كانت ترتديها، ويوجد فوق القبر كتابة بسيطة لاسم (مرته) وهو اسم صاحبة القبر[1]، وهو اسم مؤنث ومن الأسماء السامية المعروفة في تلك الحقبة من العصر الروماني[2].

كما عثر في القبر رقم 4 على هيكل عظمي لمتوفى طاعن في السن دفن ضمن تابوت خشبي متآكل تماماً ، وعند أول القبر جرة فخارية مخروطية الشكل سطحها متعرج وعنقها مرتفع لها عروتان وهي رومانية العهد .

الأثاث الجنائزي:

إن اللقى التي عثر عليها إلى جوار المتوفين في هذه المدافن قليلة اقتصرت على :

1 – نفختين أو قارورتين من الزجاج العادي.

2 – المسامير ما تبقى من التابوت الخشبي الذي وضع فيه الميت.

3 – حلقتين من البرونز متآكلتين.

4 – قنينة زجاجية تشبه القنينات المكتشفة في مقبرة أم حوران.

5 – بعض البقايا الجبسية التي تحيط بالهيكل العظمي[3].

الخلاصة:

هذه المدافن كانت ملكيتها تعود لأشخاص على درجة من الإمكانات الاقتصادية والاجتماعية تسمح لهم بإنشاء مثل هذه المدافن.

ويلاحظ أن هذه الأسر كانت متماسكة حتى في العالم الآخر لأن هذه المدافن كانت جماعية مخصصة للعائلة حيث قسم المدفن إلى غرفتين خصصت الداخلية منها لدفن رب العائلة والمتقدمة منها تضم قبوراً في كل جانب لأفراد الأسرة.

---

(1) صليبي، نسيب: 1976، ص 133، 134.

(2) COUQAIS. R: Arados Et Sa Péré Aux Époques Grecque Romaine Et Byzantine, Paris, 1971, P227.

(3) صليبي، نسيب: 1976، ص 130– 136.

د – المدافن الأرضية في الكتلة الكلسية شمال سورية:

توجد هذه المدافن في المنطقة الشمالية الغربية من سورية (المدن الميتة) في الهضبة الكلسية وتعتبر من أقدم الأبنية الجنائزية فهي مؤرخة بين القرنين الأول والثاني الميلادي.

هذا النمط من المدافن يكون جماعياً بشكل عام، حيث يضم أفراداً لأسرة واحدة، وتكون الأبعاد الداخلية في المدافن الأرضية مرتبطة بالحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وبحسب عدد الأفراد للعائلة المالكة لها.

فيما يخص داخل المدافن فهي ليست جميعها متشابهة من حيث التنظيم، وغنى الزخرفة، ففي مدفن المغارة (منطقة جبل الزاوية)، يوجد داخله رواق مركزي تفتح على جانبيه أربعة حجرات جنائزية، ونظام الدفن المستخدم في هذا المدفن المصاطب والمعازب، حيث تحتوي كل حجرة على ثلاثة توابيت توضع فوق المصاطب، وفي نهاية الرواق يوجد ممر يحتوي جداره على أعمدة نصفية يعلوها تيجان أيونية وكورنثية، وهذا الممر يؤدي إلى حجرة خلفية مجهزة بصفوف من المعازب ضمن الجدار الشمالي[1].

يوجد نوع آخر من المدافن الأرضية التي تتميز بوجود درج منحدر نحو باب الدخول يتقدمه رواق ثنائي أو رباعي الأعمدة، أو يتقدم المدخل قوس كبير (الشكل رقم 26) يلي المدخل غرفة واحدة أو عدة غرف كما توجد في سماكة جدران الغرف أماكن مخصصة للدفن[2].

أما الجدران الداخلية لغرفة الدفن فتكون مكسية بمادة الجص، وقد تم تنفيذ رسومات جميلة وبألوان مختلفة عليها، تمثل الأشخاص الذين دفنوا في المدفن، أو تمثل مواضيع أسطورية مختلفة، كما توجد عناصر زخرفية أخرى تزين المدفن مثل التيجان المحمولة على الأعمدة ، أو وجود منحوتات نصفية لأشخاص وهذا ما نجده في فركيا والمغارة في جبل الزاوية[3].

هناك تركيب يتعلق بداخل الغرفة الجنائزية حيث يوجد ثلاثة قبور حجرية معقودة (Arcoslium) متوضعة داخل الغرفة وهذا النمط هو شائع الاستخدام في المنطقة الشمالية وهو أكثر شيوعاً (الجزء الشرقي من جبل الزاوية، تل فريكة) هذا الأسلوب له صلة بالتقاليد المحلية[4].

(1) GRIESHIMER. MCi:metières Et Tombeaux Des Villages De La Syrie Du Nord, Syria, LXXIV, Beyrouth. P 169.

(2) عبد الكريم، مأمون، القرى الأثرية في الكتلة الكلسية شمال سورية، دليل أثري رقم 9، 2011، ص 45.

(3) المرجع نفسه، ص 45، 46.

(4) GRIESHIMER. M: 1997, P 178.

بالإضافة إلى المدافن الأرضية المذكورة، هناك نوع آخر مختلف في شكله يتمثل بوجود مدفن مزود بعناصر معمارية متنوعة من الخارج تشير إلى وجوده، وتحمل كتابات حول اسم وتاريخ وفاة الشخص، يتنوع هذا النمط بأشكال مختلفة منها:

1 – مدفن مزود من الخارج بعمودين على بعد عدة أمتار يحملان ساكف نقشت عليه كتابة وهذا يوجد في موقع قاطورة أو ست الروم في منطقة قلعة سمعان. (انظر الشكل رقم 27)

2 – مدفن مزود من الخارج بأربعة أعمدة تحمل سقف، ويوجد هذا النمط في دانا الشمالية في إدلب، ويعود تأريخه إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي.

3 – مدفن مؤلف من مصطبة حجرية مربعة الشكل، توجد ضمنها قبور الدفن ، وتعلو هذه المصطبة أربعة أعمدة تحمل سقفاً على النمط الكلاسيكي، وزخارف كلاسيكية ومحلية يكون السقف على شكل هرمي مثال على ذلك مدفن براد في شمال جبل سمعان[1] (الشكل رقم 28).

هـ – المدافن الأرضية في الجنوب السوري:

من خلال دراسة هذه المدافن يمكن أن نميز منها ثلاثة أشكال:

1 – مدافن أرضية يمكن الوصول إليها من خلال إحدى الواجهات (لا تحتوي درج)[2].

2 – مدافن أرضية تتألف من درج يفضي إلى المدفن الذي يحتوي باب حجري بدرفة واحدة، ومن ثم الغرفة الجنائزية في جدارها الأيمن صفان يحتوي كل صف ثلاثة معازب، وفي الأيسر صف واحد من ثلاثة معازب أو كوى توضع فيها التوابيت أو جثث الموتى[3].

3 – مدافن أرضية مزودة بالإضافة إلى قسم الدفن بمصطبة مربعة مدرّجة بعدة درجات كما في مدفن قنوات في جنوب سورية، أو يكون على شكل مصطبة مثمنة الشكل مع وجود غرفة الدفن في وسطها (موقع شقا في جنوب سورية) أو مصطبة دائرية الشكل كما هو موجود في بصرى[4] (الشكل رقم 29).

---

(1) عبد الكريم، مأمون، 2011، ص 45، 46.

(2) SARTRE .M: Des Tombeaux et Des Morts En Syrie Du Sud, I, Bayreuth, 2001, P 130.

(3) أبو عساف، علي، الآثار في جبل حوران، دمشق، 1997، ص 75، 76 .

(4) عبد الكريم، مأمون، 2011، ص 45، 46.

عرفت هذه المدافن نوعين للدفن هما المعازب والقبور الحجرية المعقودة حيث يتسع صف المعازب في المنطقة الجنوبية لدفن اثنين فقط وهو أكثر عرضاً من معازب تدمر، وتغلق المعازب شاهدة أو لوح حجرية، بينما المعازب في المدافن التدمرية تغلق بواسطة تماثيل نصفية تنوب عن المتوفى[1]

أما فيما يتعلق بنظام القبور الحجرية المعقودة فهو غير مستخدم ضمن المدافن التدمرية ، ويستخدم هذا النظام في المدافن الأرضية في المنطقة الشمالية، ويعد أكثر شيوعاً من حيث دفن الموتى.

ويلاحظ في مدافن المنطقة الجنوبية استخدام النظامين معاً المعازب والقبور الحجرية كما هو الحال في مدفن قنوات (كاناثا: Canatha).

يوجد داخل الغرفة الجنائزية قبر حجري معقود يعلوه قوس مقابل المدخل وصفين من المعازب على طول الجدران الجانبية[2].

(1) SARTRE.M: Architecture Funeraire De La Syrie, Saurb Ruck, 1989, P 430.
(2) SARTRE.M: Tombeaux Antiques De Syrie Du Sud Syria, Lx, Paris, 1983, P 87.

3 – المدافن الصرحية (Mausoleum):

يتميز هذا النمط بالتنوع الكبير، إذ نجد أشكالاً عديدة في مناطق مختلفة من سورية عائدة إلى الفترة الرومانية ، وتحمل تأثيرات مختلفة كلاسيكية أو محلية شرقية.

هذه الأشكال من المدافن تشترك في طريقة الدفن حيث تكون عملية الدفن والصرح المعماري جميعاً موجودة فوق سطح الأرض، لكن يكمن الاختلاف في شكل الصرح الجنائزي الخارجي.

1 – المدافن البرجية:

تعتبر المقابر التي شيدت على هيئة ابراج من ابتكارات شعوب بلاد الشام ، وذلك لأن مثيلاتها موجودة بكثرة في منطقة الفرات وفي حوران .

وتوجد أهم المقابر البرجية في الجانب الغربي من تدمر في المنطقة المسماة وادي القبور[1]. وقد تناول الكثير من الباحثين موضوع أصل البرج الجنائزي. قام بإحدى هذه الدراسات س. واتسنغر الذي ذكر في دراسته حول استخدام البرج الجنائزي، على أنه طقس ينسب إلى العرب البدو وقد انتقل هذا الطقس واستمر مع هؤلاء أثناء انتقالهم إلى المناطق المجاورة التي استقروا فيها، وكذلك ربط واتسنغر بين هذه الأبراج الجنائزية والأبراج الفارسية[2]، ولكن الأبراج الفارسية لم تستخدم كمدافن بل كأبنية سكنية هجرت من قبل الفرس في نهاية القرن السادس ق.م[3].

كما ربط هذا النوع من الأبراج بالمباني التي تحمل صفات عسكرية من أجل المراقبة ومتابعة حركة القوافل، ويمكن أن تستخدم لأهداف استراتيجية عسكرية[4].

وتعد المدافن البرجية التدمرية الأكثر شهرة، ومن أقدم المدافن في سورية، فهي مؤرخة من عام 9 ق.م حتى عام 128 م واستمرت هذه الأبراج في الاستخدام حتى القرن الثالث الميلادي[5].

فيما يتعلق بالمدفن البرج في تدمر فأنه كان من مبتكرات المعماريين التدمريين.

وتتميز هذه المقابر بأنها مربعة الشكل ومؤلفة من عدة طوابق وكل طابق يحتوي العديد من الدفينات، وهناك درج يصعد من طابق إلى أخر.

---

(1) فخري، أحمد، بين آثار العالم العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1958، ص 56.

(2) WATZINGER. C: Die Nekropolen, Berlin, P 83.

(3) Will: 1949, P 302.

(4) عبد الكريم، مأمون: 2009، ص 120.

(5) سعد، همام: 2007، ص 28.

وقد مر هذا النوع من المدافن بمراحل متعددة من التطور، وكانت هذه المدافن في البداية على جانب من البساطة من حيث حجرها وتفاصيلها المعمارية، ومعازب الدفن فيها مفتوحة نحو الخارج.

ازدادت المدافن الأبراج جمالاً وسعة واتقاناً، وأصبحت تضم في داخلها أربعة أو خمسة طوابق وتتجاوز العشرين متراً في ارتفاعها ، وتتسع لمئات من القبور الجدارية ولها أحياناً طابق تحت الأرض وكان ذلك في نهاية القرن الأول الميلادي.

وجدير بالذكر أن أكثر هذه المقابر مزين بالزخارف والصور المنفذة بواسطة النحت أو الالوان(1).

وأفضل النماذج الباقية في تدمر عن المدافن البرجية مدفن ايلابل ومدفن يمليكو وكلاهما في وادي القبور الشهير وقد سميا باسم مؤسسيهما.

أ- المدافن التدمرية البرجية:

- **مدفن ايلابل(*):**

من أشهر وأكبر المدافن البرجية في تدمر (الشكل رقم 30)، يعرف باسم قصر العروس، يعود تاريخ بنائه إلى عام 103 م، وكان ملكاً لأخوة أربعة هم ايلابل – وشاكي ومعني ومقيمو وهم أولاد وهب اللات بن معني، وكان لهذه الأسرة مكانة رفيعة في تدمر وساهمت في ازدهار المدينة(2).

المدفن يتألف من أربعة طوابق، مدخله من الجهة الجنوبية، يحتوي على طابق أرضي فيه قبور أرضية (Hypogeum) ومدخله من جهة الشمال ، فوق البوابة نقشت كتابة تشير إلى اسم العائلة التي تملكه وتاريخ بنائه.

وهذا المدفن كان للاستثمار التجاري يتسع لـ 300 ميتاً.

وكان سقف المدفن ملوناً فيه مربعات منقوشة وملونة، وأطرافه مزينة بعضائد كورنثية محددة وبتماثيل لأعضاء الأسرة وهم يجلسون على السرير الجنائزي، وكانت الطوابق الأخرى أبسط شكلاً وكان الطابق الثاني مزيناً بشرفة كان فيها سرير جنائزي(3).

---

(1) البني، عدنان، تدمر والتدمريون، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1978، ص 167.

(*) هو البرج الذي يحمل الرقم 34 الموجود في القسم الشرقي من وادي القبور عند أطراف جبل الحسينية.

(2) البني، عدنان: 1978، ص 168.

(3) GAWLIKOWSKI. M: 1970, P 93.

– مدفن يمليكو:

وهو من أهم المدافن بعد مدفن ايلابل في تدمر ،ويقع جنوبي وادي القبور، ويعد من أوائل المدافن البرجية التي بنيت، ويعود تاريخ تأسيسه إلى عام 83 م .

ويعتبر من أكبر المدافن المجاورة له في الارتفاع وأغناها في الزخرفة والزينة التي تشتمل على زخارف هندسية وزخارف نباتية متنوعة ورسوم جدارية, فيه أيضاً أعمدة كورنثيه وله افريز جميل، بقي منه ثلاثة طوابق ويحتوي على 200 قبر[1].

---

(1) كلينغل ،هورست: 1985، ص 254.

ب– المقابر البرجية في منطقة الفرات :

– دورا أوروبوس:

عثر في مدينة الموتى التي تقع غربي المدينة خارج السور، على بقايا لسبعة أبراج تعرف باسم البرج A، B، C، D، E، F، G، تتألف من طوابق عدة، في كل طابق عدد من المعازب التي يوضع فيها الميت ضمن تابوت يغلق التابوت بغطاء ينحت عليه صورة المتوفى حاملاً الصفة أو المهنة التي كان يقوم بها في مجتمع دورا أوروبوس(1).

يتألف مخطط البرج في دورا أوروبوس من بناء مربع الشكل(انظر الشكل رقم 31) على قاعدة مدرجة مجهزة من الخارج بعدد من المعازب (Loculi) الخارجية، تقع البوابة في إحدى واجهات القاعدة، ويحتوي المدفن على قبو أرضي وكذلك درج ملتف ، ولكن لا يوجد في دورا أوروبوس أي برج حافظ على جزئه العلوي(2).

وتتصف الأبراج في دورا أوروبوس بالبساطة والتقشف على عكس الأبراج التدمرية من حيث تقنية البناء والزينة، وتأخذ المعازب في أبراج دورا أوروبوس شكل القبوة.

ومعلوماتنا عن حركة التطور التي مرت بها المدافن البرحية في دورا أوروبوس غير واضحة وتبقى ناقصة، والسبب في ذلك هو قلة الأبراج المحفوظة.

ولكن هذا النمط من المدافن بدأ في الظهور في دورا أوروبوس بعد أن تخلى التدمريون عنه حيث نجد أن آخر برج جنائزي تدمري يعود تأريخه إلى 128 م، وبينما أقدم برج جنائزي في دورا أوروبوس مؤرخ يعود للعام 160م ، كما أن أحجام الأبراج الجنائزية في دورا صغيرة بالمقارنة مع أحجام الأبراج التدمرية(3).

---

(1) Rostovtzeff. M: The Excavtions At Dura – Europos Preliminary Report Of The Ninth Season Of work, 1935 – 1936 Part 11, the Necropolis, Newhaven, London, Oxford, 1946, P 1.

(2) Will: 1949, P 260.

(3) Ibid, P 261.

- جبل الباغوز(*):

انتشر هذا النمط المعماري من المدافن في جبل الباغوز أيضاً، ولا زالت بقايا خمسة أبراج جنائزية موجودة هناك (الشكل رقم 32).

حيث كانت الأبراج مبنية من كتل جبسيه غير منتظمة، ويكون أساس البرج عبارة عن قاعدة مدرجة ويقع المدخل في إحدى زوايا البرج، ويحتوي البرج على درج ملتف يصل إلى الأعلى، واجهات هذه الأبراج مؤلفة من أعمدة مدمجة في جسم البرج من الجهات الأربعة ويعلو بعض هذه الأعمدة تيجان أيونية وكورنثية كما استخدم الملاط الأبيض في تزيين البرج من الداخل والخارج[1]. (الشكل رقم33).

ويمكن القول أن الأبراج الجنائزية في جبل الباغوز قريبة الشبه من بعض الأبراج التدمرية، من حيث وجود المعازب الخارجية والدرج الملتف الذي عرفته أبراج تدمر البدائية، ويختلف شكل المعازب بين أبراج الباغوز التي تأخذ شكل قبوة بينما في تدمر تأخذ شكل مربع، وكذلك أحجام الأبراج صغيرة بالمقارنة مع أحجام الأبراج التدمرية[2].

- حلبية وزلبية:

انتشرت الأبراج الجنائزية خارج أسوار هذين الموقعين في الشمال والجنوب ، ويبلغ عدد بقايا الأبراج الجنائزية ثلاثين برجاً، منها ما يزال محفوظاً على ارتفاع طابقين أو ثلاثة في حين أن عدداً كبيراً لم يبق منها إلا القاعدة[3].

ولم يتم العثور على أي برج جنائزي مؤرخ من خلال نقش كتابي[4]، ولكن الباحث ن. ب. تول يرجح تاريخ هذه الأبراج الجنائزية إلى القرن الثالث والرابع الميلادي وذلك من خلال الأسلوب التدمري الواضح في هذه الأبراج مثل الزينة التصويرية ونوعية الملاط المستخدم داخل الأبراج، ولاعتقاده أن المدينة تأسست من قبل الملكة زنوبيا في القرن الثالث الميلادي[5].

(*) يقع مقابل البوكمال على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وهو عبارة عن سطح محدد بجرف من الغرب إلى الشمال مركب من صخور جبسية.

(1) CLAUSS. P: Les Tours Funéraire Du Djebel Baghouz, Syria Tome 79, Beyrouth, 2002, P 155-160.

(2) TOLL. N. P: Excavations At Dura Europos, II, oxford University, London, 1945, P 140.

(3) WILL: 1949, P 260.

(4) CLAUSS; 2002, P 163.

(5) TOLL: 1946, P 14,16.

أما مخطط الأبراج في حلبية زلبية فهو مؤلف من قاعدة مدرجة، ضمت معازب خارجية، ويقع المدخل في إحدى زوايا البرج ومن ثم يوجد ممر يفضي إلى الطابق الأرضي، وهو عبارة عن غرفة مربعة الشكل تقريباً، تحتوي على ثلاثة قبور حجرية بدلاً من المعازب.

أما الزخرفة والعناصر التزينية لأبراج حلبية زلبية فهي مشابهة لأبراج منطقة الفرات الأوسط من حيث الأعمدة النصفية المدمجة مع جسم البرج من الخارج وفي الزوايا، وكذلك استخدم الملاط الأبيض في تزيين البرج من الداخل والخارج(1).

ج- المقابر البرجية في الجنوب السوري:

يمكن التأكد من وجود هذا النمط المعماري من الأبراج الجنائزية في منطقة جنوب سورية، من خلال كتابات الرحالة الذين زاروا سورية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولسوء الحظ فإن أغلب هذه الأبراج قد اختفت(2) (الشكل رقم 34).

توجد بقايا لبرج جنائزي دائري الشكل، في المقبرة الغربية من مدينة بصرى وهو مبني من حجارة بازلتية مشذبة بعناية (الشكل رقم 35) ، لم يتم العثور على كتابة تأسيسية تؤكد الفترة التي بني فيها، ولكن يمكن أن ننسبه إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي، وذلك من خلال تقنية البناء وتشذيب الحجارة(3).

يتألف البرج من قاعدة دائرية ، وله بوابة في الجهة الشمالية الشرقية ويبلغ قطره 5,50م من الخارج ومن الداخل 3.25 م، وداخل البرج غرفة خالية من التجهيزات الجنائزية، وليس هناك ما يدل على وجود درج أو طوابق علوية(4)، كما أن البناء في حالة من الخراب وبالتالي من الصعب التكهن عن تفاصيله، لكن يمكن من خلال تقنيات البناء إعادته إلى العصر الروماني(5).

إن النمط الدائري لهذا البرج غير معروف ليس فقط في تدمر، وإنما حتى في منطقة الفرات الأوسط، على الرغم من أن الفترة التي أرخ فيها هي معاصرة لأبراج الفرات (حلبية) أكثر من تدمر.

كما انتشر نمط خاص من الأبراج الجنائزية لا نجد أمثلة له إلا في حوران (الصنمين، بصرى الحريري، أزرع) . يعرف هذا النمط باسم برج الحمام ، إن هذا الطابع لأبراج الحمام مؤكدة من خلال

---

(1) سعد، همام: 2007، ص 107.

(2) WILL: 1949, P 263.
(3) SARTRE. F. M: 2001, P 34.
(4) Ibid, P 34, 35.

(5) عبد الكريم، مأمون: 2009، ص 122، 123.

الكتابات الإغريقية التي تدل على اسم مالك البرج مترافقة في الأعلى بالكلمة الإغريقية Hyperthen التي تعني برج الحمام[1]. (انظر الشكل رقم 36)

عموماً أن الأسباب الحقيقية لابتكار هذا التركيب ما زالت حتى الوقت الحاضر صعبة الإدراك[2].

أما الأبراج الجنائزية في قنوات (كاناثا Canatha) فهي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين. فهي تتصف بمخططها المربع الشكل، مبنية من حجارة بازلتية مشذبه، مداخلها تعلوها أقواس نصف دائرية يلي المدخل غرفة داخلية تحتوي على المعازب المجهزة ضمن الجدران الجانبية ، وتأخذ شكل مربع تتشابه مع معازب تدمر [3].

لا يمكن دراسة الطوابق العليا بسبب حالة الخراب التي تعرضت لها تلك الأبراج، ما عدا البرج الذي يحمل رقم 6B الذي يقع غربي قنوات. مخطط البرج مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 5,90 م، و ارتفاعه 5 م، يقع مدخله ضمن الواجهة الشمالية بعرض 1,53 م.

نشاهد في الجزء العلوي كورنيش بسيط بارز عن جسم البرج، ومن ثم يعلوه صفان من الحجارة، داخل البرج مؤلف من غرفة مربعة الشكل دون أي تجهيزات جنائزية، سوى نافذة صغيرة متواضعة ضمن الجدار الغربي، وبعض المشاكي الصغيرة أيضاً ضمن الجدار الشمالي غير أن وظيفة هذه المشاكي غير معروفة (ربما كانت مخصصة لوضع التماثيل أو السرج)[4].

أما سقف الغرفة فهو مبني من بلاطات حجرية مستطيلة الشكل مستندة على دعائم حجرية كبيرة الحجم، ضمن السقف في الزاوية الجنوبية الشرقية توجد فتحة صغيرة الحجم تسمح بالصعود للطابق العلوي، إلا أنه لا يوجد درج يصل لهذه الفتحة، على الأغلب كان يتم استخدام سلم خشبي للصعود، يلاحظ هنا أن المخطط مختلف عن أبراج تدمر وأبراج الفرات التي كانت تحتوي على درج حجري يصل بين الطوابق العلوية[5].

ونجد أمثلة على هذا النمط من المدافن أيضاً في المجدل وريمة اللحف الذي يعود إلى منتصف القرن الثالث أما المدفن البرجي في المجدل يعاصر أبراج منطقة قنوات[6].

---

(1) SARTRE. M: 1989, P 443.
(2) SARTRE. M: 2001, P 149.
(3) WILL: 1949, P 264-265.
(4) SARTRE: 2001, P 130-134.
(5) Ibid, P 130-132.

(6) أبو عساف، علي: 1997، ص 76، 77.

2 – المدافن المعبدية:

ظهرت هذه المدافن في بداية القرن الثاني الميلادي، يكثر تواجد هذا النمط من المدافن في منطقة المدن المنسية في الشمال السوري (دير المشمش في جبل سمعان وكذلك في رويحة في جبل الزاوية)، وانتشر أيضاً في تدمر وريف دمشق وكذلك في حمص والجنوب السوري (اللجاة، وشهبا) هذه المدافن كانت كلها متشابهة من حيث مخطط البناء ويكمن الاختلاف في الاحجام والزخرفة[1].

تباينت أسماء هذا النوع من المدافن، سميت المدافن المعبدية، المدافن المنزلية، أو المدافن المعابد والسبب في هذا الاسم الذي أطلق عليها هو التشابه بين مخططاتها ومخططات المنازل أو المعابد[2]. أغلب هذه المدافن مؤلف من طابق واحد، يتقدمه مدخل مركب من باب حجري منحوت، وهذه المدافن تتصف بغنى الزخرفة المعمارية والزينة ومنها الزخارف الهندسية والنباتية واللوحات الجدارية والمنحوتات الجنائزية، كما تتمتع بالواجهات الجميلة مقارنة مع الواجهات في الأبراج الجنائزية التي تتصف بالتقشف والزهد[3].

انتشر هذا النوع من المدافن بشكل خاص في تدمر، ومن أهم المدافن المنزلية المدفن رقم /86/ الذي يعرف باسم هيكل الموتى (الشكل رقم 37) الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية من معسكر ديوقلسيانوس, يعد المدفن رقم /86/ من أهم المدافن في تدمر شهرة، يقع فوق مصطبة مع درج، يبلغ طول المدفن 18,50 م، وعرضه50، 15 وارتفاعه 2 م[4]، واجهة المدفن عبارة عن رواق بستة أعمدة أعمدة كورنثية يعلوها جبهة مثلثة تتجه نحو الشرق وهناك في كل زاوية من المدفن عضائد مزخرفة بنبات الأكانتوس يعلوها تاج كورنثي[5].

يقول الباحث غافليكوفسكي إن هذا المدفن كان يتألف من ثلاثة طوابق، طابق أول (أرضي)، طابق ثاني، بالإضافة إلى القبو ، ولهذا المدفن مدخل واحد يقع في واجهة الطابق الأرضي[6].

---

(1) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 111.

(2) سعد، همام: 2007، ص 61.

(3) YON. J. B: Les Notables De Palmyre, Thése, Fascicule II, Paris 1999, P. 463.

(4) الأسعد، خالد، دهمان، ربيع، تقرير أولي عن أعمال بعثة الترميم في تدمر 1969، الحوليات الأثرية السورية، مجلد 23، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1973، ص 160، 161.

(5) المرجع نفسه، ص 161.

(6) GAWLIKOWSKI: 1970, P 142.

بينما أظهرت أعمال التنقيب من قبل بعثة الترميم في تدمر عام 1969 أن المدفن رقم /86/ مكون من طابق أرضي وقبو فقط ، وأكدت أيضاً أن مدخل المدفن مؤلف من باب أوسط وبابين جانبين، الباب الأوسط أكبر حجماً من البابين الجانبين، أما فيما يخص مدخل القبو، فإنه يقع موازياً لمدخل الطابق الأرضي في الجهة الغربية الذي نصل إليه من خلال درج مؤلف من 8 درجات ، يأخذ القبو شكل مستطيل في داخله صفوف المعازب الجانبية حيث بلغ عدد القبور فيها 30 قبراً، وكان هناك أيضاً خمسة محاريب كانت مخصصة لوضع أسرة جنائزية.

ولم يتم العثور على كتابة تأسيسية لهذا المدفن وبالتالي يبقى تاريخ تأسيسه واسم صاحبه مجهولين بالنسبة لنا.

تؤكد بعثة الترميم أن هذا المدفن يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي من خلال مقارنة تقنية الزخرفة والبناء في هذا المدفن مع تلك الموجودة في مدفن مارونا المؤسس عام 236م[1].

ومن المدافن المعبدية مدفن يعرف باسم المدفن 36، تم الكشف عنه في الفترة الواقعة ما بين عام 1981 – 1983 م.

ويعتبر هذا المدفن من المدافن الفريدة بعمارته وغنى زخارفه، ولا يوجد له مثيل من الفترة الإمبراطورية الرومانية.

يقع المدفن في المقبرة الغربية المعروفة باسم وادي القبور.

كانت أعمال التنقيب في هذا المدفن من قبل بعثة ألمانية – سورية مشتركة، واستمرت الأعمال حتى عام 1983 م[2].

يتألف مخطط المدفن من بناء مربع الشكل (الشكل رقم 38) يتألف من طابقين: طابق تحت مستوى الأرض (قبو) وطابق ارضي، مدخل المدفن مؤلف من ثلاثة أبواب، يتشابه هذا المدفن مع المدفن رقم 86 من حيث تقنية البناء ، والزخرفة والبهو الداخلي، والرواق المؤلف من أعمدة على الطراز الكلاسيكي، ومعازب الدفن والمصاطب المخصصة لحمل الأسرة الجنائزية للعائلة[3].

(1) الأسعد، خالد، دهمان، ربيع: 1973، ص 162.

(2) سعد، همام: 2007، ص 69.

(3) الأسعد، خالد، تقرير أولي عن المدفن 36 في تدمر، الحوليات الأثرية السورية، مجلد 33، ج 2، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1983، ص 124.

بني المدفن 36 من الحجارة الكلسية القاسية والطرية، يبلغ طول المدفن 18 م، وعرضه 18 م. ويعتبر المدفن الأكبر من نوعه المعروف حتى الآن في تدمر، والأغنى بعناصره الزخرفية الهندسية والنباتية المتنوعة والصور الجدارية(الفريسك) والزخارف الإنسانية والحيوانية التي كانت تزيّن واجهته الرئيسية[1].

تتوضع المعازب ضمن المدفن ويبلغ عددها في الطابق الذي يقع تحت الأرض 29 معزبة ، وكل صف من المعازب يحتوي على ثلاثة قبور باستثناء صفين من المعازب يبدو أنها كانت تحتوي أكثر من ثلاثة قبور.

والنظام المتبع في بناء صفوف المعازب ضمن هذا المدفن هو نفس النظام المتبع في الأبراج الجنائزية من الأسفل باتجاه الأعلى إلا أن الاختلاف هو نظام قطع الأجر التي كانت تفصل بين كل قبر ضمن المعازب، ففي هذا المدفن استخدمت بشكل عرضاني بدلاً من الشكل الأفقي وهو المدفن الوحيد الذي اتبع هذا النظام[2].

فيما يخص تاريخ بناء هذا المدفن فقد عثر على نقوش تدمرية كان من بينها نقوش كتابية تخص المدفن 36 أشارت إلى الشهر الذي أسس فيه المدفن، وهو شهر تشرين الثاني كذلك اسم أحد الأشخاص يدعى ورود Worod وهو من طبقة الفرسان، وعضو في مجلس شيوخ المدينة، وكان كاهناً في معبد بل، وهذه النقوش التدمرية التي تخص هذا المدفن أرخت ما بين 255 – 271 م ، وهي الفترة التي توقفت معها حركة تشيد المدافن المنزلية، كذلك الفترة التي خرب فيها المدفن من قبل جنود أورليانوس عام 273 م.

وبناء على ما تقدم يمكن التأكيد بأن تاريخ تأسيس المدفن كان قبل 255 م خصوصاً بعد أن تبين أن ورود هذا هو من الورثة أو ورثة الورثة لصاحب المدفن ، فالعناصر الزخرفية والتزينية للبناء سمحت بتأريخه ما بين العام 210 – 220 م[3].

إن هندسة البنا وتزييناته، وكذلك اللقى الآثارية، قد كشفت لنا عن واقع تاريخ معقد جداً على صعيد العلاقات الداخلية والاستقلال الداخلي بين تدمر والامبراطورية الرومانية، وهذا ما لم تقدم المصادر الأدبية القديمة معلومات عنه ألا وهو: الاحتكاك المتزايد مع العالم الروماني، وانتعاش التقاليد المحلية الأصلية[4].

---

(1) سعد، همام: 2007، ص 69.

(2) الأسعد، خالد: 1983، ص 128.

(3) همام، سعد: 2007، ص 72.

(4) كولينه، شميت، تدمر، ترجمة خالد الأسعد، معرض الآثار السوري الأوروبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 139، 140.

وكـذلك يوجـد هـذا الـنمط مـن المـدافن فـي منطقـة ريـف دمشـق. مثـل مـدفن اللولبـة (صيدنايا 2)، وهو المدفن الصرحي الوحيد في ريف دمشق. ويعتقد أنه كان لرومان من الحامية التي كانت موجودة في المنطقة وكان أفرادها من الرومان والسوريين الذين حصلوا على المواطنة الرومانية (انظر الشكل رقم 39).

ويعتبر هذا المدفن من المباني الكاملة التي تعود للعصر الروماني، لا يحتوي على أي كتابة تذكر تاريخ البناء واسم صاحب المدفن.

مخططه مربع الشكل طول ضلعه 9,40 م، وارتفاعه حوالي 7,80 م ، بني هذا المدفن على مصطبة عرضها متران وارتفاعها 1,55 م مؤلفة من ثلاث درجات ، يقع المدخل في الضلع الجنوبي أبعاده 2,55 م × 1,55 م، يعلوه كورنيش صغير مزخرف بزخارف بسيطة، يؤدي المدخل إلى الصالة الداخلية التي تحتوي على أربعة أواوين مسقوفة بقبوة متصالبة ، وهناك درج يؤدي إلى السطح ، ضمن الغرفة كانت توضع التوابيت ربما على مصاطب أو بشكل مختلف، وربما كانت توضع التوابيت في الأواوين الأربعة[1].

كذلك انتشر هذا النمط في المنطقة الشمالية الغربية من سورية (المدن المنسية) كالمدفن المعبدي في رويحة في جبل الزاوية (الشكل رقم 40) ، ويتألف هذا المدفن من مصطبة فوقها توجد غرفة مستطيلة الشكل تحمل سقفاً جملوني مبنياً من الحجر، وهذا المدفن على هيئة معبد كلاسيكي ذي رواق مؤلف من أعمدة على الطراز الكلاسيكي، كما يحمل هذا الرواق جبهة مثلثية ، يتواجد ضمن المدفن قبور الدفن أو النواويس، يعود تاريخ هذا المدفن للقرن الثاني الميلادي .

ويخصص هذا النوع من المدافن عادة للناس المهمين جداً لأن تكاليف بنائه مرتفعة جداً[2].

وتقنيات البناء تشبه التقنيات في المناطق الجنوبية من سورية، أما الزخرفة في هذه المدافن فهي كلاسيكية الأصل وهي غنية بالزخارف المؤلفة من الأعمدة والتيجان أو الجبهات المثلثية، وكذلك توجد محاريب وأفاريز من الطراز الكلاسيكي الغنية بالزخارف، وكذلك النقوش الإنسانية النافرة[3].

ويلاحظ وجود هذا النوع من المدافن المعبدية في الجنوب السوري (اللجاة وشهبا)، وهو دليل على النشاط العمراني الواسع في العهد الروماني، الذي برز بشكل خاص في المدافن المنزلية، وهو شاهد على الرفاهية.

ولم ينجم ذلك عن المحصولات الزراعية فقط، وإنما من التجارة البعيدة في المقام الأول التي شارك فيها جبل العرب كمحطة مرحلية مع المحطة الرئيسية Kanath وهي مدينة القنوات[4].

(1) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان: 2013، ص 181.

(2) عبد الكريم، مأمون: 2011، ص 48-84.

(3) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 113، 114.

(4) فريبرجر، ك. إس، حوران (البعثة الألمانية)، معرض الآثار السوري الأوروبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1996، ص 135.

3 – المدافن الهرمية:

نجد هذا النمط من المدافن في الشمال السوري (المدن المنسية)، وأيضاً في مدينة حمص وكذلك في الهرمل في لبنان.

يتألف هذا الصرح المعماري من طابقين ومغطى بسقف على شكل هرم[(1)].

ومن أهم المدافن التي تحمل شكلاً هرمياً :

أ – الضريح الجنائزي في براد[(*)]:

يعد هذا المدفن من أهم المباني الجنائزية التي تعود للعصر الروماني، ويرجع تاريخه للقرن الثاني الميلادي.

ويتألف هذا الضريح من أربعة أقواس من الطراز النموذجي الروماني السوري، وهي تحمل سقفاً هرمياً ميول جوانبه متوسطة، وضمن الغرفة الجنائزية يوجد خمسة نواويس، واثنان على المنصة، يقول باتلر أنه «أول قبر من هذا الطراز الخاص من المباني، والأكثر ترفاً بينها» حيث استمر بناؤه خلال القرن الرابع الميلادي في سورية.

ب – المدفن الهرمي في البارة[(**)]:

يتألف هذا المدفن من غرفة مبنية على سطح الأرض يعلوها شكل هرمي نحتت على واجهاتها زخارف متنوعة، وضمن المدفن توجد الغرفة الجنائزية التي تحتوي عدة توابيت حجرية.

ويتشابه هذا المدفن مع المدافن الموجودة في قرية سرجيلا من حيث مخطط وطريقة البناء[(2)] (أنظر الشكل رقم 41).

بالمقارنة بين المدافن الجنائزية في قرى الهضبة الكلسية يلاحظ الكثير من الاختلاف في شكل المخططات أو الزخرفة المعمارية الفنية على واجهات المباني الجنائزية.

---

(1) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 115.

(*) براد: يعتبر هذا الموقع من أكبر المواقع في الكتلة الكلسية تمتد هذه القرية من أقصى شمال من جبل سمعان باتجاه وادي عفرين كانت منطقة إدارية زمن الحكم الروماني ويعود الاستيطان في هذا المركز إلى العصر الروماني.

(**) البارة: من أهم القرى في جبل الزاوية تمتد على مساحة تقدر بحوالي 2 كم من الشمال إلى الجنوب و1 كم من الشرق إلى الغرب.

(2) GRIESHIMER. M: 1997, P 180.

حيث استخدم الحجر الكلسي المحلي في بناء المدافن، الذي يبرز على سطح الأرض بوضوح مما يسهل استخراجه.

وقد عثر في سرجيلا على مقالع للحجر التي تتواجد بشكل عام في مكان ليس ببعيد عن مناطق البناء, كما كان هناك أيضاً ورشات للحرفيين الذين يمارسون مهناً مختلفة، كالقيام بالأعمال المعمارية ومنها تشيد المدافن الجنائزية، وقد كانوا يمتلكون مستوى عالياً من المهنية في البناء.

وكان هناك أيضاً مجموعات من الورشات المتخصصة في بناء الأقواس الحاملة للأسقف، وورشات النحت والزخرفة التي تقوم بأعمال النحت والزخرفة[1].

ج – المدفن الملكي في حمص:

يعد هذا المدفن من أهم المدافن العائدة للعصر الروماني في حمص.

وقد ترك الرحالة الذين زاروا المكان قبل القرن العشرين الكثير من الرسومات المختلفة التي تزودنا بمعلومات كافية عن شكله وأبعاده (الشكل رقم 42).

تم إنشاء هذا المدفن عام 78 – 79 م، كما ورد في الكتابة الإغريقية :«كايوس جوليوس سامبسيجرام من قبيلة فابيا Fabia المعروفة باسم سيلاس Seilas، ابن كايوس أليكسونو، بنى هذا القبر، من أجله وأجل ذويه عام 390 سلوقي = 78 – 79 ميلادي»[2].

درس م. ف كاساس Casas هذا المدفن ووصفه عندما زاره نهاية القرن الثامن عشر ، مخطط هذا المدفن مربع الشكل، يتألف من طابقين، ويعلوه سقف هرمي الشكل، كما يلاحظ الطراز الكلاسيكي في هذا المدفن كالجبهات المثلثية والأفازير والأشرطة الزخرفية المجدولة ، وتشكل رؤوس الثيران فيها تناغماً بين الفراغات الوسيطة ، وقد زينت الدعامات أو الأعمدة بعض الأماكن وكانت الكوى القليلة العمق تزين الزوايا.

يشبه هذا المدفن مدفن الهرمل في لبنان الذي بني على مصطبة مدرجة ذات شكل مربع، ويتألف المدفن من ثلاثة طوابق، الطابق الأول والثاني على شكل مربع، أما الطابق الثالث فهو يحمل سقفاً هرمياً، كما زينت واجهات المبنى بالزخارف المختلفة.

يعود تاريخ هذا المدفن إلى الفترة الواقعة بين القرنين الأول قبل الميلادي والقرن الأول الميلادي[3] (الشكل رقم 43).

---

(1) عبد الكريم، مأمون: 2011، ص 134.

(2) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 115، 116.

(3) CLAUSS; 2002, P 174.

4 – المدافن الكهفية:

هذا النوع من المدافن كان قد أشار إليها غافليكوفسكي تحت اسم مدافن يمكن الوصول إليها من مستوى الأرض(1).

أطلق عليها اسم المدافن الكهفية لكونها حفرت ضمن الجبل على شكل كهف، مداخلها متوضعة بمستوى الأرض يمكننا الولوج إليها بشكل مباشر دون الحاجة لنزول أو صعود أدراج.

استغل أصحاب هذه المدافن الجبل لحفر مدافنهم بدلاً من الحفر تحت الأرض، والسبب الذي دعاهم للتفكير بهذا الأسلوب هو الرغبة لإبداع نوع جديد من المدافن مختلف عن المدافن المعاصرة لها(2).

وانتشر هذا النوع من المدافن في تدمر وريف دمشق ومناطق أخرى من سورية من الأمثلة المدفن رقم 82 بتدمر يذكر غافليكوفسكي بخصوص هذا المدفن أنه المدفن الوحيد الذي يحمل كتابة تأسيسية تشير إلى تأسيسه من قبل سعدو بن برعاتي عام 179م.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن غافليكوفسكي استخدم كلمة كهف في وصفه للمدفن رقم 167 المتوضع ضمن السفح الشمالي لجبل الحسينية خلف معسكر ديوقلسيانوس، "هو مدفن فريد بشكله"، وهذه العبارة تدل على أن هذا النوع من المدافن مختلف عن أشكال المدافن المعروفة في المقابر التدمرية، وبالتالي يمكن أن يكون نوعاً آخر من أنواع المدافن التدمرية المعروفة(3).

أ– المدفن الملكي:

يقع في وادي سكفتا الواقع في ريف دمشق ويطلق عليه الناس تسميات مختلفة كالمدفن الملكي، أو مغارة مار سابا (الشكل رقم 44).

وهو مدفن جماعي على طراز كهف حفر في مكان مرتفع من سفح الجبل، زينت واجهته بأسدين محفورين في الصخر، اليساري واقف واليميني جالس يحرسان البوابة الصغيرة، على يمينها ثماني شواهد في الصف السفلي واثنتان في الصف العلوي، وعلى يسارها خمس شواهد في الصف

(1) GAWLIKOWSKI: 1970, P 125.

(2) همام، سعد: 2007، ص 54، 55.

(3) GAWLIKOWSKI: 1970, P 125.

السفلي واثنتان في الصف العلوي، أي أن مجموعها سبع عشرة شاهدة، مما يدل على عدد الأشخاص المدفونين في هذا المدفن.

مخطط هذا المدفن عبارة عن بوابة خارجية يتم الوصول إليها عبر درج صغير محفور في الصخر، تؤدي البوابة إلى ردهة أبعادها حوالي 2,5×3 م، ومنها يتم الدخول إلى الفناء عبر البوابة الداخلية وهي أكبر حجماً من الخارجية أبعاد الفناء حوالي 4,5×5م.

يوجد في الجدار الصدراني ثلاث حجرات دفن بأسقف قوسية في كل حجرة قبران، أما الحجرة الوسطية فيها قبر واحد، وفي الجدارين اليساري واليميني حجرتا دفن في كل منها قبران . وفي أرضية الفناء حفر قبران، ليصبح مجموع القبور 15 قبراً، وهناك قبران كانا في مكان المصطبتين اللتين على جانبي الردهة .

تدل فخامة هذا المدفن على أن ملكيته تعود لعائلة غنية قد يكون لها علاقة بالسلطة الإدارية أو الدينية، من خلال أسلوب وطريقة البناء يمكن ارجاع تاريخ هذا المدفن إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين[1].

مما تقدم يمكننا القول أن المدافن الكهفية هي نموذج مميز من المدافن الجماعية تعود ملكيتها لأشخاص على درجة كبيرة من المكانة الاقتصادية والاجتماعية، وهذا النوع من المدافن مكلف بشكل كبير مما يدل على الثراء والغنى والرفاهية التي يتمتع به أصحاب هذه المدافن.

(1) نصر الله، جوزيف: 1953، ص 176.

ثانياً– طرق الدفن :

1– الدفن فوق المصاطب :

استخدم هذا النمط والأسلوب من الدفن في العديد من المدافن الأرضية والصرحية خلال الفترة الرومانية في سورية ، ونذكر على سبيل المثال مدفن المغارة في جبل الزاوية مخطط هذا المدفن من الداخل عبارة عن اربعة حجرات جنائزية ، وتحتوي كل حجرة من حجرات المدفن على ثلاث توابيت جنائزية، تتواضع فوق المصاطب(1). كما استخدم هذا الاسلوب في المدافن المكتشفة في دمشق منها مدفنان في الميدان ، حيث كانت جثث الموتى تتمدد على مصاطب الحجرات الجنائزية ففي المدفن رقم واحد (انظر الشكل رقم 45)، تمَّ العثور على هياكل عظمية ضمن حجرات المدفن وهي كالتالي :

ضمن الحجرة رقم 1 يوجد هيكل عظمي عند الضلع الغربي.

ضمن الحجرة رقم 2 يوجد هيكلان عظميان أحدهما عند الضلع الغربي والأخر عند الضلع الجنوبي .

في الحجرة رقم 3 يوجد هيكل عظمي عند الضلع الجنوبي.

في الحجرة رقم 4 يوجد هيكل عظمي عند الضلع الجنوبي(2) ، أيضاً اتبع نظام الدفن ضمن المصاطب في مدافن القنوات في دمشق بالإضافة الى نظام المعازب(3)، أيضاً في منطقة الجنوب السوري وتدمر والساحل السوري يوجد هذا النمط من الدفن هذا التشابه في نظام الدفن من خلال المصاطب يعود إلى أنه من التقاليد المحلية القديمة التي كانت متبعة في سورية .

2 – التابوت الجنائزي (Sarcophagus):

كانت التوابيت الجنائزية مألوفة في القرنين الثاني والثالث الميلاديين وكانت منتشرة في كافة مقاطعات الإمبراطورية الرومانية .

ففي سورية بقى الإنسان يتبع عادة الدفن العادي أما الدفن في التوابيت الحجرية فكان نادراً آنذاك لهذا لم يصلنا منها إلا القليل .

---

(1) Grieshimer. M :P169.

(2) دبور، يامن، مذكرة حول اكتشاف مدافن رومانية مبكرة في مدينة دمشق، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 52–51، دمشق، 2009–2008، ص 34–33.

(3) المرجع نفسه، ص 37.

وعلى الرغم من وجود أعداد قليلة من هذه التوابيت الحجرية إلا أنها متنوعة ويوجد منها المحلي والمستورد ويكمن الفرق بينهما أن التابوت المستورد أكثر جمالية مصنوع من الرخام [1]

بينما التابوت المحلي يكون على شكل صندوق مفرغ مزود بغطاء أو يغطى بشطحات من الحجارة. يصنع عادة من الحجر الكلسي أو الرملي أو البازلتي والبركاني أو الرخام ، طوله حوالي مترين ويصل في بعض الأحيان إلى مترين ونصف ، عرضه وعمقه حوالي المتر أو أقل قد تكون الجوانب مزخرفة بشكل بسيط أو معقد، وكذلك الغطاء قد يكون دون أي زخرفة.

يوجد هذا التابوت مدفوناً في الأرض ، أو موضوعاً في مدفن محفور في الصخر أو في مدفن مؤلف من قاعات مبنية تحت الأرض، كما يمكن أن يوجد في معازب محفورة خصيصاً له .

معظم هذه الأنواع من التوابيت صنعت في المنطقة[2]، ما عدا التوابيت الرخامية المصنّعة فإنها كانت تستورد من عدة مناطق مشهورة بتصنيعها .

في سورية كانت التوابيت المستوردة تأتي من المراكز الثلاثة التالية :

روما – أثينا – فريجيا في آسيا الصغرى ، وتحضر إما مزخرفة بالكامل أو محضرة للزخرفة حيث يقوم الشخص الذي يشتريها بزخرفتها كما يريد[3].

وتنوع الزخارف عادة من زخرفة هندسية بسيطة إلى بعض المشاهد لأشخاص أو حيوانات أو مشاهد متنوعة ، وصولاً إلى تصوير الملاحم والقصص بأشخاصها وأحداثها[4].

كان التابوت الحجري المزين بشكل مفصل مخصص للعائلات الارستقراطية في المجتمع .

حيث أصبح ذلك شيء مميزاً ومصاحباً لدفن هذه الشخصيات العليا وحاز نصيباً من الانتشار، كانت الغاية من هذه التوابيت الاهتمام بجسد الميت، وتشريفه والاعتناء به في أجواء من البذخ التي انعكست أكثر في ذوق وتصميم هذه التوابيت الجنائزية ، وكان ذلك في منتصف القرن الثاني الميلادي مع ظهور الاعتقاد العميق في الحياة بعد الموت .

وهكذا ظهر الاهتمام المتزايد بالميت وكان الجسد الموضوع داخل تابوت حجري يعطي أماناً ودفناً آمناً للميت.

---

(1) غونترام، كوخ، التوابيت الرومانية في المتحف الوطني بدمشق، ترجمة جودة شحادة، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد 38–39، دمشق، 1988 – 1989، ص 281.

(2) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان: 2013، ص 268، 269.

(3) غونترام، كوخ: 1989، ص 282.

(4) عميري، إبراهيم، روبه، سوزان: 2013، ص 269.

وأصبح استخدام التابوت الحجري المزين فيما بعد رمزاً للثروة والثراء والجاه والمكانة الاجتماعية العالية داخل المجتمع الروماني(1).

إنَّ الثري السوري الذي تأثر بعادات الرومان ، يرى نفسه مرغماً على تأمين تابوت جميل ولو كلفه مبلغاً باهظاً, حيث كان إقبال الناس خلال العصر الامبراطوري على التوابيت الآثينية أكثر من توابيت روما وآسيا الصغرى ، لأنها تعتبر رخيصة الثمن بمقارنتها مع مثيلاتها من توابيت فريجيا ذات الأعمدة ، كما لا يحتاج الشخص إلى قطع مسافات كبيرة للحصول عليها كما هو الحال بالنسبة للتوابيت من روما، إن معظم التوابيت السورية والمستوردة من آثينا تؤرخ في القرنين الثاني والثالث الميلاديين .

ومن أهم النماذج المستوردة التابوت الجنائزي الذي عثر عليه في بلدة الرستن ، وتابوت اللاذقية(2).

آ – تابوت الرستن:

هو بهيكله العام يشير لمدفونين اثنين في التابوت ، رجل وامرأته ولعله أمير (سمسيغرام) صاحب الرستن .

الخصائص الفنية: ارتفاع التابوت 105 سم ، الطول 220 سم ، العمق 133 سم ، ارتفاع الغطاء 75 سم وهو من الرخام . (انظر الشكل رقم 46).

زين التابوت من الجهة الأمامية والجهات الجانبية بأشكال مماثلة للتوابيت الآثينية ، وتدور المشاهد التي صورت على هذا التابوت إلى الصراع بين اليونان والطرواديين .

ونحت الغطاء بشكل رجل وامرأة يعطف عليها بيمناه، وهما يتكئان على شماليهما مستندين على وسادتين مطرزتين، فقد رأساهما ويمتدان بجسميهما على فراش غني جداً بالزخارف والأشكال الهندسية .

ويتضح من تعابير رأس الرجل وكأنه قد صنع في سورية، حيث كان يوجد في سورية فنانون محليون تمكنوا من التعامل بالرخام.

ولقد استطاع الفنانون والنحاتون السوريون بقوة أن يعملوا على تطور الأساليب الفنية الهيلنستية في بلادهم وبلغوا المستوى الرفيع بفنونهم وكان من أشهرهم أبو لودور الدمشقي وغيره .

---

(1) Marguerite. A: Roman Sarcophagi, Newyork, 1978, P 15 – 17.

(2) غونترام، كوخ: 1989، ص 287.

ولقد تعذر معرفة النحات الذي صنع هذا التابوت لعدم العثور على ما يشير إلى ذلك، فإن العمل قد أنجز على الغالب في العهد الروماني – القرن الثاني الميلادي – ولم يأخذ طابع الفن الروماني أو أنه كان متأثراً به إلى حد ما ، إنما بقي معتمداً على أحد التقاليد المحلية بغطائه وبعض العناصر التزينية في الجوانب ، الأمر الذي يدعو لتكوين وحدة فنية إغريقية شرقية[1].

ب – تابوت ميلياجر:

عثر عليه في بلدة الرستن الارتفاع 92 سم ، الطول 206 سم ، العمق 88 سم ، هو من الرخام، نحت على كل من الواجهتين الأمامية والجانبية اليمنى مشهد صيد مثل عليه البطل ميلياجر وصديقته أتلانتا وصيادون آخرون يطاردون الخنزير الكاليدوني .

استخدم الفنان هذه الأسطورة اليونانية لأنها من الموضوعات المحببة في التوابيت الآثينية والرومانية حتى نهاية العهد الإمبراطوري .

والتأثيرات الآثينية في هذا التابوت تتمثل في مشهد الصيد، وقد أحضر هذا التابوت جاهزاً من أثينا، يعود تاريخ هذا المدفن إلى القرن الثالث الميلادي[2].

ج – تابوت اللاذقية:

عثر عليه في اللاذقية ، يتألف من قطعتين ضخمتين من الرخام هما الغطاء والصندوق ، يبلغ الطول 2,87 م والارتفاع 1,82 وعرض قدره 1,39 م على شكل مستطيل (أنظر الشكل رقم 47).

يتضح من الأمكنة المزخرفة على التابوت والأسلوب الفني بأنه قد صنع في أثينا .

حيث موضوعات ايروس إله الحب ، إضافة إلى ربة الظفر المجنحة بجناحي طائر، والإله ديونيسوس Dionysus إله النباتات والكرمة والخمر لدى الرومان، كذلك نشاهد رأس زيوس الشهير في الميثولوجيا الإغريقية .

وشخصيات ايروس وربة الظفر المجنحة التي كانت تمثل على التوابيت من العهد الإمبراطوري ومنها تابوت اللاذقية، كانت تعبر عن الموت حيث يصبح غالبية الموتى أبطالا يمثلون على التوابيت والأنصاب الجنائزية، أو يعبرون عن موتهم البطولي بتمثيل آلهة الظفر المجنحة أو النسور الظافرة أو الأكاليل.

---

(1) شحادة، كامل، تابوت الرستن دراسة أولية، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 32، دمشق، 1982 ص 63-83.

(2) غونترام، كوخ: 1989، ص 287، 288.

يتجلى في هذا التابوت صفات النزعة المتفرعة عن أسلوب النحت التزييني، وهي الاهتمام بالنقوش النافرة الزخرفية التي تعتبر إحدى نماذج التوابيت ذات الإكليل بأشكالها العديدة سواءً منها الإكليل الوحيد وهو أبسطها، أو الثنائي ، أو الثلاثي .

فعلى واجهة التابوت الرئيسية نشاهد الإكليل الثلاثي ، فعوضاً أن تقوم رؤوس الثيران بحمل أطراف الإكليل هنا، حلت محلها تماثيل ايروس اللطيفة تحمل العبء في الوسط ، وتشاركها فيه آلهة الظفر على كلا الزاويتين اليمنى واليسرى وديونيسوس في الواجهتين الجانبيتين .

يقول الأستاذ كومون «إذا أخذنا الفن الجنائزي الروماني بمجموعه فسوف ندهش من الحقيقة بأنه بقى وفقاً للتقاليد الهلينية بصورة كلية تقريباً» .

لأن الفنانين اليونان ما زالوا على رأس النشاط الفني في النحت والبناء في العهد الروماني ويمارسون عملهم، وانتشرت تعاليمهم ومبادئهم الفنية في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية .

يستمدون مواضيع فنهم من الميثولوجيا الإغريقية، وعقيدتهم في مواضيع الحياة والموت والبطولة والخلود، بتلك التعبيرات الرمزية الراسخة التي تجلى فيها ابداعهم، وكان الوجود الإنساني محورها الرئيسي[1].

(1) الصفدي، هشام،كريشيان، آغوب، دراسة أولية لتابوت اللاذقية وعمليات استكشافه، الحوليات الأثرية السورية، المجلد 7،دمشق ،1957م، ص 73 – 94.

3- الدفن من خلال المعازب الجدارية :

استخدمت هذه الطريقة والاسلوب من الدفن في المدافن الأرضية والصرحية في تدمر وفي منطقة الفرات وكذلك في الشمال السوري ومنطقة حوران (انظر الشكل رقم 48)، وأيضاً المدافن المكتشفة على الساحل السوري حيث أن كل صف من صفوف المعازب(*) كان يتسع لدفن ستة اشخاص على الأقل كما هو الحال في برادات الدفن حاليا. وطريقة دفن الجثث ضمن المعازب كانت بوضعية الاستلقاء على الظهر واليدين ممددتين والرأس موجه للأعلى أو جانبي(1)، أو يتم وضع الجثة ضمن تابوت جنائزي ، ومن ثم يوضع التابوت ضمن المعزبة للدفن من ثم تغلق هذه المعازب بلوح أو شاهدة تنوب عن الميت كما في مدافن حوران و الشمال السوري و مدافن عازور ، أو تغلق بتماثيل نصفية تمثل الميت كما هو الحال في مدافن تدمر.

لدينا في هذا البحث لوح جنائزي لامرأة تدمرية بكامل حليتها يبلغ الطول 49 سم – العرض 55 سم – السماكة 25 سم، منحوتة بالحجر الكلسي القاسي، تضع على رأسها الوشاح التدمري وتتزيّن بالمصاغ، مما يدل على الغنى. وقد دون على يمينها نقش مؤلف من خمسة أسطر:

1- ب ل ت ا

2- ب ر ت

3- م ل ك ب ي ل

4- م ق ي م و

5- ح ب ل

الترجمة:

هذه بلتا

أبنة

(*) المعازب (Loculi) هي كلمة لاتينية مفردها (Loculus)، وتعني الحجرات المخصصة للدفن في المقابر اليونانية والرومانية، تكون محفورة في الصخر لها فتحات مربعة أو مستطيلة، تغلق بواسطة شواهد، أنظر: صدقي، محمد كمال، معجم المصطلحات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988.

(1) سعد، همام، عادات الدفن خلال العصور الكلاسيكية، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد، دمشق، ص3.

ملك بيل(بن)

مقيمو

وا أسفاه[1].

توجد بعض التشابهات والاختلافات في شكل هذه المعازب ، فمثلا تأخذ هذه المعازب في تدمر وحوران الشكل المربع ،بينما في مدافن دورا أوروبوس وحمص تكون على شكل قبوة ، كذلك الأمر في جبل بأغوز .

كان صف المعازب في حوران يتسع لدفن شخصين فقط وهي اكثر عرضا من معازب تدمر[2]، وكان هذا النمط من الدفن يستخدم في المدافن الأرضية والصرحية على حد السواء.

(1) أحمد ،صقر علي ،نقوش تدمرية ،مجلة مهد الحضارات ،العددان 22–21، دمشق ، 2016، ص124،125.

(2) Sartre. M: 1989, P. 430.

4- نظام القبور الحجرية المعقودة (Arcosolium) :

يعتبر هذا النموذج الأكثر شيوعاً في سورية ، والذي نجده بكثرة في الشمال، واستخدم في المدافن الأرضية بشكل خاص التي تتكون من حجرة جنائزية تأخذ شكل صليب، وحولها توجد حجرات الدفن على شكل قبور حجرية معقودة تعرف باسم Arcosolium ، كما هو الحال في مدفن فريكة في جبل الزاوية(1) (انظر الشكل رقم 49)

واستخدم أيضاً في المدافن الرومانية المكتشفة في دمشق، منها على سبيل المثال المدفن المكتشف خلف مبنى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون بدمشق.

وصف المدفن : حُفر المدفن ضمن الصخر الطبيعي على شكل صليب، اتجاهه شرق – غرب، يتألف من درج يصل إلى مدخل، يؤدي إلى حجرات جنائزية، بالإضافة إلى ثلاثة قبور حجرية معقودة موزعة على جوانب الحجرة الجنائزية وقبر فردي في الوسط ضمن كل حجرة .

الحجرات الجنائزية للمدفن: (انظر الشكل رقم 50)

الحجرة رقم أ : تتواضع على يمين الموزع، وتحتوي على ثلاثة قبور حجرية معقودة، يبلغ طول كل قبر 180سم وبعمق يتراوح بين 20 و30 سم، وعرض70–60 سم.

الحجرة ب : تحتوي على ثلاثة قبور حجرية معقودة أزيلت بالكامل وجل ما بقى منها هو القبر الذي يقع ضمن أرضية الحجرة

الحجرة ج : هي مخربة بالكامل، باستثناء القبر الذي يقع في الوسط(2).

ويلاحظ في مدافن المنطقة الجنوبية استخدام نظام القبور الحجرية المعقودة كما هو الحال في مدفن قنوات (كاناثا : Canatha) يوجد داخل الغرفة الجنائزية قبر حجري معقود يعلوه قوس مقابل المدخل(3).

---

(1) Grishimer. M: 1997, P. 178.

(2) عوض ،محمد نظير ،سعد ،همام ،اكتشاف مدفن خلف مبنى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ،المجلدان 52–51 ،دمشق ، 2009–2008 ،ص 75 , 76

(3) Sartre. M: 1983, P. 83.

ثالثاً – الزخارف والتأثيرات:

حرص السوريون على إظهار اهتمامهم وعنايتهم بمدافنهم وذلك من خلال زخرفتها وتزيينها حيث لم تكن زخرفة الغرف الجنائزية وتزيين المدفن تستخدم فقط للموتى، إنما كانت تدرك بكونها انعكاساً لصورة العائلة، صورة كانت تؤثر في الرأي العام، خصوصاً الأشخاص الأحياء الذين كانوا يترددون إلى تلك المدافن(1).

لقد كانت زخرفة المدافن والقبور من المواضيع الهامة لدى أصحاب المدافن لأنها تتعلق باللباقة، على اعتبار أن هذا المدفن سيكون المنزل النهائي للمتوفى ونصباً تذكارياً لتسجيل أرث العائلة.

على كلّ حال لا يمكن على وجه اليقين معرفة لماذا زينت هذه المدافن بالزخارف والصور الجدارية والرسوم التي تلفت الأنظار وتجذب الزوار وعنايتهم للمتوفى ولقبره.

لقد كان يراعى في الزخرفة الوضع المالي للشخص فكلّ من كان غنياً كان يزين مدفنه ومدفن عائلته باللوحات والصور والزخارف المتنوعة أما الفقير فقد كان يكتفي ببعض الزينة التي تدل على وضعه المادي السيء.

وهناك آراء أخرى في هذه الزخرفات ربما لتؤكد لنا أهمية هذا العصر من الناحية الفنية، والتي تبين لنا قدرة هؤلاء الأشخاص في هذا الفن، والذي يعتبر فناً يفتخر به أصحاب تلك الحضارة على مر الأجيال(2).

1 – الزخارف الهندسية:

تتجلى الزخارف بأشكال متعددة متداخلة مع زخارف نباتية استخدمت لتزيين واجهات المدافن بشكل خاص، والأجزاء العلوية من المدفن والأفاريز والجملونات الصغيرة التي تتواضع فوق المدخل(3).

هذه الزخارف منها ما هو على شكل شريط من المسننات، وكذلك أيضاً دوائر متشابكة ومربعات متشابكة وزخارف على شكل بيضة، هذه الزخارف تزين بوجه خاص البوابات الرئيسية للمدافن، وهي ذات أصول محلية مشرقية، ولاسيما شريط المسننات الذي يكثر استخدامه في كافة عمائر تدمر.

(1) سادورسكا، آنا، الفن والمجتمع بحوث في علم النحت الجنائزي التدمري، ترجمة بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، مجلد 42، دمشق، 1996، ص 229.

(2) HAMBREY. JESSICA: Funerary Fresco in The Roman Near East, Mc Manchester University, Manchester-city, 2008, p 37.

(3) همام، سعد: 2007، ص 83.

ومن الزخارف الهندسية ذات الأصول الرومانية الصليب المعقوف الذي عثر عليه في بعض المدافن التدمرية[1].

2 – الزخارف النباتية:

توجد هذه الزخارف مستخدمة في كافة الأبنية ومنها المنحوتات الدينية والجنائزية والمنسوجات وغيرها.

آ – نبات الأكانتوس (Acanthus):

هذا النبات له أوراق مسننة، استخدمه الإغريق في زخرفة التاج الكورنثي، ثم شاع استعماله في الزخرفة الرومانية فيما بعد.

إنّ الفنانين السوريين بشكل عام ، والتدمريين بشكل خاص عندما تبنوا هذا الأسلوب من الزخرفة النباتية تقيدوا بالشكل العام غير أنهم حاولوا التحرر منه من خلال بعض التفاصيل الدقيقة حيث لم تنحت الأوراق مفصولة عن بعضها إنما متقاربة من بعضها البعض على شكل كأس، بحيث تغطي الأوراق أساس التاج (انظر الشكل رقم 51), كما أصبحت هذه الأوراق أكثر عرضاً ،ولقد انتشر هذا الأسلوب بتدمر والمناطق الأخرى من سورية ،

وكانت تزين صفوف المعازب داخل المدفن التي قد فصلت فيما بينها أعمدة قسمها العلوي (التاج) يحمل زخارف من أوراق الأكانثا المنحوتة بطريقة متقنة، وهذه الزخارف ذات أصول إغريقية [2].

ب – نبات الكرمة وعناقيد العنب:

أُستخدم هذا النبات كعنصر زخرفي في تزيين بعض المدافن على إطارات الأقواس والمشاكي وعلى السرير الجنائزي .

مثال على استخدام هذا النوع من الزخارف النباتية (مدفن الأخوة الثلاثة)، حيث توجد مرسومة بالألوان فوق الدعائم التي تحمل القوس في نهاية الجناح الرئيسي مقابل المدخل[3].

ومثال آخر على استخدام نبات الكرمة وعناقيد العنب (المدفن المنزلي رقم 36) ، ممثلة ضمن المحراب الأيمن للواجهة الخارجية.

(1) HIGUCHI, SAITO: Tomb F, NARA, Japan, 2001, P 7.

(2) همام، سعد: 2007، ص 84، 85.

(3) المرجع نفسه، ص 84، 85.

فيما يتعلق بأصول هذه الزخرفة فهي محلية، وكانت سورية الموطن الأول التي قامت باختيار هذا العنصر الزخرفي لمبانيها[1].

ج – الزهور والورود :

هذه العناصر الزخرفية استخدمت بكثرة في المدافن على شكل أزهار بعروق ملتفة وزهور مثقوبة، وكانت هذه الورود منها ما هو مؤلف من أربعة وريقات أو خمسة أو ثمانية تلتف حول زهرة.

وُظفت في تزيين الأقواس والأسرة الجنائزية والاطارات التي تعلو صفوف المعازب كما في مدفن يورفا ويولحا في المقبرة الجنوبية الشرقية.

هذه الزخارف ذات أصول محلية مشرقية، وأحياناً توجد ممزوجة مع عناصر هلنستية أو رومانية مؤلفة معاً زخرفة بديعة منسجمة[2].

د – غصن النخيل:

أُستخدم هذا العنصر النباتي على المنحوتات الجنائزية التي تم العثور عليها داخل المدافن ، أو على شواهد القبور الفردية .

وهذا العنصر يدل في الفن الجنائزي على فكرة انتصار المتوفى على الموت، وهو شائع بكثرة في منحوتات تدمر الجنائزية[3]. وكذلك في الشمال السوري.

(1) الأسعد، خالد: 1983، ص 128.

(2) همام، سعد: 2007، ص 85.

(3) همام، سعد: 2011، ص 133.

3 – الصور الجدارية: (الفريسك)

من أهم اللوحات الجدارية التي صورت وزينت بها المدافن.

الصور التي توجد في مدفن الإخوان الثلاثة التي تعود إلى أوائل القرن الثالث الميلادي، حيث ملأت واجهات الغرفة الرئيسة الداخلية من العضائد بين المعازب والصدر وعقد السقف والقوس بالرسومات المختلفة، حيث تمَّ استخدام الألوان المختلفة في تنفيذ هذه الرسومات[1]، ففي صدر الجناح نجد مشهداً يمثل اخيل وقد رآه عوليس متخفياً بثوب امرأة بين بنات ليكوميد ملك سيروس اللواتي يخففن عنه همومه التي سببها نبوءة عرافات دلفي بأنه سيموت في حروب طروادة، ولما رأى أخيل عوليس مسلحاً ثارت حماسته فحمل سلاحه ليخوض الحرب وقاتل حتى قتل بسهم أصابه في كعب رجله اليسرى. ويرمز أخيل في الثقافة التدمرية إلى الروح التي ترتدي ثياباً مستعارة في الحياة داخل الجسد، والموت يعيد لها حريتها، ويتيح لها الخلود فالروح خالدة والجسم ذاهب إلى الفناء[2].

يوجد كذلك على عقد السقف صورة الغلام غانيميد (ساقي الآلهة) يحمله النسر (رسول الآلهة) تلبية لطلبهم .

يوجد في هذا الفن عناصر مستعارة من الفن الكلاسيكي ولكن تبقى طريقة صور وتمثيل الأشخاص وغيرها من الفن المحلي، بالتالي يمثل هذا الفن نوعاً من التلاقي بين الفنيينِ المشرقي والكلاسيكي[3].

وهناك لوحة أخرى عبارة عن أنثى ترتدي رداء طويل ، وعلى رأسها عمامة مزينة بالمجوهرات، وفي يسارها تحمل طفل يرتدي سترة رمادية وقبعة بنية ، وخلفية اللوحة هي في الغالب خضراء مع استثناء من اللون الأزرق في الوسط ، ويظهر كوكب المشتري ونسر يطير وراءها ، وتظهر في اللوحة شخصيّات نسائية مجنحة والتي تشير للانتصار على الموت، وترتدي جميع النساء عمائم وعباءات على حين يبدو الرجال في اللوحة الجدارية ذوو شعر قصير ولحية، وتظهر أيضاً الطيور والحيوانات والتاريخ المفترض لهذه اللوحة يعود إلى سنة 142 م[4].

كذلك نجد عناصر من الميثولوجيا الكلاسيكية في مدفن مصياف تحديداً في قرية كفر عقيد[5].

---

(1) كريلنغ، كارل: 1961، 1962، ص 133 , 134.

(2) البني، عدنان، الأسعد، خالد: 2003، ص 110.

(3) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 232.

(4) HAMBREY. JESSICA: 2008, P 4 - 37.

(5) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 233.

وتم بناء هذا المدفن الصخري بالكامل تحت الأرض بحيث يتكون من سلسلة من التجاويف مع وجود معازب للدفن.

بالنسبة لديكور هذا المدفن حيث يوجد فيه لوحة جدارية طولها 2 م تحكمها حدود حمراء بحيث تشتمل عناصر تعود إلى الفترة الكلاسيكية. ويظهر هرمز وهو عاري يقود عربة تجرها الخيول إلى أن يصل إلى أثينا، وهناك يقف مرتدياً خوذة وساعة كما تشير بعض الحروف اليونانية، وتظهر على اللوحة بعض المناظر الطبيعية من الأشجار والصخور والنرجس وبركة ماء ومشهد لوجود ثلاثة أطفال على الحائط الغربي[1].

ومن الموضوعات الأخرى على أحد جدران هذا المدفن قصة نرسيس وهو على النبع في وضعية الجلوس، ومحاط بمشهد طبيعي من خلال وجود شجرتين ذات أوراق قليلة كما يوجد في اللوحة أطفال يلعبون، بالإضافة إلى ذلك زخارف من الورود[2].

(1) HAMBREY. JESSICA: 2008, P 2.

(2) عبد الكريم، مأمون: 2008 – 2009، ص 233.

4 – الزخارف الإنسانية:

تتمثل هذه الزخارف بشكل خاص بالمنحوتات الجنائزية التي عثر عليها في داخل المدافن ، منها على سبيل المثال المنحوتات الجنائزية التي عثر عليها في مدفن بابيلون فإنها تعود إلى نهاية النصف الأول من القرن الثالث ميلادي، تمثل أعداداً هامة من الأرباب بالإضافة إلى مجموعة من المشاهد لصاحب المدفن رابسون وأولاده وأفراد أسرته أثناء تأديتهم للطقوس الدينية، والولائم الجنائزية وتقديم الأضاحي، ومن بين هذه المنحوتات منحوتة رابسون المالك والشاغل الرئيسي للقبر الذي أرادوا الحفاظ على ذكراه وتأكيد خلوده[(1)].

عموماً من أهم المواضيع التي تناولتها هذه المنحوتات، هي المواضيع الإنسانية التي نجدها فوق التوابيت والأسرة الجنائزية والتماثيل النصفية التي كانت تستخدم لإغلاق المعازب، التي تحمل صور رجال ونساء وأطفال ومسنين وكهنة يقومون بأعمال مختلفة كتقديم النذور والقرابين والأضاحي.

هذه المنحوتات تحمل تأثيرات رومانية ومحلية معاً، من خلال أزياء الملابس التي يرتديها الأشخاص، منها ما هو محلي كالقميص ذو الأكمام الطويلة المميز من خلال ثناياته، ومنها ما هو غير محلي كالزي الإغريقي الروماني الممثل بالعباءة الملتفة حول الجسد، والقميص ذو الأكمام العريضة الذي يحمل تزين فوق الكتفين[(2)].

من الزخارف الإنسانية التي عثر عليها في مدفن يورفا ويولحا النقش الذي يحمل رأس إنسان له قرون يمثل الساتير (Satyr)، وهو كائن خرافي ويعد عند الإغريق القدماء إله المواشي وخادم إله الخمر ديونيسوس[(3)].

---

(1) الديب، داني غازي، المنحوتات الجنائزية في شمال سورية خلال العصر الروماني، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2011، ص 144 – 146.

(2) همام، سعد: 2007، ص 87.

(3) المرجع نفسه، ص 87.

5 – الزخارف الحيوانية:

من الزخارف الحيوانية التي استخدمت في المدافن، ما عثر عليه في المدفن المنزلي رقم 36 ضمن المحراب الأيمن للواجهة الخارجية، حيث يوجد تمثيل لحيوانات بحرية كالسمة والدلفين الذي يعتلي ظهره إله الحب ايروس، ولربما ترمز إلى الرحلة لما بعد الحياة والنعيم هناك.

وفي المحراب الأوسط يوجد تمثيل لرأس مع أفاعي (الميدوسة)، كما في مدفن مارونا (236 م) يرجح أنها تعبر عن الخلود[1].

وأيضاً الطيور ربما الحمام يمسك به فتى ممثل ضمن وليمة جنائزية، وطائر آخر يمسك به أيضاً فتى ممثل فوق شاهدة قبر فردي منقولة إلى مدفن أرطبن الأرضي بتدمر[2].

والرد على التساؤل الذي يمكن طرحه هنا من قام بتنفيذ هذه الزخارف والرسوم والصور الجدارية وهذه المشاهد؟ يرى الباحث أ. شميث كولونيه أن المنحوتات الجنائزية لم تنفذ من قبل ورشة محلية سورية، وإنما من قبل ورشات أخرى كانت مقيمة في المراكز الكبرى على الساحل السوري (صيدا، صور)[3].

---

(1) مالكوم، كولج، التأثير الروماني في فن تدمر، ترجمة محمد قدور، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 42، دمشق، 1996، ص 282.

(2) همام، سعد: 2007، ص 87، 88.

(3) SCHMIDT - COLINET: Palmyra, Verlagphilipp Von Zabern, Mainz Am Rhein, 2005, P 54.

رابعاً – دلالات المدافن:

1 – الدلالة الاجتماعية :

إنَّ دراسة المدافن الجنائزية تعطينا صورة واضحة عن طبقات المجتمع السوري ، وكذلك المركز الاجتماعي للشخص صاحب المدفن الذي دفن معه الأثاث الجنائزي .

وتختلف مدافن الطبقة العامة بطبيعة الحال عن مدافن الطبقات الاجتماعية العليا ، وهذا ما يمكن التعرف عليه من شكل المدفن ومحتوياته من المرفقات والمنحوتات الجنائزية[1].

وتدل المرفقات الجنائزية الموجودة في القبور والمدافن على مهنة الشخص المتوفى، فإذا ما تم استظهار مدفن يضم أسلحة كالسيف والرمح والخنجر والترس يعني ذلك أنها تعود لجندي محارب في الجيش الروماني، وإذا ما تم العثور في احد القبور على أدوات طبية من ملاقط ومباضع جراحية ومشارط، فلا بدا أن يكون صاحب القبر طبيبا، وإذا وجد في أحد المدافن على مجرد برونزي مزخرف Batillum فإن صاحب هذا المدفن كاهنا لأن هذه الأداة كانت تستخدم لحرق البخور أو لإشعال النار في الطقوس الدينية الخاصة[2].

كما تشير المنحوتات الجنائزية التي تم العثور عليها في المدافن إلى مهنة الميت أيضاً، حيث عثر على منحوتات تمثل المحاربين بأسلحتهم يوجد أحدها في المتحف الوطني بدمشق، وهي تمثل رجلين من الرماة التدمريين في الجيش الروماني شعرهما أجعد ويلبسان لباسا فضفاضا مشدودا بالوسط بحزام، ربط فيه سيف، ويمسك كل منهما رمحا باليد اليمنى وترسا باليد اليسرى[3] .

كما ظهرت منحوتات من كان مهنته التجارة مثل المنحوتة التي تمثل هجاناً مرتدياً لباس الجمالة ويمسك بيده سوط، كذلك من كان كاهناً من خلال اللباس الذي يرتديه أو الادوات التي يمسك بها الخاصة بالطقوس الدينية كالكأس والبخور .

وهناك الكثير من المنحوتات التي تظهر المرأة وهي ترتدي لباس محلي او المستوردة من بلاد فارس أو الزي الإغريقي، وهي تقوم بأعمال الحياكة من خلال الأدوات التي تمسكها بيدها كالمغزل والخيط .

---

(1) GAWLIKOWSKI:1970,P39.

(2) البني، عدنان، صليبي، نسيب: 1956، ص 15– 22.

(3) عبد الكريم، مأمون :2011–2012، ص 249.

من خلال دراسة المدافن تمكنا من معرفة معلومات هامة عن العائلات السورية والمستوى الاجتماعي لكل منها .

إضافة إلى ذلك معرفة شجرة النسب لبعض العائلات من خلال الأسماء التي دونت داخل المدافن وصلة القرابة بين كل عائلة وأخرى ومعرفة عدد الأجيال التي استخدمت المدفن[1]. كما قدمت المدافن معلومات مهمة عن طبقة العبيد في المجتمع السوري والعلاقات الجيدة بين العبد والسيد ، فقد أظهرت النصوص الجنائزية التي دونت داخل المدافن عن وجود عبيد دفنوا مع اسيادهم ووجود عبيد آخرون امتلكوا مدافن وهذا يدل على أن طبقة العبيد في المجتمع السوري كانت تتمتع بالاستقلالية والحرية يحق لها التملك وممارسة النشاط التجاري أو ما شابه ذلك، وأصبح هناك عبيد على جانب كبير من الثراء ومنهم من استطاع امتلاك مدفن خاص به، في حين يوجد الكثير من المواطنين لم يستطيعوا امتلاكه[2].

(1) YON, 1999, P.447.

(2) سعد، همام: 2007، ص 100.

2 – الدلالة الاقتصادية :

إن وجود عدة أنواع من المدافن في سورية خلال الحكم الروماني، وتنوع أثاثها من حيث كثرة المنحوتات الجنائزية أو الزينة الداخلية والخارجية والعناصر المعمارية الأخرى تشير على مقدار الغنى الذي يتمتع به الأفراد بشكل خاص والموقع بشكل عام[1]. من خلال بذل الكثير من الأموال وبذل جهود كبيرة في عملية تجهيز المدافن وزخرفتها وتوفير المرفقات الجنائزية الملائمة و تجهيز الميت بقدر الإمكانية الاقتصادية المستطاعة لكل واحد منهم ابتداءً بالجرار الفخارية وانتهاءً بالحلي والأواني الذهبية بوصفها واحدة من الوسائل التي يمكن بواسطتها استجلاب الراحة للأموات في حياتهم الأخرى مستندين على فكر ديني ازداد رسوخاً وإيماناً بحياة ما بعد الموت، إذ فرض ذلك الفكر على الفرد الاهتمام بالموتى واحترامهم وتزويدهم بكل ما يحتاجون في ذلك العالم ومعاملتهم مثلما كانوا وهم أحياء[2] ومن النادر العثور على مدفن أو قبر من دون أن يضم مرفقات جنائزية مهما كانت .

وقد كان الاقتصاد من أبرز المظاهر الحضارية التي يستدل عليها بوساطة الأثاث الجنائزي، وهي المرآة العاكسة للمجتمعات المتمدنة على وجه الخصوص التي شهدت استقراراً سياسياً ملحوظاً إذ انعكس ذلك في مبانيهم ومدافنهم .

فمحتويات المدافن لا بدّ أن تكون نتاج مجتمع ثري أو متعدد الموارد[3] من خلال دراسة المدافن الجنائزية نستطيع التعرف على الفوارق الاقتصادية في المجتمع السوري والقدرة المادية لكل عائلة ، على سبيل المثال فشواهد القبور الفردية المؤرخة بالقرنين الأول والثاني فأنها تخص الطبقات الفقيرة في المجتمع كما ذكر م . غافليكوفسكي[4] بينما الأبراج الجنائزية والمدافن الأرضية تخص الطبقات العليا في المجتمع .

أما الطبقات المتوسطة في المجتمع كان بإمكانها الحصول على أماكن للدفن ضمن المدافن الفاخرة من خلال عملية الشراء لأجزاء من تلك المدافن التي من المحتمل أنشئت لغاية تجارية في تلك الفترة ، حيث ظهر ضمن المدافن البرجية التي تحتوي على قبو أو مدفن أرضي في الجزء السفلي معازب لا تحتوي على لوحات وتماثيل نصفية لأغلاقها، ولقد دفن فيها أفراد من الطبقات المتوسطة إذ

(1) GAWLIKOWSKI :1970,P39.

(2) الأسعد، خالد: 2016، ص17.

(3) زهدي، بشير، 1955، ص 62.

(4) GAWLIKOWSKI :1970, P. 39.

لم يكن بمقدورهم تكليف أحد الصناع لنحت التماثيل النصفية التي كانت تغلق المعازب التي يدون عليها اسم المتوفى ، ولهذا اكتفوا بتدوين الاسم على الجدران بجانب المعازب باللون الأحمر[1].

كما ارتبط ظهور أنماط جديدة من المدافن مثل المدافن المعبدية ذو التأثيرات الرومانية بظهور فئة من الأعيان الذين يتمتعون بقدرات مالية كبيرة هذه الفئة كانت تمارس التجارة خلال الحكم الروماني، وانعكس ايجاباً على حياة المدن ولاسيما تدمر، وقد دلت مدافنهم على قدرتهم المالية الكبيرة، من خلال العناصر المعمارية المكلفة التي استخدموها والعناصر التزينية والمنحوتات التي عثر عليها ضمن المدافن .

من جهة أخرى أمدتنا المدافن بمعلومات عن وجود ضائقة مالية اضطر معها أصحاب المدافن العائلية للتنازل عن أجزاء من مدافنهم وبيعها لأشخاص غرباء عن العائلة مقابل مبلغ من المال هذا الأمر حفظته المدافن من خلال نصوص التنازلات الموجودة على سواكف بوابات المدافن وفوق الأقسام التي تم بيعها كما هو الحال بالنسبة لبرج إيلابل ومدفن الأخوة الثلاثة[2].

(1) YON :1999, P. 433.

(2) سعد، همام:2007، ص 101.

3 – الدلالة الدينية :

يلاحظ من خلال دراسة الطقوس الجنائزية والمدافن في سورية الى وجود بعض الطقوس الدينية الجنائزية المتعلقة بلباس الموتى أفخم الثياب وتزينهم بالحلى والمجوهرات حيث نستدل على ذلك ما تَّم الكشف عنه في المدافن الجنائزية من الحلي والمجوهرات والاواني الفخارية وغيرها مما يدل على اهتمام سكان سورية بموتاهم وإنّ فكرة الحياة ما بعد الموت التي سادت خلال الفترات التاريخية القديمة ما زالت متبعة في سورية خلال الفترة الرومانية من خلال دفن الأدوات والاواني مع الموتى لاستخدامها في الحياة الاخرى من جرار وأواني زجاجية وأسرجة، ووجود الأسرجة ضمن المدافن يشير الى وجود عادة زيارة الموتى والتردد على المدافن، بالإضافة إلى استخدامها ضمن المواكب الجنائزية التي سادت خلال الفترة الرومانية(1).

وقد احتوت بعض المدافن على منحوتات جنائزية التي تمثل عدد من الآلهة اثينا وهرميس وديونيسوس وشكل نصفي للآلة الشمس والإلهة سيلين آلهة القمر تحمل كلا منها رموزها التي تعبر عنها.

والسؤال الذي يطرح نفسة والذي يتبادر إلى أذهاننا ما هو سبب تمثيل هذه الآلهة في هذه المدافن ولاسيما أننا اعتدنا على وجودها بالمعابد؟ ويمكن القول إنَّ وجود هذه الآلهة في هذه المدافن لحماية الموتى حيث كانت من الآلهة المعبودة في سورية في ذلك العصر وهذه الآلهة تمتلك علاقات تقليدية مع عالم الموتى أو الانشطة الجنائزية حيث يمثل هرمس إله الأرواح بعد الممات والإلهة نايكي حافظة الخلود للموتى وهرقل يضمن الوعود بالخلود في الحياة لجميع البشر في مجلس الآلهة وكذلك الأمر بالنسبة إلى ديونيسوس الموجود بين المنحوتات الجنائزية في مدافن فريكيا والمغارة وغيرها في المنطقة الشمالية الغربية من سورية(2).

(1) زهدي، بشير ، لمحة عن الأحجار الكريمة والجواهر القديمة، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد 14، دمشق ، 1964، ص 91- 128.

(2) الديب ، داني غازي، 2011، ص 142- 145.

الخاتمـــة :

تناولت هذه الدراسة عدة محاور ، أولها الحياة الاجتماعية في سورية وفيه عرض للفئات السكانية والطبقات الاجتماعية في المجتمع السوري خلال الحكم الروماني، ولوضع الأسرة والمرأة، بالإضافة للغة والتقويم ، وثانيها للديانة والمعتقدات الدينية في سورية خلال الحكم الروماني، أما ثالثها فتناولت الممارسات والشعائر الجنائزية في سورية، ورابعها مجالات الدفن والعمارة الجنائزية خلال العصر الروماني في سورية.

وظهر لنا مما سبق عدد من النتائج أهمها :

1– طرأت مجموعة من المتغيرات والمستجدات على الممارسات الجنائزية وطقوس الدفن خلال الحكم الروماني من حيث (الموقع، الطراز المعماري، والزخرفة).

من حيث الموقع: أصبحت المقابر والمدافن خارج اسوار المدن نظراً لازدياد عدد السكان في المدن وبالتالي ازدياد عدد الاموات والرغبة في دفن الموتى في مقابر لائقة تتصف بالهيبة والاحترام فقد أكثر الناس من تهيئة المقابر والمدافن الجماعية، هذا الأمر لم نعهده في سورية قبل الحكم الروماني حيث كان الدفن والمدافن في مناطق السكن .

من حيث الطراز المعماري: أصبحت القبور أكبر حجماً وأكثر مرئية وتطورت القبور إلى اشكال مستطيلة ذات زوايا منتظمة وهذه القبور تعود ملكيتها للعامة من طبقات السكان.

لقد ارتبط ظهور انماط جديدة من المدافن مثل المدافن المعبدية ذات التأثيرات الرومانية بظهور فئة من الأعيان الذين يتمتعون بقدرات مالية كبيرة نتيجة ممارسة التجارة ومما لا شك فيه أنّ هذه الفئة كانت أكثر انفتاحاً وتقبلاً للعادات والافكار الرومانية.

كما ظهرت أشكال جديدة للمدافن الجماعية منها المدافن الأرضية والمدافن الصرحية والمدافن الكهفية التي تعود ملكيتها إلى الطبقات العليا في المجتمع السوري، حيث كان لكّل أسرة مدفنها الخاص ويتجلى التأثير الحضاري الروماني من خلال ازدياد اهتمام السوريين بمدافنهم وبذل جهود كبيرة في عملية تجهيزها هذا الاهتمام والعناية بالمدافن هو تقليد من قبل السوريين للرومان.

وأصبحت معظم المدافن تحت الأرض على هيئة غرف، واكثر تنظيماً وجمالية ويتم النزول إليها بواسطة درجات.

من حيث الزخرفة: بذل السوريون جهوداً كبيرة في تجهيز مدافنهم وزخرفتها وتوفير المرفقات الجنائزية الملائمة، لقد كانت زخرفة المدافن من المواضيع الهامة لدى أصحاب المدافن لأنها تتعلق باللياقة وهذه الزخارف تؤكد لنا أهمية هذا العصر من الناحية الفنية الذي يعتبر فناً يفتخر به أصحاب تلك الحضارة على مر العصور.

إن هندسة البناء وتزينياته وكذلك اللقى الاثرية قد كشفت عن واقع تاريخ معقد على صعيد العلاقات والاحتكاك المتزايد مع العالم الروماني ودرجة التأثير الحضاري الروماني في سورية خلال تلك الفترة بالإضافة إلى انتعاش وتشجيع التقاليد والقوى المحلية الأصلية.

2 – اعتقاد السوريين الاقدمين بوجود حياة ثانية وكذلك باقي الفئات السكانية الوافدة إلى سورية خلال الحكم الروماني وقبل الحكم الروماني، وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً في سورية خلال الحكم الروماني، ودليل على ذلك اعتناء السوريين بمدافنهم وأطلقوا عليها بيت الأبدية، والدليل الآخر هو تجهيز هذه المدافن بالأثاث الجنائزي الذي يشمل الأواني الفخارية والقلائد والأدوات المتنوعة التي يحتاجها الميت في العالم الآخر.

3 – ارتبطت عملية دفن الموتى وما اتبعها من ممارسات جنائزية ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية وبتطور فكر المجتمع ومفاهيمه خلال الدور الروماني في سورية.

إنّ الشعائر والطقوس الجنائزية التي تقام للموتى من قبل أهلهم ومعارفهم الأحياء من تجهيز وتحضير الجثة ودفنها بشكل مناسب وتقديم القرابين الجنائزية والاحتفالات السنوية بمناسبة ذكرى الوفاة، فإن هذه الممارسات حسب اعتقادهم كانت ضرورية للموتى لتنعم بالراحة والسعادة في العالم السفلي ، كما كانت ضرورية للأحياء إذ لا بدَّ من إقامة هذه الشعائر وتقديم القرابين على أرواح الموتى، وإلا فإنها تخرج هائمة وتصبح اشباحاً شريرة تتسلط على البشر وتؤذيهم.

4– تنوع مجالات الدفن في سورية ومنها القبور الفردية التي دُفن فيها الموتى من عامة الناس (الرجال والنساء والأطفال)، والمدافن الأرضية والمدافن الصرحية والمدافن الكهفية التي تعود ملكيتها إلى الطبقات العليا في المجتمع السوري.

5– ومن المتغيرات والمستجدات التي حصلت على مجالات الدفن في سورية استخدام المعازب الجدارية بشكل واسع وكبير في المدافن الأرضية والمدافن الصرحية والمعازب (Locui) وهي كلمة لاتينية مفردها (Loculus) وتعني الحجرات المخصصة للدفن في المقابر الرومانية تكون محفورة بالصخر لها فتحات مربعة أو مستطيلة تغلق بواسطة شواهد.

6- استعمال التابوت الجنائزي بشكل واسع وكبير في المدافن هذا التابوت كان مخصص للعائلات الارستقراطية في المجتمع الروماني ولقد تأثر السوريون بعادات الرومان الجنائزية واستخدموا هذا النمط من الدفن حيث عًّد رمزاً للثروة والجاه والمكانة العالية داخل المجتمع السوري.

7- تشابه النووايس السورية بشكل واضح مع النووايس الرومانية رغم انها جاءت لاحقة لها بعدة قرون وهذا يدل على مدى تأثير الفن الروماني الجنائزي بالفن السوري.

8- إن دراسة الطقوس الجنائزية أعطتنا صورة واضحة عن طبقات المجتمع وكذلك المركز الاجتماعي للشخص صاحب المدفن الذي دفن معه الأثاث الجنائزي هذا يدل على ازدهار وغنى سورية خلال الحكم الروماني.

9- لقد ألقت دراسة الطقوس الجنائزية الضوء على الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والمستويات الاقتصادية والفنية في سورية خلال الحكم الروماني، ومدى التأثيرات الرومانية من خلال دراسة المدافن والموجودات في المدافن.

10- كما امدتنا المدافن الجنائزية بمعلومات عن وجود أزمة مالية في سورية ولا سيما في مدينة تدمر اضطر معها أصحاب المدافن العائلية للتنازل عن اجزاء من مدافنهم وبيعها لأشخاص غرباء عن العائلة مقابل مبلغ من المال هذا الأمر حفظته المدافن من خلال نصوص التنازلات الموجودة على سواكف بوابات المدافن وفوق الأقسام التي تّم بيعها.

11- تسامح الرومان وتساهلهم تجاه التقاليد المحلية السائدة في سورية ، وكان لسياسة الرومان الدينية دور هام في الحفاظ على طقوس وأعياد الديانة السورية كما أدت السياسة الرومانية إلى متابعة عملية الدمج بين الآلهة المحلية ومثيلاتها من الآلهة الإغريقية والرومانية، و اندمجت بعض الآلهة الرومانية مع الآلهة السورية.

12- اثبت البحث أصالة الحضارة السورية التي استطاعت أن تهضم وتكيّف الكثير من المؤثرات الخارجية الرومانية.

الملاحـــــــــــق

1 - الملحق الأول: جدول بأهم المصطلحات الجنائزية

2 - الملحـــق الثـــاني: جـــدول بأسمـــاء المـــدن الســـورية بالعصر الروماني

3 - الملحق الثالث: فهارس الأشكال المعتمدة بالبحث

الملحق الأول: جدول بأهم المصطلحات الجنائزية

فرنسي	انكليزي	عربي
Cimetiere	Cemetery	المقبرة العادية
Necropole	Necropolis	مدينة الموتى
Tombe	Tomb	المدفن
Sépulchre	Sepulchre	القبر، (يمكن أن يوضع فيه اكثر من جثة)
Catacombe	Catacombis	مقبرة تحت الأرض (على شكل الدياميس أو ما يسمى سراديب الأموات)
Cubiculum	Cubiculum	حجرة الدفن في الدياميس (تضم عدة قبور تحت مستوى الأرضية)
Tombeau Isolé	Simple Tomb	القبر المنفرد
Tombe Collective	Collective Tomb	المدفن الجماعي
Hypogée	Hypogeum	المدفن تحت الأرض (ناووس) سواء محفور بالصخر أو مبني بالحجارة)
Arcosolium	Arcosolium	حجرات الدفن (على جوانب فناء المدفن يكون سقفها عادة قوسياً أو كروياً وتضم كل حجرة في أرضيتها قبراً أو اكثر)
Dromos	Dromos	الممر أو الكوريدور
Loculus	Loculus	القبور (على شكل معازب الحمام في المدافن)
Mausolée	Mausoleum	المدفن الصرحي
TourFuneraire	Funeral Tower	البرج الجنائزي
Tumulus	Tumulus	مدفن من النمط الحلقي
Sarcophage	Sarcophagus	التابوت الجنائزي
Nephesh	Nefesh	النفش، شاهدة أو نصب ترمز للميت
Triclinium	Triclinium	صالة فيها ديسكات لإقامة الشعائر الجنائزية ووليمة الطعام على شرف الميت
Stele Funeraire	Grave Stela	شاهدة القبر أو النصب على القبر
Columbaium	Columbaium	مدفن على شكل ابراج الحمام
Dolmen	Dolmen	مدفن الدولمن
Crémation	Cremation	حرق الموتى

الملحق الثاني: جدول بأسماء المدن السورية بالعصر الروماني

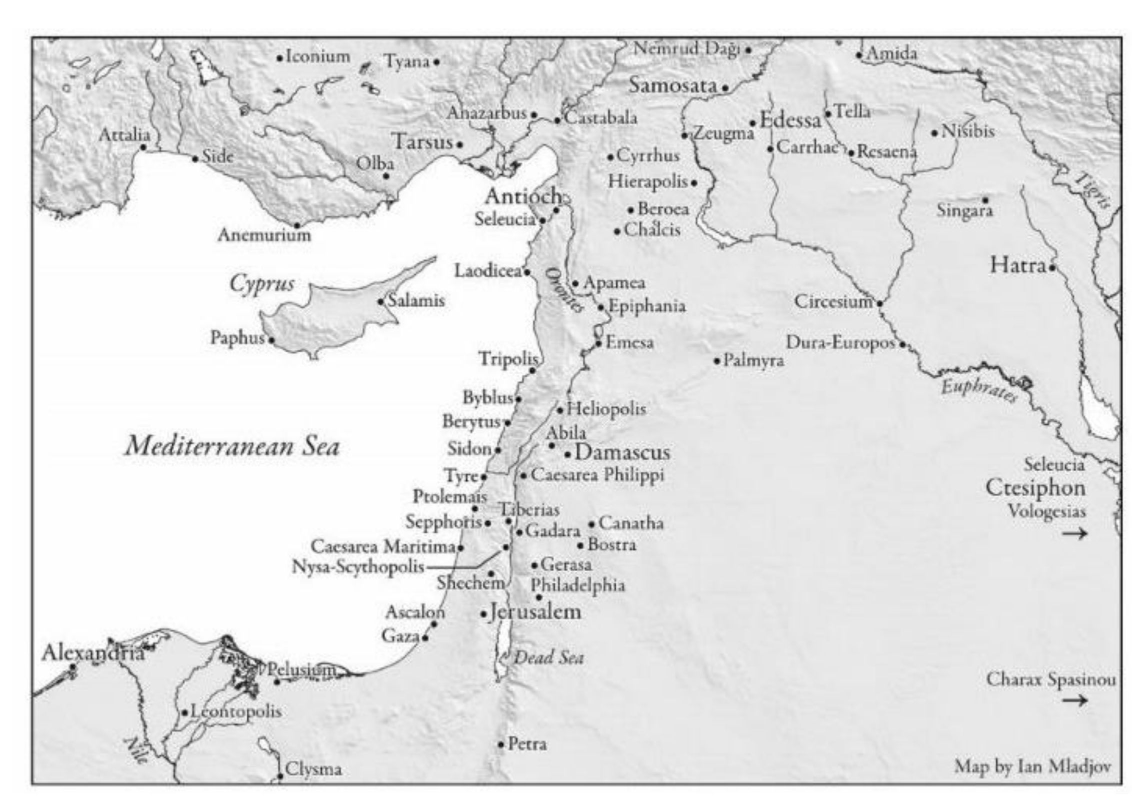
الاسم بالعربية	الاسم اليوناني
أنطاكية	Antiochea
أفامية	Apamea
اللاذقية	Laudicea
بصرى	Bostra
تدمر	Palmyra
حمص	Emesa
حماة	Epiphania
دمشق	Damascus
دورا أوروبوس	Europus Dura
جبيل	Byblos
سلوقية بيرية	Pieria Seleucea
صور	Tyros
طرسوس	Tarsus
كوماجية	Commagene
الضمير	Thelsea
هيرا بولس (منبج)	Hierapolis
الرستن	Arethusa
شهبا	Philipopolis
قنوات	Canatha

الملحق الثالث: فهارس الأشكال المعتمدة بالبحث

- الشكل رقم 1: خريطة سورية خلال الحكم الروماني(Ross Burns) .
- الشكل رقم 2 : الإله هدد مع الإلهة اترغاتيس معبد اترغاتيس في دورا أوروبوس (المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق).
- الشكل رقم 3 : الإله بعل دوليخي (المحاميد ، رزان ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، 2016 ، ص111).
- الشكل رقم 4 : الإله بل من خلال المنحوتات التدمرية (البني ، عدنان ، 1978).
- الشكل رقم 5 : تيترادراخما من حمص نقش في مركزها نسر بين مخالبيه إله الشمس (نقلاً عن كيوان، خالد)
- الشكل رقم 6 : اترغاتيس وحولها الدلفين معبد خربة التنور القرن الأول قبل الميلاد.
- الشكل رقم 7 : الإلهة بيرسيفوني زوجة هاديس إله العالم السفلي عند الإغريق (أسامة ، عدنان ، 2014 ، ص 71).
- الشكل رقم 8 : الإلهة افروديتي إلهة الحب والجمال (زهدي ، بشير ، الفن الهلنستي والروماني في سورية).
- الشكل رقم 9 : الإلهة ارتميس (أسامة ، عدنان ، 2014 ، ص 53).
- الشكل رقم 10 : الإلهة أثينا – اللات (المحاميد ، رزان ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، 2016 ، ص 134).
- الشكل رقم 11 : الربة تيكة ربة السعادة (زهدي ، بشير ، الهلنستي والروماني في سورية)
- الشكل رقم 12 : الإلهة نميسيس ربة العدالة والانتقام (زهدي ، بشير ، المرجع نفسه)
- الشكل رقم 13 : محنطات تدمرية معروضة في متحف تدمر (همام ، سعد ، 2007)
- الشكل رقم 14 : الوليمة الجنائزية في تدمر (الأسعد ، خالد ، 2016 ، ص 20)
- الشكل رقم 15 : شاهدة قبر فردي من تدمر (همام ، سعد ، 2007)
- الشكل رقم 16 : قناع جنائزي لقائد من الأسرة الملكية في حمص (سوزان أحمد الجفان ، المديرية العامة للآثار والمتاحف 2016 ، ص 103)

- الشكل رقم 17 : قبر فردي على شكل بئر مقبرة تل أم حوران بنوى (البني ، عدنان ، صليبي، نسيب، 1956 ، ص 23)
- الشكل رقم 18 : قبر فردي محفور بالصخر الديماس بريف دمشق (عميري ، ابراهيم ، سوزان، روبه، 2013 ، ص 144)
- الشكل رقم 19: قبر فردي على طابقين منطقة الرحيبة بريف دمشق (عميري ، ابراهيم ، سوزان ، روبه ، 2013 ، ص 257)
- الشكل رقم 20 : قبر منفرد في عازار يضم هيكل عظمي عموده الفقري منحني (صليبي ، نسيب ، 1967، ص 131)
- الشكل رقم 21 : مخطط مدفن الأخوة الثلاثة (CHABOT: 1922, P97) .
- الشكل رقم 22 : التريكيلينيوم Triclinium مدفن يورفا ويولحا (الأسعد ، خالد ،2016 ، ص22)
- الشكل رقم 23 : شكل المعازب في دورا أوروبوس (الجوابرة ، وفاء ، 2008)
- الشكل رقم 24 : باب المدفن والقناة المعدة لعملية السحب في أحد مدافن عازار (صليبي ، نسيب ، 1967 ، ص 132)
- الشكل رقم 25 : الجانب الشمالي من الواجهة الغربية لداخل لمدفن عازار. (صليبي ، نسيب ، 1967 ، ص 133)
- الشكل رقم 26 : نموذج مدفن أرضي في دير سنبل (عبد الكريم ، مأمون ، 2011 ، ص 48)
- الشكل رقم 27 : مدفن أرضي مزود بعامودين وساكف من قرية قاطورة شمال سورية (عبد الكريم، مأمون ، 2009 ،ص 111)
- الشكل رقم 28 : نموذج مدفن أرضي في براد في جبل سمعان (عبد الكريم ، مأمون ، 2011، ص 48)
- الشكل رقم 29 : أشكال من المدافن في جنوب سورية (عن SARTRE)
- الشكل رقم 30 : مدفن أيلابل (الاسعد ، خالد ، 2016 ، ص 17)
- الشكل رقم 31 : مخطط البرج D في دورا أوروبوس (TOLL 1946, PLXXV).
- الشكل رقم 32 : مخطط برج أبو جلال في جبل الباغوز (CLAUSS, 2002, P188).

- الشكل رقم 33 : الأعمدة المدمجة في جسم البرج في الباغوز (نقلاً عن همام سعد ، 2007)
- الشكل رقم 34 : نموذج لبعض الأبراج من خلال رسومات الرحالة بداية القرن التاسع عشر (SARTRE, 2004, P68).
- الشكل رقم 35 : البرج الدائري في بصرى (SARTRE, 2001, P35)
- الشكل رقم 36 : برج عش الحمام (SARTRE, 2001, P145)
- الشكل رقم 37 : واجهة مدفن هيكل الموتى (نقلاً عن همام سعد ، 2007)
- الشكل رقم 38 : مخطط مدفن المنزلي رقم 86 (AlSaad, COLINET, SCHMIDI, 1993, P45)
- الشكل رقم 39 : مدفن اللولبة صيدنايا الواجهتان الشرقية والشمالية (عميري ، ابراهيم ، سوزان، روبه ، 2013 ، ص 184)
- الشكل رقم 40: المدفن المعبدي في رويحة جبل الزاوية (عبد الكريم ، مأمون، 2009، ص111).
- الشكل رقم 41 : المدفن الهرمي في البارة (عبد الكريم ، مأمون ، 2011 ، ص 83)
- الشكل رقم 42 : المدفن الملكي – مدفن هرمي من حمص (عن : CLAUSS .P)
- الشكل رقم 43 : مدفن الهرمل في لبنان (عن : CLAUSS. P)
- الشكل رقم 44 : المدفن الملكي في وادي سكفتا في ريف دمشق (عميري ، ابراهيم ، سوزان ، روبه ، 2013 ، ص 251)
- الشكل رقم 45 : الحجرات الجنائزية في المدفن رقم 1 بدمشق (دبور ، يامن ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ،2004 ، ص 34)
- الشكل رقم 46 : تابوت الرستن (شحادة ، كامل ، 1982،ص 60)
- الشكل رقم 47 : تابوت اللاذقية (الصفدي ، هشام ، كريشيان ، آغوب ،1957، ص94)
- الشكل رقم 48 : شكل المعازب في مدافن الجنوب بصرى (SARTRE, 2001, P26)
- الشكل رقم 49 : مخطط مدفن فريكة (GRISSHEIMER, 1997, P169).
- الشكل رقم 50 : المدفن المكتشف خلف مبنى الإذاعة في دمشق (محمد نظير عوض ، همام سعد ، 2008 ، ص 76)
- الشكل رقم 51 : زخارف أوراق الأكانثا (نقلاً عن همام سعد ، 2007)



الشكل رقم (1): خريطة سورية أثناء الحكم الروماني



الشكل رقم (2): الإله هدد مع الإله أترغانيس معبد أترغانيس في دورا أوروبوس



الشكل رقم (3): الإله بعل دوليخي



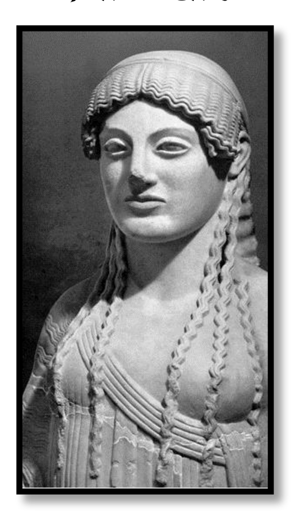
الشكل رقم (4): الإله بل من خلال المنحوتات التدمرية



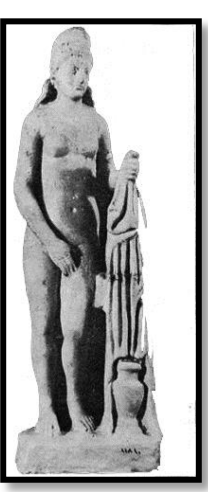
الشكل رقم (5): تيترادراخما من حمص نقش في مركزها نسر بين مخالبيه إله الشمس



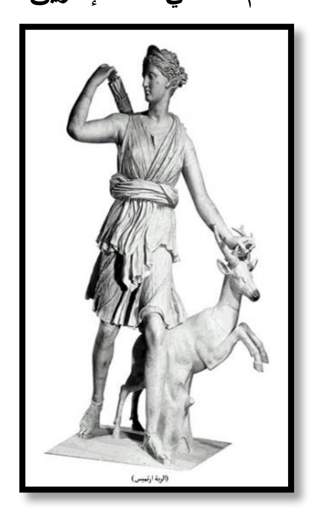
الشكل رقم (6): أترغاتيس وحولها الدلفين معبد خربة التنور القرن الأول قبل الميلاد



الشكل رقم (7): الإلهة بيرسيفوني زوجة هاديس إله العالم السفلي عند الإغريق



الشكل رقم (8): الإلهة افروديتي إلهة الحب والجمال



الشكل رقم (9): الإلهة ارتميس



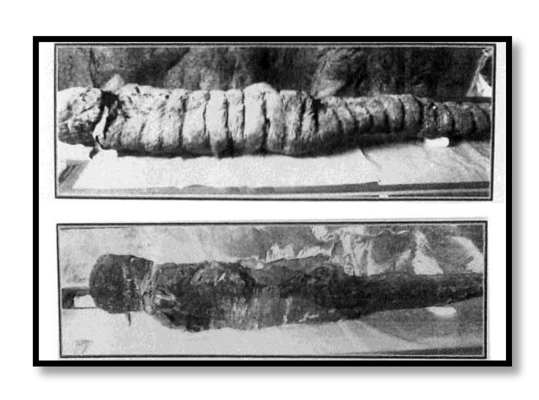
الشكل رقم (10): الإلهة أثينا – اللات



الشكل رقم (11): الربة تيكة ربة السعادة



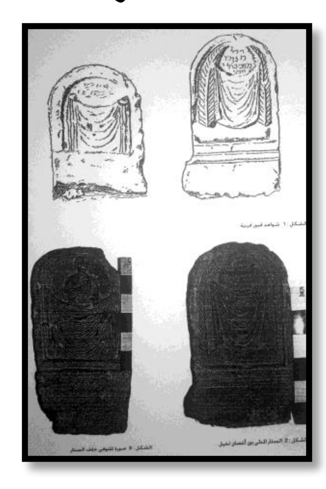
الشكل رقم (12): الإلهة نميسيس ربة العدالة والانتقام



الشكل رقم (13): محنطات تدمرية معروضة في متحف تدمر



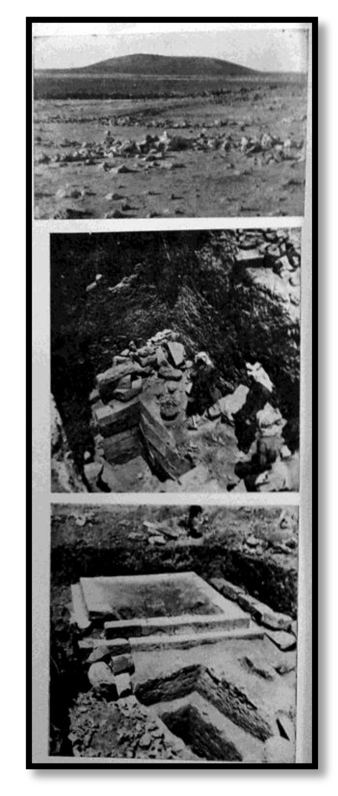
الشكل رقم (14): الوليمة الجنائزية في تدمر



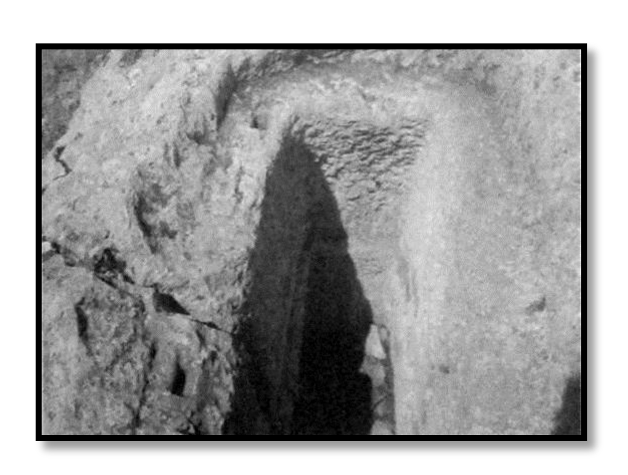
الشكل رقم (15): الستار المدلي بين أغصان نخيل، وصورة المتوفى خلف الستار



الشكل رقم (16): قناع جنائزي لقائد من الأسرة الملكية في حمص



الشكل رقم (17): قبر فردي على شكل بئر مقبرة تل أم حوران بنوى



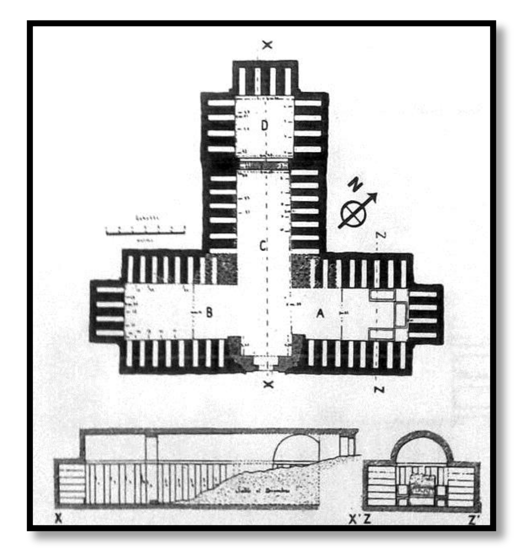
الشكل رقم (18): قبر فردي محفور بالصخر منطقة الديماس بريف دمشق



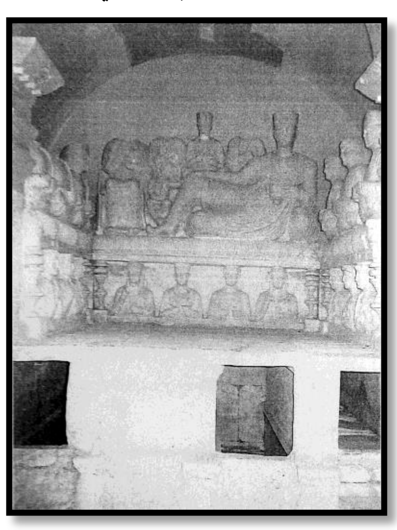
الشكل رقم (19): قبر فردي على طابقين منطقة الرحيبة بريف دمشق



الشكل رقم (20): قبر منفرد في عازار يضم هيكل عظمي عموده الفقري منحني



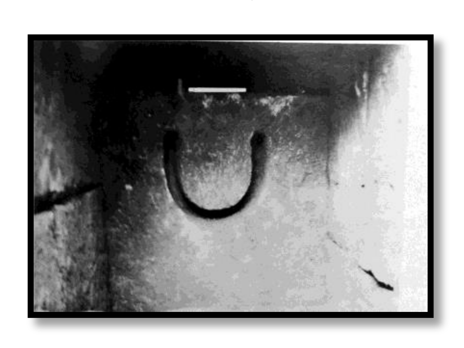
الشكل رقم (21): مخطط مدفن الأخوة الثلاثة



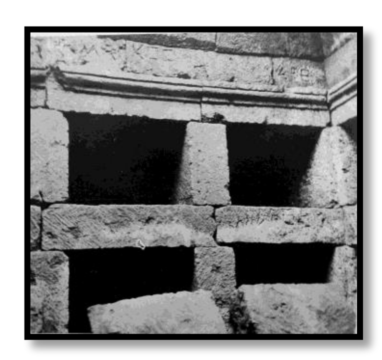
الشكل رقم (22): التريكيلينيوم **Triclinium** مدن بورقا ويولحا



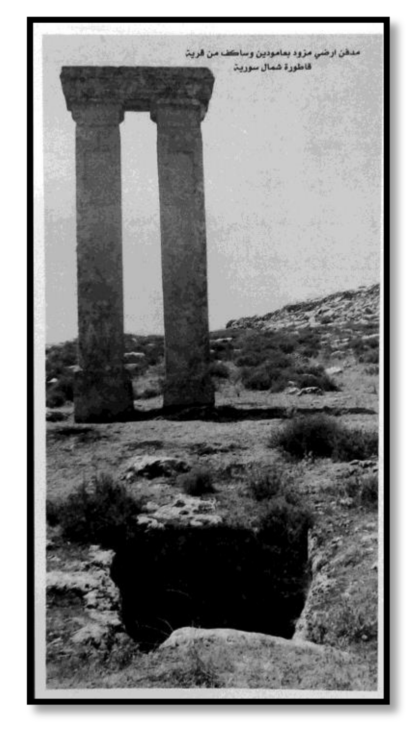
الشكل رقم (23): شكل المعازب في دورا أوروبوس



الشكل رقم (24): باب المدفن والقناة المعدة لعملية السحب في أحد مدافن عازار

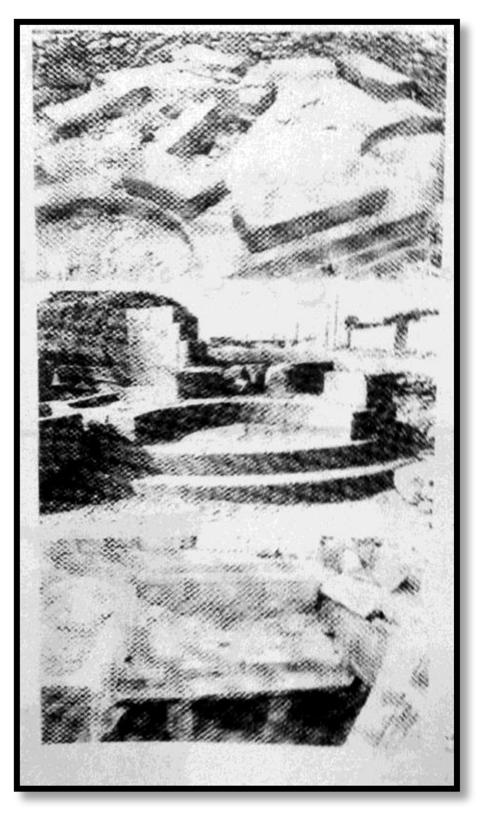


الشكل رقم (25): الجانب الشمالي من الواجهة الغربية لداخل مدفن عازار




الشكل رقم (26): نموذج مدفن أرضي في دير سنبل

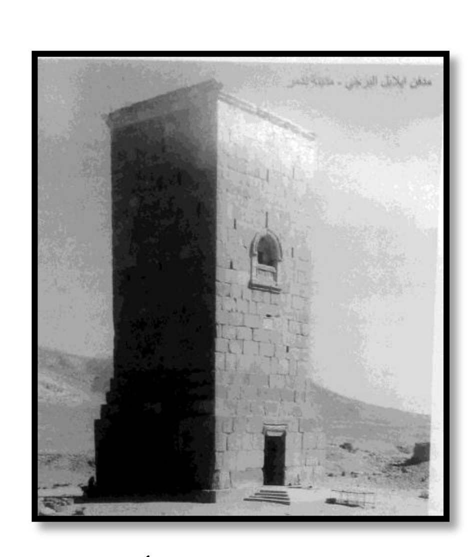
الشكل رقم (27): مدفن أرضي مزود بعامودين وساكف من قرية فاطورة شمال سورية



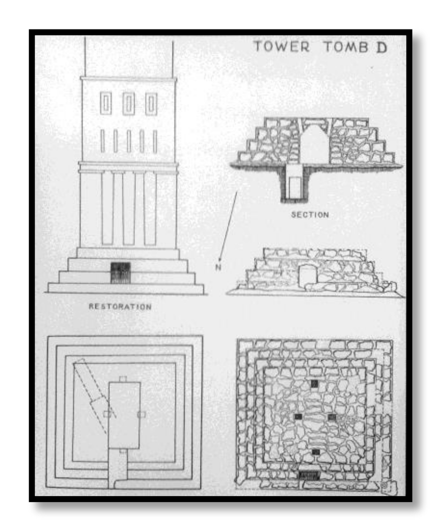


الشكل رقم (28): نموذج مدفن أرضي في براد في جبل سمعان

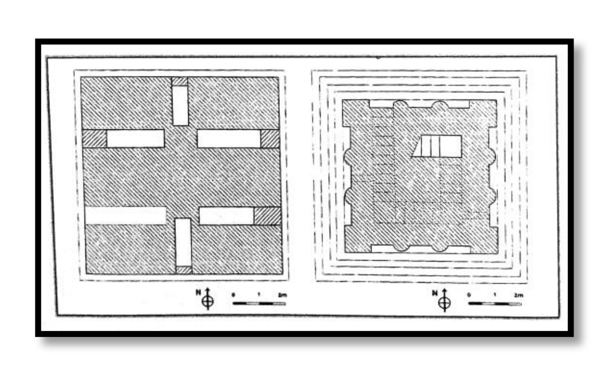
الشكل رقم (29): أشكال من المدافن في جنوب سورية



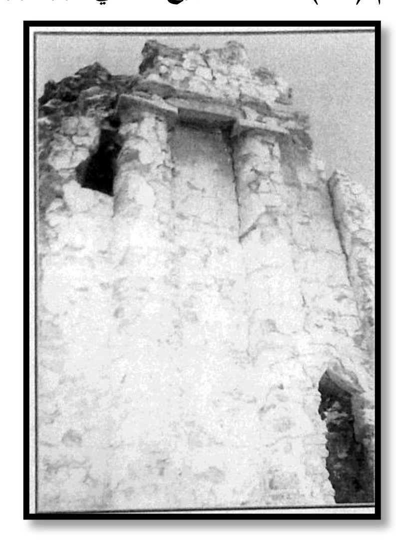
الشكل رقم (30): مدفن أيلابل



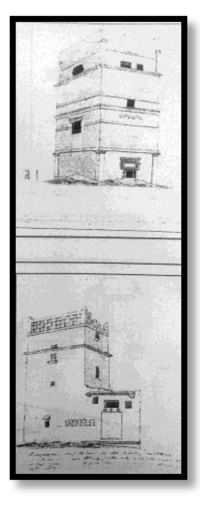
الشكل رقم (31): مخطط البرج D في دورا أوروبوس



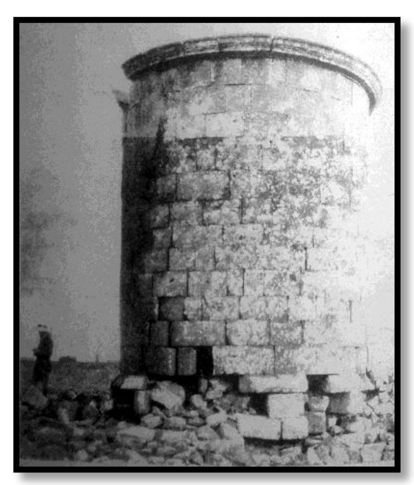
الشكل رقم (32): مخطط برج أبو جلال في جبل الباغوز



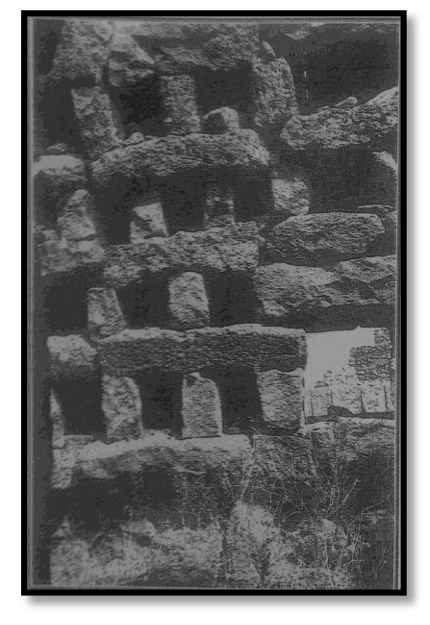
الشكل رقم (33): الأعمدة المدمجة في جسم البرج في الباغوز



الشكل رقم (34): نموذج لبعض الأبراج من خلال رسومات الرحالة بداية القرن التاسع عشر



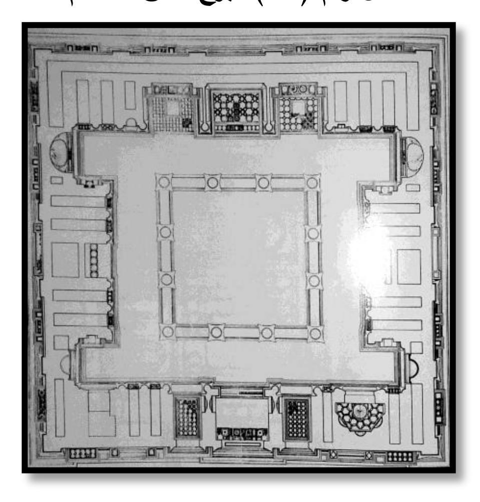
الشكل رقم (35): البرج الدائري في بصرى



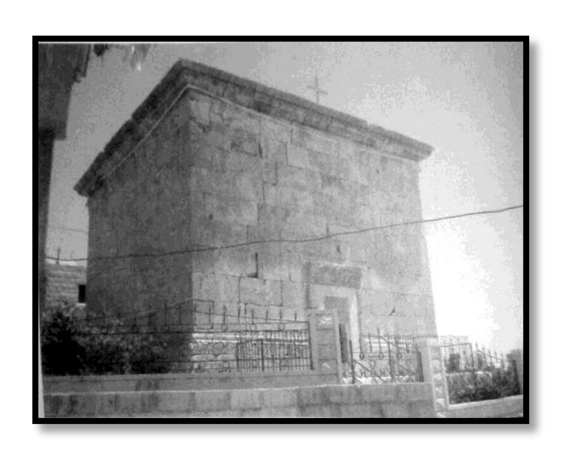
الشكل رقم (36): برج عش الحمام



الشكل رقم (37): واجهة مدفن هيكل الموتى



الشكل رقم (38): مخطط مدفن المنزلي رقم 86



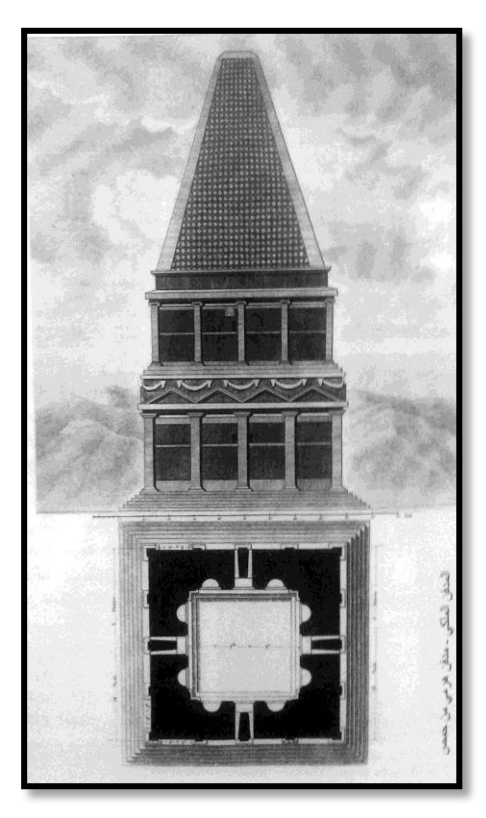
الشكل رقم (39): مدفن اللولبة صيدنايا الواجهتان الشرقية والشمالية



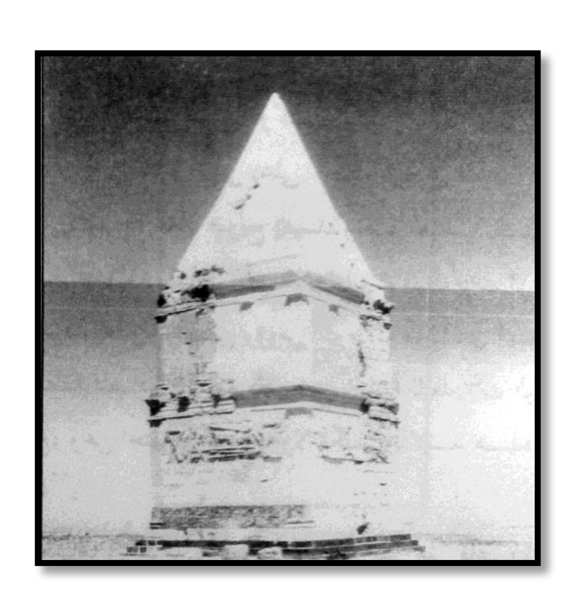
الشكل رقم (40): المدفن المعبدي في رويحة جبل الزاوية



الشكل رقم (41): المدفن المعبدي في سرجيلا بجبل الزاوية



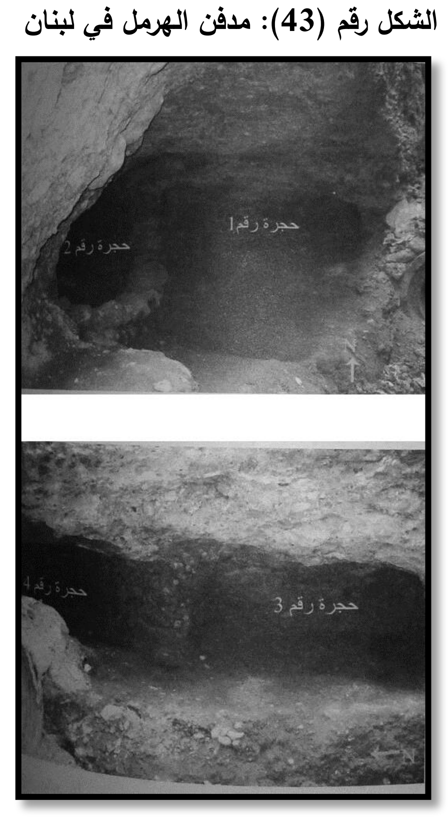
الشكل رقم (42): المدفن الملكي – مدفن هرمي من حمص



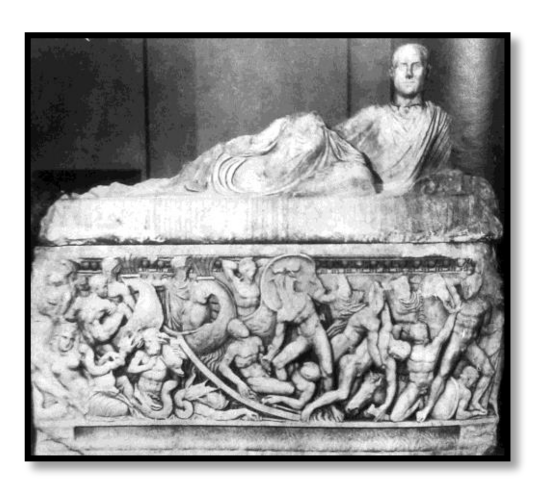
الشكل رقم (43): مدفن الهرمل في لبنان



الشكل رقم (44): المدفن الملكي في وادي سكفتا في ريف دمشق



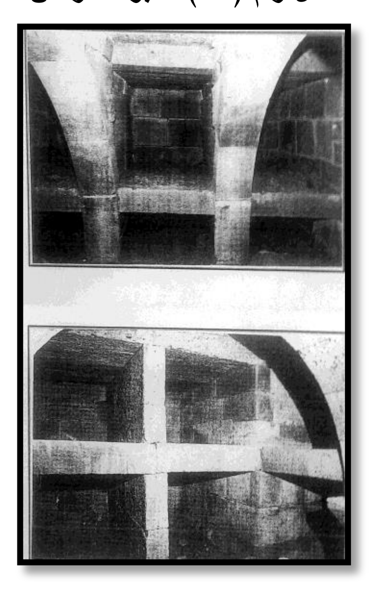
الشكل رقم (45): الحجرات الجنائزية في المدن رقم 1 بدمشق



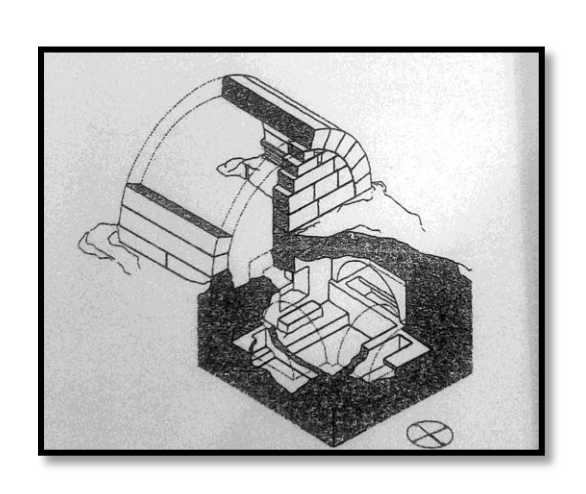
الشكل رقم (46): تابوت الرستن



الشكل رقم (47): تابوت اللاذقية



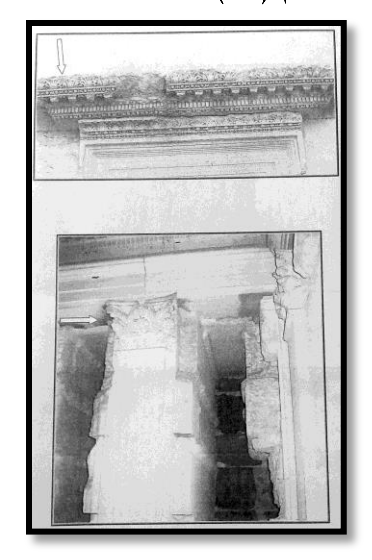
الشكل رقم (48): شكل المعازب في مدافن الجنوب بصرى



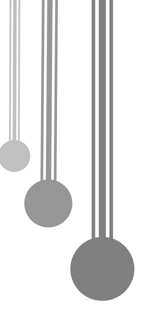
الشكل رقم (49): مخطط مدفن فريكة



الشكل رقم (50): المدفن المكتشف خلف مبنى الإذاعة في دمشق



الشكل رقم (51): زخارف أوراق الأكانثا



الـمصـــادر

قائمة المصادر والمراجع والمجلات

1 – المصـادر المعربة والأجنبيـة :

- أرسطو: السياسة، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو)، بيروت، 1957 م
- أوفيد، ب: مسخ الكائنات (ميتا مورفوس)، ترجمة ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984
- ايسخيلوس، تراجيديات، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1996
- سترابون، الجغرافية، تعريب محمد المبروك الدويب، ج16، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2006.
- شيشرون، القوانين Des Lois، ترجمة أبوهن Appuhn، باريس، منشورات Garnier Flammarion، 1905.
- ليبانوس، ترجمة محمد الزرقة، دار اسكندرون، دمشق، 2004 م.
- لوقيانوس، المؤلفات، مجموعة آثار الأدب العالمي، موسكو ، 1920
- لوقيانوس ، مسامرات الأموات واستفتاء ميت، ترجمة إلياس سعد غالي، اللجنة الدولية لترجمة الوائع، بيروت، 1967.
- لوقيانوس، الإلهة السورية، تحقيق ماريو مونييه، تعريب موسى ذيب الخوري الأبجدية للنشر، دمشق، 1993
- هوميروس، الألياذة، ترجمة دريني خشبة، دار العودة، بيروت

- AESHYLUS, The Oresteia, TR. G. Murray, London, 1928.
- Ammianus Marcellinus: "The Roman History, book XIV".
- Dio Cassius: "Roman History", Tr. By Earnest Cary. Vol. IX. London, 1955.
- Malalas: "The chronicle of John Malalas" Tr by Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys and Roger scott, Sydney. 1986.
- Tacitus. The annals, The histories, Tr. by Alfred John church and wiliam, II.

2 – المراجع العربية:

1. إبراهيم، أحمد حسن، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2001م.
2. أبو عساف ، علي، الآراميون، دار أماني، طرطوس، 1987م.
3. أبو عساف، علي، الأثار في جبل حوران، دمشق، 1997م.
4. أبو اليسر، فرح، الشرق الأدنى في العصر الهلنستي والروماني، القاهرة، 2002م.
5. اثناسيو، متري هاجي، موسوعة بطريركية أنطاكية، سورية الشمالية، مج 1، 1997 م.
6. إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، 2001م.
7. أحمد أمين سليم، مصر والعراق دراسة حضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 2003،
8. أحمد، علي عبد اللطيف، التاريخ الروماني، دار النهضة، بيروت، 1973م.
9. إمام، عبد الفتاح إمام، معجم الأساطير، مكتبة مدبولي، القاهرة، المجلد الأول.
10. باقر، طه، ملحمة جلجامش، الجزائر، 1995م.
11. باقر ، طه ، مقدمة في أدب العراق القديم ،1976م.
12. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ط2، الكرخ، 1956
13. البني، عنان، تدمر والتدمريون، وزارة الثقافة، دمشق، 1978م.
14. ثلماسيتان، عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة بلاد الرافدين، بغداد، 1976.
15. الجوابرة، وفاء، العمارة السكنية غي مدينة دورا أوروبوس (تل الصالحية) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2008
16. الحلو، عبد الله، سورية القديمة، الكتاب الأول، دمشق
17. حداد، حسني، مجاعص، سليم، بعل هدد – دار أمواج، دمشق، 1993م.
18. حسن، نورس مرعي، منطقة اللجا الوعرة، دراسة تاريخية أثرية، 2005.
19. حمود، محمود، الديانة السورية القديمة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2014م.

20. حمود، محمود، شعائر الدفن وطقوسه القديمة في منطقة دمشق والجنوب السوري، دمشق، 2010م.

21. حنون، نائل، الحياة والموت في بلاد الرافدين القديمة، دار الخريف، دمشق، 2005 م.

22. حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، الجزء الأول، دمشق، 2006م

23. حنون ، نائل ، موت الإله تموز (دموزي) ومسألة قيامته في عقائد العراق القديم، بين النهرين ، بغداد، 1981

24. الخطيب، إيفا، التجارة في سورية في الفترة الرومانية 64 ق.م – 305 م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2009 – 2010 م.

25. الذيب، داني غازي، المنحوتات الجنائزية في شمال سورية خلال العصر الروماني، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2011م.

26. زيادة، نقولا، فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، 1990م.

27. الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، جامعة دمشق، 1988، 1989م.

28. سارة، خليل، تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق، 2011–2012م.

29. سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، 2004م.

30. سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، الموصل، 1977.

31. السقا، محمود، فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975.

32. السواح، فراس، دين الإنسان، دمشق، 2002.

33. صافي، رحاب، الولاية العربية في العصر الروماني من ترايان إلى ديوفلسيان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2012 م.

34. صالح، حسن عبد القادر، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الرابع، المملكة العربية السعودية، 1419

35. صدقي، محمد كمال، معجم المصطلحات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988م.

36. عارف، عائدة سليمان، مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت، 1972م.

37. علي فاضل ، عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز ، بغداد، 1986م.

38. عباس، إحسان، بحوث في تاريخ بلاد الشام، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.

39. عبد الكريم، مأمون، آثار العصور الكلاسيكية في بلاد الشام، منشورات جامعة دمشق، 2008 – 2009 م.

40. عبد الكريم، مأمون، القرى الأثرية في الكتلة الكلسية شمال سورية، دليل أثري رقم 9،دمشق، 2011

41. عثمان، سهيل، الأصفر، عبد الرزاق، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982م.

42. العش، محمد أبو الفرج، الجندي، عدنان، زهدي، بشير، المتحف الوطني بدمشق، 1969 .

43. عميري، إبراهيم، روبه، سوزان، المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2013م.

44. فرح، نعيم، تاريخ بيزنطة السياسي، منشورات جامعة دمشق، 1991

45. كسواني، جورية، الإدارة والتنظيمات الإدارية في سورية (64 ق.م – 305م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2004 – 2005م

46. لويس، شيخو، بيروت تاريخها وآثارها، الطبعة الثالثة، بيروت، 1993م.

47. الماجدي، خزعل، المعتقدات الآرامية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 2000 م .

48. مبروك، أمل، فلسفة الموت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011 م.

49. المرعشلي، ميسون، ولاية سورية الرومانية منذ عهد الأسرة السيفيرية حتى عهد ديوقليسان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، 2005م.

50. مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2010 م.

51. مرعي، عيد، موجز تاريخ الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، بيشة، مكتبة الخبتي الثقافية، السعودية، 2006م.

52. معاوية، إبراهيم، المدافن في الشرق القديم، دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، تونس، 1987

53. المقداد، خليل، حوران عبر التاريخ، دار حوران للنشر، دمشق، 1996م.

54. منصور، محمد منير، الموت والمغامرة الروحية من الأسطورية إلى عالم الروح الحديث، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، 1987م.

55. مهران محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

56. ميخائيل، نجيب، مصر والشرق الأدنى القديم، القاهرة، 1967،

57. الميداني، محمد، الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني 64 ق.م – 305 م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2015م.

58. الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة، 1989.

59. همام، سعد، المدافن التدمرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2007 م.

60. هنيدي، إباء مصطفى، الكتابات والنقوش الإغريقية واللاتينية في حوران منذ بداية الاحتلال الروماني لسورية /64 ق.م/ دراسة تاريخية اثرية، أطروحة ماجستير غير منشورة جامعة دمشق، 2009 م.

61. اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، در الفكر، بيروت، 1991 م.

62. ياسين، وعد، الأديان الوثنية في سورية في العصر الروماني من 64 ق.م – 395 م، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2010م.

3 – المراجع المعربة:

1. الياد، مرسيا، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م.
2. إلياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق1986،
3. إيمار، آندريه، جانين بواته، تاريخ الحضارات العام، مجلد 2، ترجمة أسعد يوسف داغر، فريد داغر، بيروت، 1964م.
4. بابليون، جان، إمبراطوريات سوريات، تعريب يوسف شلب الشام، العربي للطباعة والنشر دمشق، 1987م.
5. بارندر، جفري المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام مجلة عالم المعرفة، العدد 173، الكويت، 1990م.
6. تشالز، ورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، القاهرة، 1999م.
7. توكاريف، سيرغي، الأديان في تاريخ الشعوب، ترجمة أحمد فاضل، دمشق، 1998.
8. تيكسدور، كانيفة، الحياة الدينية في سورية قبل الإسلام، (العصر الهليني والروماني)، ترجمة موسى الخوري، دمشق، 1995م.
9. جان، ريك، مركز المرأة في قانون حمو رابي، ترجمة سليم العقاد، القاهرة، (د. ت).
10. جونز، مدن بلاد الشام حيث كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، عمان، 1986م.
11. حتي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم رافق، الجزء الأول، دار الثقافة، بيروت، 1982م.
12. دانترز. ج. م: سورية الجنوبية (حوران)، ترجمة أحمد عبد الكريم، ميشيل العيسى، ج 2، دمشق، 1995م.
13. دوبون، سومر، الآراميون، تعريب ناظم الجندي، تدقيق توفيق سليمان، طرطوس، 1988
14. دوسو، رنيه، العرب في سورية قبل الإسلام، تعريب موسى الخوري، الأبجدية للنشر، دمشق، 1996م.
15. دياكوف، ف، كوفاليف، س، الحضارات القديمة، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، الجزء الثاني، منشورات دار علاء الدين.

16. ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة أحمد بدران، مجلد 9 – 10، بيروت، لبنان.

17. رستوفتزف. م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي، محمد سليم سالم، ج 1، القاهرة، 1957م.

18. سارتر، موريس، سورية في العصور الكلاسيكية، ترجمة محمد الدنيا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2008م.

19. سبيتنو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بدر، القاهرة، 1986م

20. سنيوبوس، شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة محمد كرد علي، العالمية للكتب والنشر، مصر، 2012 .

21. سيريغ، هنري، المعابد التدمرية، ترجمة غادة الحسين، الأوس للنشر والتوزيع، دمشق.

22. شابيرو، ماكس، هندريكس، رودا، معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دمشق، 1999،

23. شوفان، بيرر، أواخر الوثنيين، تعريب سلمان خرفوش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م

24. شيفمان، أ. ب، المجتمع السوري في عصر البرنسيبات، ترجمة حسان إسحق، دمشق، 1987 م

25. فورتان، ميشيل، سورية أرض الحضارات، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999

26. كلينغل، هورست، آثار سورية القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1985م.

27. كورتل، آرثر، قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريفي، بيروت ، 9199

28. كولانج، فوستيل، المدينة العتيقة، ترجمة عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950

29. كوملان، ب، الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا ومحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999

30. كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه، ط 2، بغداد، 1986.

31. كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962

32. لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة.

33. ميغوليفسكي. أ. س، أسرار الآلهة والديانات، ترجمة حسان اسحق، دمشق، 2005م.

34. نير، هربرت، تعدد المعتقدات – الأديان في سورية في الأف الثاني ق.م (كنوز سورية القديمة اكتشاف مملكة قطنا) متحف فورتمبرغ، شتوتغارت، 2009

35. نيهاردت، أ. أ، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة هاشم حمادي، دمشق، 1994

36. هنري، س. عبودي، معجم الحضارات السامية، الطبعة الثانية، منشورات جروس برس طرابلس، لبنان، 1991 .

37. هيولاست، العالم في نظر مواطن روماني، تعريب محمود غنيم، تاريخ العالم، مجلد 3.

4 – الدوريات والمجلات العربية:

1. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : الأسعد، خالد، دهمان، ربيع، تقرير أولي عن أعمال بعثة الترميم في تدمر 1969، ، المجلد 23،دمشق، 1973.
2. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : الأسعد، خالد، تقرير أولي عن المدفن 36 في تدمر، المجلد 33،دمشق، 1983
3. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : آغوب، كربسيان، الصفدي، هشام، دراسة أولية لتابوت اللاذقية وعمليات اكتشافه، المجلد 7،دمشق، 1957
4. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : البني، عدنان، صليبي، نسيب، مقبرة تل أم حوران، المجلد 6، دمشق، 1956
5. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية البني، عدنان، صليبي، نسيب، مدفن شلم اللات في تدمر, المجلد 7، دمشق، 1957
6. مجلة دراسات تاريخية : حامدة، أحمد، من مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفنيقي، ، العددان 79 – 80، دمشق، 2002م.
7. مجلة دراسات تاريخية : حمدان، عبد المجيد، «الامبراطور فيليب العربي»، العددان 85–86، دمشق، 2004 م.
8. مجلة مهد الحضارات : حمود، محمود، الموت كما فهمه قدماء السوريين، العددان 19–20، دمشق، 2014م.
9. مجلة مهد الحضارات : حمود، محمود، طقوس الدفن في ريف دمشق خلال العصر الروماني مدافن منطقة داريا نموذجاً ، العددان 19–20, دمشق, 2014
10. مجلة مهد الحضارات : خلايلي، إبراهيم، تموز/ أدونيس من بابل إلى القدس الإله الذي أذهلت أسطورته المؤرخين القدماء، العدد الأول، دمشق، 2006 .
11. الحوليات الأثرية السورية : زهدي، بشير، تيكة وتماثيلها في المتحف الوطني، ، مجلد 16، دمشق، 1966م.
12. الحوليات الأثرية السورية : زهدي، بشير، آلهة الطب ومشاهدها، ، المجلد 25، الجزء الأول والثاني، دمشق، 1975

13. الحوليات الأثرية السورية : زهدي، بشير، نميسيس وآثارها المكتشفة في سورية، مجلد 12، دمشق، 1961، 1962م.

14. الحوليات الأثرية السورية : زهدي، بشير، كتابات يونانية في أفامية، ، مجلد 23، دمشق، 1973م.

15. مجلة دراسات تاريخية : الزين، محمد، التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية، ، العددان 85–86، جامعة دمشق، 2004م.

16. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : سادورسكا، آنا، الفن والمجتمع بحوث في علم النحت الجنائزي التدمري، ترجمة بشير زهدي، ، المجلد 42،دمشق، 1996.

17. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : سارتر، موريس، تدمر مدينة ذات طابع يوناني ، ترجمة عدنان البني، مجلد 42، دمشق، 1966م.

18. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : سيريغ، هنري، طعام الموتى والوليمة الجنائزية في تدمر، تلخيص وتعريب الحوليات الأثرية، المجلد 1، ح 1، 1951م.

19. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : شحادة، كامل، تابوت الرستن دراسة أولية، المجلد 32، دمشق، 1982.

20. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية : صليبي، نسيب، مقابر عازار جنوب طرطوس، المجلد 26، دمشق 1976.

21. مجلة دراسات تاريخية : عبد الحميد، عز الدين، مدينة حمص في العهد الروماني، ، العددان 29–30، دمشق، 1988م.

22. مجلة دراسات تاريخية : عبد الكريم، مأمون، أمراء حمص ودورهم في الصراعات التي نشبت في سورية خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد، العددان 91–92– دمشق، 2005م.

23. الحوليات الأثرية العربية السورية : عدنان بن ذريل، في الآلهة السورية، ، مجلد 15، ج 1، 1965م.

24. الحوليات الأثرية العربية السورية : غونترام، كوخ، التوابيت الرومانية في المتحف الوطني بدمشق، ترجمة جودة شحادة، المجلد 39–38، دمشق، 1989–1988

25. الحوليات الأثرية العربية السورية : كريلنغ، كارل، الصور الفوتوغرافية الملونة للوحات الجدارية في مدفن الأخوة الثلاثة بتدمر، ترجمة عدنان البني ، المجلد 12–11،دمشق، 1962–1961

26. الحوليات الأثرية العربية السورية : مالكوم، كولج، التأثير الروماني في فن تدمر، ترجمة محمد قدور، المجلد 42، دمشق، 1996

27. الموسوعة العربية السورية: مرعي، عيد، الإله بعل، ، المجلد الخامس، دمشق، 2002.

28. الحوليات الأثرية السورية : ميلر، روس، بصرى في بلاد العرب مدينة نبطية رومانية في بلاد الشام، ترجمة شوقي شعث ، مح 36، 37، دمشق، 1986م.

29. مجلة دراسات تاريخية : النوري، خالد عبد الرحمن، الموت كما رآه العراقيون، العددان 73 – 74، جامعة دمشق، 2001 م

30. مجلة مهد الحضارات : همام، سعد، مفهوم الموت عند التدمريين، ، العددان 19، 20، 2014م.

2 – المراجع الأجنبية: References

1. ALHARIRI. K: Rituals Religious Palmyra, Damascus, 2009.
2. Apopovsky. R: Jewish Ritual, Duke Institue, Caralina, 2007.
3. Bodel. J, Dealing with the dead, London, 2000.
4. Bouchier, E: "Syria as a Roman Province", Oxford, 1926.
5. Catter. W, House. B: The Jewish Mourners, Hand book, North Carolina, 1992.
6. Colledge. M. A. R: The art of Palmyra, Thames and Hudson, London, 1976.
7. Coquais. R :Arodos et sa Pere Aux Epoques Grecque Romaine Et Byzantine, Paris, 1971.
8. Dabrowa. E: The Governors of Roman Syria From Augustus of Septimius Sevrus, Born, 1998.
9. Downny. G: "A History of Antioch in Syria From Seleucus to The Arab Conquest", Second Printing, Universtiy Press, New Jersey, 1961.
10. Garland. R, The Greek way of death, Newyork, Cornell university, 1985.
11. Gawlikowski. M: Monuments Funeraire de Palmyre, Warszawa, 1970.
12. Hambrey, Jessica :Funerary Fresco In The Roman Near East, Manchester University, 2008.
13. Heichelhehn. F. M: "Roman Syria", Teny Frank An Econo Mic Survey of Ancient Rome, Vol IV. New Jersey, 1959.
14. Hopkins. K, Death and Renewal, Cambridge university Press.
15. Johnston. S: Ancient religion, Cambridg, London, 2007.
16. Jones. A. H. M: Cities of The Eastern Roman Province, Oxford, 1971.
17. Joseph. L, Life and Death at a Part in Roman, The American School of Classical Studies, Athens, 2006.
18. Katherine. M: The Roman Banquet, Memaster University, Camberidge, 2003.
19. Kurtz and Boardman, Greek burial Customs, London, 1971.
20. Lidewi. d: Narratives of Roman Syria, Stand ford university, 2007.
21. Lindsay. H, Death Pollution and Funerals in the city of Rome London, 2000.

22. Marguerite. A : Roman Sarcophagi, New York, 1978.
23. Millar. F: "The Roman Near East. 31. B. C. 337 A. D" 2d ed Harvard, 1994.
24. Nicala. L: Performing Death, Chicago, 2007.
25. Parker: Pollution and Purificution in early Greek religion, oxford, 1983.
26. Regina. G: The Role of Tombside Dining, Montana State university USA, 2000.
27. Rostovtzeff, M: The Near East in the Hellenistic and Romans Times, Harvard university, 2013.
28. Rostovtzeff. M :The Excavations at Dura Europos Preliminary Report Of The Ninth Season Of work, 1936-1935 Part II, The Necropolis, New haven, London, Oxford, 1946.
29. Sartre. M: The Midlle east under rome, T. Catherine Porter and Elizabeth Rawlings, Harvard Univwrsity Press, Cambridge, London, 2007.
30. Sartre and Fauriat, A: Des Tombeaux et des Morts, Beyrouth, 2001.
31. Sartre. M: Architecture Funeraire De La Syrie, Saurb Ruck, 1989.
32. SATO. K: The study on funerary practices and socal backgrounds in palmyra, 2005.
33. Schmidt. T. E: In early Romon stale, The evidence From Josephus, Duke university, 1996.
34. Stevanovic. L: Funeral Ritual and Poewr, Inistiute of Enthograpy, 2009.
35. Toll. N. P: Excavations at Dura Europos, I, Oxford University, London, 1946.
36. Toll. N. P: Excavations at Dura Europos, II, Oxford University, London, 1945
37. Toynbee. J. M. C: Death and burial in The Roman world, London, 1971.
38. Vegas. V and Mile to. C:Hypodermic Tombs in The Roman and Byzantine Necropolis at Deyr Alzor, Syria, University of Valencia, 2005
39. Watzinger. C : Die Nekropolen, Berlin.

3 – المجلات والدوريات العلمية: Periodicals

1. Clauss. P: Les Tours Funeraire Du Djebel Baghouz, Syria Tome 79,Bayrouth, 2002.
2. Grieshimer. M :Cimetieres et Tombeaux des Villages de la Syrie du Nordic, Syria, LXXIV, Beyrouth , 1997.
3. Harper. g: Village administration in the roman province of Syria, yale classicl studies, volume1, new haven 1928.
4. Rey coquais, "Syrie Roman de pompee a Diocletien" Journal of studies, 68, London, 1978.
5. Sartre, M :Tombeaux Antiquies de Syrie du Syria, LXXIV, Paris, 1983.
6. Seyrig. H :Antiquite de la Necropole d Emese, Antiquites Syrennes, Tome V, Paris, 1958.
7. Will. E :La Tour Funeraire, de Palmyre, Syria, XXVI, Paris, 1949.

Abstract

This Study dealt with Funerary rituals in Syria during Roman rule (64 B.C.-325 ad).This Study aims at monitoring developments and changes in the funerary practices in Syria , and the impact left by the Romans in funerary practices in Syria .The Study has four chapters :The first chapter on social life in Syria , in which he presented to the population and social classes in Syria during Roman Rule , and the status of family , Women and personal status in the Syrian society , and the Rural and City conditions in Syria during that period , plus language and calendar .

Chapter Two dealt with religious life in Syria during the Roman rule and presented the beliefs about death , the post mortem world , beliefs about the spirit and worship of the dead among the population .As these beliefs were important in the process of burial and related ritual practices . In this chapter , the worship of local and expatriate gods was also discussed during the Roman period , in addition to imperial worship .

Chapter Three on funerary rites among Syrian society during Roman rule , these are the local Syrian national groups and those who come to Syria from Greece , the Romans and the Jews .

Chapter Four on burial areas and methods of burial in tombs , and the types of landfills and privacy that the Syrians have isolated through their construction of these tombs , and the value of the treasures of the relics , which was a reflection of the period of prosperity and strength enjoyed by Syria during the Roman rule , in addition to the study of decorations and effects .

The study concludes with the conclusion and the results of the study .

Syrian Arab Republic
University of Damascus
Faculty of Arts and Humanities
Department of History



The pagan funerary rite in Syria during Roman rule

(64 B.C. -325 ad)

Thesis for the Masters Degree in Ancient History

Student preparation :

Ramzi Alnamat

Supervising Professor :

Dr. Mohammad Alzin

Academic Year :

2017 ad – 1438 hijri